تاريخ المسلمين

من

صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية

تأليف

الشيخ المكين جرجس بن العميد أبو إلياس بن أبي المكارم بن أبي الطيب

(1) بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي لله المقدس بجميع اللغات الممجد في سمو عرشه من ساير المخلوقات المتميز بوجوب الوجود عن جميع الكاينات المنفرد ببديع الاسماء وشريف الصفات المتعالي عن عز عزه وجلال كبريايه عن الأشباه والنظر بما له من الجبروت والعظمة والكبرياء أحمده حمداً شاكراً على ما أولى من النعماء وأجزل من العطاء.

وبعد فإني لما وقفت على تاريخ الإمام العالم أبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله ورأيت فيه من التطويل في الشروح والإسنادات وذكر الوقايع وأسبابها وما أورد عليها من الاستشهادات ثم على المنتخب منه للشيخ العالم كمال الدين الأرموني ثم على عدة مختصرات اخترت منها تاريخاً أوجزت فيه الكلام وحفظت المعنى والنظام ولم أخل بشيء (2) من الوقايع المشهورة والحوادث المذكورة وابتدأت فيه بأخبار صاحب شريعة الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام وذكرت مولده ونسبته إلى أن هاجر إلى المدينة ثم ذكرت غزواته وفتوحاته وما جرت عليه حاله إلى أن انتقل إلى رحمة الله ورضوانه ثم من بعده من الخلفاء الراشدين على ترتيبهم في الأزمان والسنين ومن بعدهم من الملوك في ساير الأقاليم والحوادث الكاينات في أيامهم في كل سنة على ترتيب سني الهجرة إلى أن ملك السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس رحمه الله.

الأول من أمراء المسلمين أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم

قال الشيخ الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله أول من أظهر دين الإسلام وقام بأمره أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف واسم أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف

قال أنه صلى الله عليه ولد ببطحا مكة في الليلة المسفرة عن صباح يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول يوافقه من شهور الروم الثاني والعشرون من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمان ماية للإسكندر ذي القرنين

قال وتوفي والده قبل مولده بشهرين وتوفت والدته وعمره ست سنين وكفله جده عبد المطلب إلى أن بلغ ثماني سنين وتوفي جده وعمره ماية وعشر سنين وكفله عمه أبو طالب وأحسن كفالته

قال ولما تكامل له أربعون سنة دعي وذلك في يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة اثنتي وعشرين وتسع ماية للإسكندر ذي القرنين وهي سنة عشرون من ملك (3) كسرى بن هرمز بن نوشروان فأول من آمن بنبوته خديجة بنت عمه ثم مولاه زيد بن حارثه ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ثم جاء أبو بكر بخمسة نفر دعا جمعيهم إلى الإسلام فأجابوه وهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن أبي وقاص وعبيد الله بن الجراح هؤلاء التسعة سبقوا إلى الإسلام

قال وفي السنة الرابعة والأربعين من عمره أظهر الدعوة فإنه كان قبل ذلك يدعو إلى الإسلام سراً فلما أظهر الدعوة أمر بالإيمان بالله وحده وعبادته والسجود له ورفض عبادة الأصنام وأمر بالختان وفرض عليهم صوم شهر رمضان والصلوات الخمس والزكاة والحج إلى بيت الله الحرام وأن لا يؤكل الدم والميتة ولحم الخنزير فمن امتنع من ذلك قاتله وحاربه

قال وأتاه النصارى من العرب وغيرهم فأمنهم وكتب لهم كتباً وكذلك اليهود والمجوس والصابئه وغيرهم فبايعوا له وأخذوا منه الأمان على أن يؤدوا الجزية والخراج وأمر أمته بتصديق الأنبياء والرسل وما أنزل عليهم وأن المسيح ابن مريم روح الله وكلمته ورسوله وصدق الإنجيل والتوراة فلم توافق قريش على ذلك وردوه أشد رد ونصبوا له العداوة فقام بنصرته عمه أبو طالب أحسن قيام ومنع أن يصل إليه أحد بمكروه

وفي السنة الخامسة أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقوي المسلمين بإسلامه وكانوا يوم أسلموا تسعة وثلثون وتكملوا به أربعون

وفي السنة الثامنة كتب قريش صحيفة ألا يعاملوا بنو هاشم بني المطلب ولا يخالطوهم وعلقوها في الكعبة

(4) وفي السنة العاشرة توفي أبو طالب على دين قومه وعمره نيف وثمانون سنة فإشتد قريش وقويت شوكتهم وطمعهم

قال وفي هذه السنة خرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فدعا أهلها إلى الإسلام فلم يجيبوه فأقام بها شهراً وعاد إلى مكة

قال وفيها تزوج بنت أبي بكر الصديق وسودة بنت زمعه

قال وفي السنة الثانية عشر كان المسرى

وفي السنة الثالثة عشر جاء إليه جماعة من الأوس والخزرج وعدتهم ثلثة وسبعون رجلاً وامرأتان وبايعوه على الإسلام وجعل منهم اثني عشر نبياً ثم رجعوا إلى المدينة وفشا الإسلام في أهلها وصاروا له في المدينة أنصاراً

وفيها أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا إليها ولم يتخلف معه إلا أبا بكر وعلي رضي الله عنهما

ذكر الهجرة إلى المدينة

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله وفي السنة الرابعة عشر هاجر صلى الله عليه إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق وعامر بن قمرة مولا أبي بكر ودليلهم عبد الله بن ارتقط وتخلف علي عنه ثلثة أيام بإذنه في قضي أشغاله ثم لحق به وكان دخوله إلى المدينة يوم الاثنين نصف النهار وقيل يوم الخميس لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول وأقام نازلاً على أبي أيوب خالد بن زيد حتى بنى مسجده ومساكنه ثم تحول إليها وعلى هذه السنة التاريخ بسني الهجرة وهي السنة الرابعة والخمسون من عمره صلى الله عليه وسلم.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله وفي أول سنة من الهجرة تزوج علي بن أبي طالب فاطمة

وفيها عقد صلى الله عليه لعمه حمزه لوا أبيض وهو أول لوا عقده وبعث معه ثلثين من المسلمين ولم يلق كثيراً

(5) قال وفي السنة الثانية كانت غزوة بدر الأولى وغزوة بدر الكبرى قتل فيها صناديد قريش وكانت ليلة الجمع لسبع عشر ليلة خلت من شهر رمضان لأنه سمع أن أبا سفيان بن حرث مقبل إلى الشام في غر عظيم فيه أموال قريش فخرج لأخذها فلجأ أبو سفيان بالغر إلى مكة وكانت عدة المسلمين ثلثماية وتسع عشر وكانت عدة المشركين ما بين التسع ماية والألف فانتصر المسلمون وقتلوا من المشركين سبعين رجلاً فأسروا مثلهم واستشهد من المسلمين اربعة عشر رجلاً

قال وفيها كانت عزوات عدة

قال وفي السنة الثالثة حاصر اليهود في حصونهم خمسة عشر ليلة حتى نزلوا على حكمه وأجلاهم وأغنم المسلمون أموالهم

وفيها سير سرية لقتل كعب بن الأشرف اليهودي وكان شديد العداوة له صلى الله عليه وسلم

قال وفيها كان غزوة احدي في يوم السبت النصف من شوال منها وأخذ جبل قريب من المدينة وكانت عدة المشركين ثلثة ألف رجل ومعهم مايتا فارس وثلثة ألف بعير وخمس عشرة امرأة وقايدهم أبو سفيان بن حرث وعدة المسلمين ألف فكانت الكسرة أولاً للمسلمين ثم كانت للمشركين فقتل من المسلمين سبعون رجلاً منهم حمزة بن عبد المطلب وكان يوم بلاء باشر فيه صلى الله عليه القتال بنفسه فرماه عقبه ابن أبي مغيط فكسر رباعيته اليمنى

وجرح شفته السفلى وشجه عبد الله بن شهاب في جبهته وجرح في وجنته وسقطت ثنيتاه وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلاً

قال وفي السنة الرابعة كانت غزوة بني النظير اليهود ونزلوا من حصونهم على الجلاء من بلادهم فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وتبعهم المندر (6) بن عمر الساعدي إلى بير معاوية وسبعون رجلاً من الأنصار فقتلوا جميعهم إلا كعب بن زيد فإنه أفلت

وفيها كانت غزوة بدر الأخيرة

قال وفي السنة الخامسة كانت غزوة الخندق فاجتمعت الأحزاب وهم قريش وبنو قريظه والنظير وغطفان وسليم وكان مقدمهم حبيب بن أحطم وسلام بن أبي الحقيق وغيرهما من اليهود وجاء يوسف بن حارث يقود قريش وأتباعهم في عشرة ألف وجاء بنو غطفان وعليهم عتيبه بن حصن القراري وغيره فأشار سلمان الفارسي رحمه الله بحفر الخندق ونازلهم المشركون نيف وعشرين ليلة ثم أن نعيم بن مسعود الغطفاني أسلم وسعى في تخذيل الأحزاب وأفسد فيما بينهم وبين اليهود فانهزموا وكانت عدة من قتل من المسلمين ستة ومن المشركين ثلاثة

قال وفيها كانت غزوة بني قريظه خرج إليهم صلى الله عليه فحاصرهم خمس وعشرين ليلة واشتد عليهم البلاء فنزلوا على حكم سعد بن معاد وكان عليلاً من الجرح الذي أصابه يوم الخندق فحكم بقتال الرجال وسبي الذراري والنساء فضربت أعناقهم وكانوا ما بين الستماية والسبع ماية منهم حبيب بن أحطب وجعلوا في خنادق حفرت لهم بسوق المدينة وأقسمت نسوانهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين وانتقض على سعد جرحه فمات

قال وفي السنة السادسة كانت صلاة الاستشفاء بالحديتيه وكانت فيها غزوات منها غزوة بني المصطلق التقاهم في سفان وهربهم وقتلهم وأباح نسوانهم وأولادهم وكان فيهم جويره بنت الحرث تزوجها صلى الله عليه وجعل صداقها عتق من استرق من قومها

قال وفي هذه السنة كانت غزوة الحديتيه وهي موضع (7) قريب من مكة في طريق جدة ثم وقع الصلح بينه وبين قريش على وضع الحرث عشر سنين فمن أحب الدخول في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب الدخول في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ومن أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رد إليه ومن أتى قريشاً من أصحاب محمد بغير إذنه ولم يرد إليه وأن يرجع محمد بأصحابه عامهم هذا ويدخل عليهم في أصحابه فيقيم ثلاثاً لا يدخل عليهم بسلاح إلا بسلاح المسافر في القرب وكان الذي وقع معه عقد الصلح سهل بن عمر العامري وكاتب الكتاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال وفي هذه السنة تبعه الرضوان وكانت البيعة تحت الشجرة وفقدت بعد ذلك وقيل أن السيول ذهبت بها

قال وفي السنة السابعة اتخذ صلى الله عليه وسلم المنبر قيل إن امرأته قالت له إن لي غلاماً نجاراً أفلا أمره أن يتخذ لك منبراً قال بلا فاتخذ له منبراً من طرفا الغابة وقيل كان من أثل وكان المنبر درجتين ومجلساً وكان قبل المنبر يستند إلى جذع في المسجد إذا خطب وبقي المنبر إلى أن ولي معاوية بن أبي سفيان فزاد فيه ست درجات ولم يغير بعد ذلك وأول من كساه القباطي عثمان بن عفان

قال وفي هذه السنة كانت غزوة خيبر وفيها فتح الحصون واستولى على ما كان فيها من الأموال واشتد الحصار على حصنين هما الوطيح والسلالم حتى أيقنوا بالهلكة فسألوا أن يحقن دماءهم ويبقيهم ببلادهم ويأخذ من نخيلهم النصف فأجابهم إلى ذلك وشرط أنه متى يشاء أخرجهم وبلغ أهل بدر (8) ذلك فسألوا أن يعاملو بمثله فأجابهم ولم تزل اليهود على هذه المعاملة إلا إلى أن مضى مقدار من خلافة عمر بن الخطاب فبلغه ما قال صلى الله عليه وسلم في مرضه أنه لا يجتمع في جزيرة العرب دينان فأجلاهم عنها وكانت غزوة خيبر في المحرم

قال وفي هذه السنة أهدت إليه زينب ابنة الحارث اليهودية شاة مسمومة فأخذ منها ليأكل ثم قال إن هذا العضو ليخبرني أنه مسموم

قال وفي السنة الثامنة للهجرة فتح مكة وذلك أن قريشاً نقضت العهد فسار إليهم في عشرة ألف من المسلمين حتى نزل مرو الطران فأتاه عمه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرث فأسلم فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن غلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ودخل إلى مكة من غير قتال وآمن جميع أهلها إلا نفراً قليلاً أهدر دماءهم فقتلوا وكان فتح مكة لعشر بقين من شهر رمضان وكان فتحها صلحاً وقبل عنوه

قال وفيها كانت غزوة حنين وهو واد معروف قال ولما سمعت هوزان بفتح مكة اجتمعت إلى مالك بن عوف فاجتمعت معهم بنوا ثقيف وساروا بالنساء والأموال فسار إليهم في اثني عشر ألف رجل فالتقى الفريقان بحنين فكانت الكسره الأولى للمشركين ثم بعد ذلك كثرت المسلمون عليهم فانهزموا وغنموا غنايمهم جميعاً وكانت ستة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفاً من المعز وأربعين ألف شاة وأربعة ألف أوقية فضة وقتل من بني ثقيف في هذه الدفعة تسعون رجلاً ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة نفر وجمعت السبايا والأموال بالجعرانه ومضى إلى الطايف وحصرها ثم رحل عنها ونزل بالجعرانه وفيها سبايا هوزان (9) فأتى وفدهم إليه وسألوه أن يمن عليهم بها وقالوا إنما هن عماتك وخالاتك فخيرهم بين النساء والأبناء والأموال فاختاروا النساء والأبناء فسلمها إليهم ثم فرق الغنايم على المسلمين

قال وفيها أتاه مالك بن عوف بالجعرانه فأسلم فرد عليه ماله واستخلف على مكة غياث بن أسد

قال وفي السنة التاسعة كانت غزوة تبوك فنزل عليها وصالح صاحب دومه وصاحب ايله على أداء الجزية وأقام بتبوك دون عشرة ليال ثم انتقل إلى المدينة في شهر رجب

قال وهي آخر غزواته

وفي هذه الغزوة أنفق عثمان بن عفان في الجيش ألف دينار

قال وفي هذه السنة أسلم أهل الطايف وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص وبعث أبا سفيان بن حرث بن شعبه هدما الالات التي كانت عندهم

قال وفي السنة العاشرة كثر قدوم العرب عليه ودخل الناس في دين الإسلام وقويت كلمته

وفيها ارتد مسيلمة الكذاب وادعى أنه شريكه في النبوة وتبعه قومه من بني حنيفة باليمامة

قال وفيها حج صلى الله عليه حجة الوداع وكان دخوله مكة في عشر ذي الحجة ووعض الناس وعرفهم مناسكهم ورجع إلى المدينة

وفي السنة الحادية عشر ظهر الأسود العنسي الكذاب باليمن وادعى النبوة وغلب على صنعاء ونجران وعمل الطايف واستطار ذكره فقتله فيروز الديلمي في منزله

قال وفي هذه السنة كانت وفاته إلى رحمة الله تعالى ورضوانه وذلك أنه لما عاد من حجة الوداع أقام بالمدينة إلى ليلتين بقيتا من صفر فابتدأ مرضه وأمر أبا بكر أب يصلي بالناس فصلاتهم سبعة عشر صلاة وتوفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول (10) وكان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستين سنة وقيل خمس وستين سنة وكان صلى الله عليه حسن الأخلاق لين الكلام يعود أصحابه كما يعودونه ويقبل وجوههم كما يقبلونه ويواسي الضعيف ويعظم الكبير ويرفق بالصغير ومن سأله في حاجة لا يرده إلا بحاجته أو بميسور من القول

قال وكان كاتبه عثمان ابن عفان وعلي ابن أبي طالب فإن غابا كتب له أبي حرت بن كعب وزيد بن ثابت فإن غابا كتب له من حضر من الكتاب وهو معاوية ابن أبي سفيان وخالد بن سعيد ابن أبي العاص والعلا ابن الحضرمي وحنظله ابن الربيع وكان يكتب له أيضاً عبد الله ابن أبي شرح فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين وأستامن له عثمان يوم الفتح فأمنه بعد كان قد هدر دمه وكان الزبير ابن العوام وجهم ابن صفوان يكتبان أموال الصدقات وحديقه ابن السمال يكتب خرص النخل والمغيره بن سعبه والحسين ابن يمن يكتبان المداينات والمعاملات وعبد الله بن أرقم يجيب عن كتب الملوك

قال والقضاة في أيامه فإنه استقضى علي ابن أبي طالب على اليمين ومعاد بن جبل الأنصاري وأبا موسى الأشعري

قال وكان صاحب إذنه أنس ابن مالك وصاحب شرطته قيس ابن سعيد الأنصاري

قال وكان لواوه أبيض ورايته سوداء وكان نقش خاتمه الشهادتين وكان مؤذنه بلال

وأما عماله فإنه توفا وعامله على مكة غياث بن أسد وعلى البحرين العلاء بن الخضرمي وعلى الطايف عثمان ابن أبي العاص وعلى صنعاء ومخاليف الجند عمر ابن أبي أمية المحرومي وعلى مخاليف اليمن خالد بن سعيد ابن أبي العاص وعلى جرش ابن سفيان ابن حرث وعلي بن مينه على ناحية من نواحي اليمن

(11) قال المؤرخ ولما كان تاريخ سني الهجرة بالسنين القمرية ذكرناها على ما هي عليه وحررنا كم يكون عنها سنين شمسية ليصح لنا التاريخ من آدم عليه السلام إلى الآن فتحرر أن وفاته كانت لانقضاء ستة ألف وماية وثلاثة عشرين سنة وتسعة أشهر وأربعة عشر يوماً شمسية ومدة الهجرة سنين قمرية عشرة سنين وأحد وسبعين يوماً عنها شمسية تسع سنين وأحد عشر شهر غير يوم واحد لأن أول الهجرة كان يوم الخميس وآخر مدة حياته يوم الاثنين عنها ثلاثة ألف وستماية وأربعة عشر يوماً

قال المؤرخ ونحن نذكر هنا ما ورد تواريخ النصارى من الوقايع والحوادث في أيام حياته

ورد تواريخ النصارى أنه كان مؤثراً لهم رؤوفاً بهم فأوفد منهم جماعة وطلبوا منه الأمان فضرب عليهم الجزية وأحسن إليهم وكتب لهم بالأمان

وقال لعمر قل لهم أن نفوسهم كنفوسنا وأموالهم كأموالنا وأعراضهم كأعراضنا

ذكر هذا الحديث صاحب كتاب المهذب وأسلمه إلى مسلم وهو حجة الإمام أبي حنيفة في قتل المسلم بالذمي فأوفد عليه بعض أكبر النصارى فقام له وأكرمه فقالوا له في ذلك فقال إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وهذا كبير قومه

وقال استوصوا بقبط مصر خيراً فإن لكم منهم نسباً وصهراً

وقال من ظلم ذمياً كان خصمه يوم القيامة

وقال من أذى ذمياَ فقد أذاني

قال المؤرخ ورد تواريخ النصارى أن شهريار ابن ادربان ملك الفرس غزا الروم ونزل على أنقرة وفتحها وسبى جميع من فيها في أول سنة من الهجرة وفتح أيضاً في هذه السنة جزيرة ردوس وسبى أهلها

(12) وفي السنة الثانية من الهجرة ضيق كسرى بن هرمز على الأمم المخالفين له في دينه في جميع مملكته لما داخله من العجب لكثرة الفتوحات التي فتحها وأثقلهم بالخراج وأمر بهدم الكنايس بالشام وبالجزيرة وحمل ما فيها من الذهب والفضة والالات حتى الرخام إلى مملكته

وفي السنة الثالثة للهجرة غزا شهريار القسطنطينية بجيوش عظيمة ونزل عليها ولم يقدر عليها وانصرف عنها

وفي هذه السنة ضيق كسرى على أهل الرها وطلب منهم أن ينتقلوا عن مذهب الملكية إلى اليعقوبية لأنه كان عنده طبيب اسمه يوبن اوهمه أنهم ما داموا على مذهب الملكية ربما مالوا إلى الروم وكاتبوهم فعرض عليهم القتل أو الانتقال إلى مذهب اليعقوبية فنتقلوا جميعهم

وفي السنة الخامسة للهجرة خلع كسرى بعد ثمانية وثلثين سنة من مملكته وذلك انه عاد إلى بلاده بعد أن اخربها هرقل ملك الروم ثقل على الناس وعسفهم فاجتمعوا وخلعوه وجعلوا موضعه قباد ولده ويسمى سيرويه وهو ابن مريم بنت موريق ملك الروم وأحسن السيرة ورفع الخراج عن الناس حتى يعمهم عدله فلم يلبث إلا قليلاً حتى وقع الطاعون في أهل مملكته فهلك أكثرهم وهلك سيرويه وكانت مملكته ثمانية أشهر ثم ملك بعده اردشير ولده فلم يلبث إلا خمسة أشهر وقتل

وفي السنة السادسة للهجرة ملك على الفرس رجل من غير بيت المملكة اسمه شهريار فاحتالت امرأة من أهل بيت المملكة وقتلته وكانت مملكته اثنان وعشرون يوماً ثم ملك بعده رجل من ولد هرمز يقال له كسرى ابن قباد بن هرمز فوثب عليه صاحب خراسان فقتله وكانت مملكته ثلثة أشهر (13) ثم من بعد توران ابنة كسرى مدة سنة ونصف

وفي السنة الرابعة للهجرة دخل شهريار في طاعة هرقل والسبب في ذلك أن قوماً سعوا بشهريار إلى كسرى أنه يقول أنا فتحت الفتوح كلها ويفتخر على كسرى فغضب كسرى وكتب إلى المرزبان بأن يحتال على شهريار وولده أمير العسكر فوقع الرسول والكتاب في يد هرقل فسير هرقل إلى شهريار وعرفه فطلب منه الأمان على نفسه ليحضر إليه فأمنه على نفسه وماله وحريمه فدخل شهريار إلى القسطنطينية فأقرأه هرقل الكتاب وأتاه بالرسول تعرفه شهريار وأخبره بالسبب فلما تحقق شهريار دخل في طاعته وبايعه وكتب شهريار إلى المزاربة والمقدمين بأن كسرى قد كتب إلى المرزبان بقتلهم فدخل جميعهم إلى هرقل وبايعوه وأطاعوه واستعد هرقل لغزو الفرس وكتب إلى خاقان ملك الحرر يسأله إمداده بأربعين ألف فارس على أن يصاهره ويزوجه ابنته وسار هرقل إلى الشام وجعل يفتح مدينة مدينة مما في أيدي الفرس وولي عماله عليها فلما بلغ كسرى خبر شهريار وأصحابه واتفاقهم مع هرقل وأنهم قد أقبلوا لمحاربته وأن هرقل قد افتتح أكثر المدن هاله ذلك وندم على ما فعل وكان أكثر جنود الفرس مفرقين في الشام

والجزيرة فأخذهم هرقل وأبادهم أول بأول ثم أن كسرى أمر المرزبان ويقال له روربهار وقدمه على الجيوش ليخرج لقتال هرقل فسار زوربهار حتى وصل إلى ناحية الموصل وكان هرقل افتتح أرمينية ومصر والشامات وقتل عامة الجيوش التي بهذه البلاد من الفرس وتبعه الذي بقي منهم وكذلك الارمان فاجتمع لهرقل برها (14) ثلثماية ألف فارس وصار إليه من ناحية الحرر نحو أربعين ألف فارس فلما وصلوا إلى أذربيجان كتب لهم هرقل بالمقام هناك إلى أن يصير إليهم فلما فتح هرقل أرمينية شخص إلى نينوى فنزل على الدرب الأكبر وسار زوربهار فالتقت الجيوش هناك وكان بينهم قتال شديد فانهزم الفرس وقتل منهم يومئذ ما ينيف عن خمسين ألف رجل وقتل زوربهار مقدم العسكر واستباح هرقل أموالهم وبلغ ذلك كسرى فهرب عن الماحورة والمداين ثم وافا هرقل إليها فدخلها واستولى على دخاير الملك وأخذ كلما فيها واحرقها وأخرب الرساتيق وسبا أهلها وكان سيرويه بن كسرى محبوساً في اعتقال أبيه فخرج من الحبس وقتل أباه وملك بعده وكان ملك كسرى ثمان وثلثين سنة وكان ملك سرويه في السنة السابعة للهجرة وهي السنة الثامنة عشر لهرقل وهي سنة أربعين وتسع ماية الإسكندر

ثم إن هرقل رجع ونزل في قرية ثمانين وهي التي أعمرها نوح عليه السلام بعد خروجه من الفلك وصعد إلى جبل حودي ونظر إلى موضع الفلك وأشرف على تلك الأرض كلها لأنه موضع مرتفع جداً ثم مضى إلى ناحية امد فأقام فيها ساير الشنوية ووجه سيرويه بن كسرى وفداً إلى هرقل يلتمس مصالحته فأجابه هرقل إلى ذلك على أن يعطيه كلما أخذه أبوه مما كان للروم وتقرر الأمر على ذلك وعزم هرقل على المسير إلى الشامات وتقدمه أخوه ثادرس وأمره بأن يخرج جميع الفرس الذين في الجزيرة والشامات إلى بلادهم فسار ثادرس أخوه في تقدمته وصار يدخل مدينة مدينة ويرتب عماله عليها حتى احتوى على جميعها وعاد إلى القسطنطينية ثم بعد ذلك صار هرقل إلى الرها وأمر الناصري بالرجوع عن المذهب اليعقوبية إلى الملكية فرجعوا وأقام هرقل بالرها سنة كاملة.

(15) ومات سيروية بن كسرى وملك بعده اردشير فقتله شهريار الذي ذكرناه متقدماً واجتمعت جيوش فارس إليه وجمع المرزبان أيضاً جيوشاً فصار الفرس فرقين ثم قتل شهريار وملك بعده كسرى بن قباد بن هرمز ثم قتل وملكت توران ابنة كسرى وأحسنت السيرة وأقسمت الأموال بين الجند وأطلقت الخراج للناس وأقامت في الملك سنة ونصف وماتت وملك بعدها جشنسده ابن عم كسرى ثم خلع وملكت بعده ازرمي بنت كسرى فلم تلبث إلا قليلاً وسمت وماتت وكانت ملكها سنة وأربعة أشهر وملك بعدها فرخزاد ابن كسرى شهراً واحداً وقتل.

وفي السنة السابعة للهجرة انكسفت الشمس وظهرت النجوم بالنهار.

الثاني أبو بكر الصديق رضي الله عنه

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله أن أبا بكر الصديق هو عبد الله ابن أبي قحافة عثمان ابن عامر بن عمر بن كعب وأمه اسمها اسما ابنة صخر بن عامر بن عمر بن كعب وهي ابنة عم أبيه وسمي صديقاً لتصديقه خبر المسرى.

قال بويع له بالخلافة في اليوم الذي قبض فيه النبي بسقيفة بني ساعدة وكانت الأنصار قد اجتمعوا بالسقيفة ليبايعوا سعد ابن عبادة الأنصاري فاشتد اللغط فقال رجل من الأنصار منا أمير ومنكم أمير يا معشر المهاجرين قال لهم أبو بكر رضي الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه يا معشر الأنصار إنكم لا تذكرون لكم فضلاً إلا أنتم له أهل وأن العرب لا تعرف هذا إلا في قريش وأني قد رضيت لكم أحد رجلين مهما شئتم وأخذ بيد عمر ابن الخطاب (16) وأبي عبيد بن الجراح فكثر القول وارتفعت الأصوات فقال عمر لأبي بكر ابسط يدك نبايعك فبسط يده فبايعه المهاجرون والأنصار واتفق الناس عليه إلا علي بن أبي طالب وساير بني هاشم فإنهم امتنعوا من البيعة بيده ثم لما رأى علي رضي الله عنه انصراف وجوه الناس عنه بايع هو وبنو هاشم جميعهم.

وفي هذه السنة أعني سنة إحدى عشرة ارتدت العرب ومنع بعضهم الزكاة واصتفحل أمر مسيلمة الكذاب.

وادعى طليحة ابن خويلد النبوة واتبعه قومه من بني أسد ووصل الخبر بقتل الأسود العنسي الكذاب وكان أول فتح أبي بكر رضي الله عنه.

وفيها خرج أبو بكر الصديق إلى عبس ودينان فقاتلهم وهزمهم ثم عاد إلى المدينة وسير الجيوش لقتال المرتدين فعقد أحد عشر لوا على أحد عشر حدا وسير خالد بن الوليد المحرومي لقتال طليحة الكذاب ومن أصابه من غطفان وطي وأسد فقاتلهم وهزمهم وانهزم طليحة بعد ذلك لما بلغه أسد وغطفان ولم يزل مقيماً في اكلب حتى مات أبو بكر رضي الله عنه ثم أتى إلى عمر ابن الخطاب فبايعه ورجع إلى بلاده وقومه

وفيها ادعت شجاج بنت الحارث النبوة في بني ثعلبة وسارت إلى مسيلمة الكذاب فتزوجت به وأقامت عنده ثلثا ثم انصرفت إلى قومها

ولما هزم خالد طليحة توجه إلى مالك ابن نويرة وهو بالبطاح فقتله هو وأصحابه ثم رجع إلى المدينة

وفيها بعث أبو بكر رضي الله عنه عكرمة ابن أبي جهل إلى قتال مسيلمة الكذاب واتبعه سرجيل ابن حسنه ثم اتبعهما خالد ابن الوليد فاجتمعوا باليمامة وكانت عدة المسلمين أربعين ألفاً (17) وكانت الكسرة أولاً على المسلمين فانهزموا وقتل زيد ابن الخطاب رضي الله عنه وجماعة كبيرة قيل إنهم ألف ومايتان ثم كثر المسلمون عليهم فهزموهم وقتلوا مسيلمة وعشرة ألف رجل من أصحابه وغنم المسلمون أموالهم ورجع من بقي إلى الإسلام.

وفيها بعث أبو بكر العلا ابن الحضرمي في جيش كثيف إلى قتال المرتدين بالبحرين فانهزم المرتدون وقتل منهم خلق كثير ثم رتب العلا ابن الحضرمي عسكر المسلمين في جهاد المرتدين حتى أبادهم ورجع بعضهم إلى الإسلام وقتل من ثبت على ارتداده وافنحم العلا بمن معه البحر إلى دارين فقتلوا أهلها جميعهم واستباحوا أموالهم.

قال وفي السنة الثانية عشر كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد ابن الوليد يأمره بالمسير إلى العراق فسار إليها وصالح أهلها وقرايا السواد على أن يؤدوا الجزية وكانت أول جزية قدمت المدينة ثم فتح الأنبار وعين اليمن وأنفذ السبي إلى المدينة وسار إلى دومه الجندل فقتل المنذر وسبى ابنه الجودي وكانت لخالد في هذه السنة وقعات عديدة كان الظفر فيها للمسلمين وقتل من المشركين فيها ما لا يحصى كثرة وغنم المسلمون من الأموال ما لا يحد ولا يعد.

قال وفي سنة ثالثة عشر جهز أبو بكر رضي الله عنه الجيوش إلى الشام فبعث عمراً ابن العاص إلى فلسطين ويويد ابن أبي سفيان وأبا عبيدة ابن الجراح وسرجيل بن حسنة إلى البلقا وعلياً الشام وخالد بن سعيد بن العاص إلى تيما.

قال وفيها كانت وقعة بالشام بين خالد وبين بطريق من الروم اسمه ماهان فهزمه خالد ابن سعيد إلى باب دمشق ونزل خالد مرج الصغير فأخذت الروم عليه الطريق وتأخروه القتال فقتل ولد سعيد وأكثر من معه (18) فانهزم بعض أصحابه إلى ذي المروة فلما بلغ أبا بكر الخبر سير معويه ابن أبي سفيان إلى أخيه مدداً في جند من المسلمين.

وفيها كتب أبو بكر إلى خالد ابن الوليد وهو في العراق بأمره على أجناد الشام وأن يسير إليهم بشطر من معه فسار إليهم خالد في تسعة ألف.

وفيها فتحت مدينة بصرى وهي أول مدينة فتحت بالشام.

قال وفي هذه السنة توفي أبو بكر رضي الله عنه وذلك في يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيام وقيل سنتين وأربعة أشهر إلا أربعة ليال وكان عمره ثلاث وستين سنة وكان مرضه السل وصلى عليه عمر ابن الخطاب ودفن في حجرة عائشة.

قال كان طويلاً ادم وقيل أبيض نحيفاً خفيف العارضين يخضب بالحنا والكتم وكان متمسكاً بالزهد والورع معرضاً من طيبات الدنيا وروي أنه كان يأخذ من بيت المال ثلثة دراهم أجرة وأنه قال لعائشة رضي الله عنها انظري يا نبيه ما زاد في مال أبي بكر منذ ولينا هذا الأمر فرديه على المسلمين فنظرت وإذا كروا قطيفة ومحسه قيمة الجميع خمسة دراهم فلما جاء بذلك الرسول إلى عمر قال رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعباً.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله أن أبا بكر رضي الله عنه أول من جمع القرآن من اللوحين فإنه لما أصيبوا المسلمون باليمامة خاف أن يعدم من القرآن طائفة وإنما كان في صدور الرجال وفي الرقاع بين اللوحين وسماه مصحفاً.

قال وكتابه عثمان بن عفان وزيد ابن ثالت وقاضيه عمر بن الخطاب وحاجبه سديد مولاه وخاتمه خاتم النبي وقد ذكرنا أن خلافته أولها يوم الثلثا وآخرها يوم الثثا والمدة قرية سنتين وماية يوم لتتمة اثنتي عشر سنة (19) وماية أحد وسبعين يوماً للهجرة عنها شمسية سنتين وستة وسبعين يوماً وكانت وفاته لتمام ستة ألف وماية وعشرين سنة للعالم شمسية وكان أبو بكر رضي الله عنه يفرق في كل ليلة جمعة ما يجمع في بيت المال على أربابه على حسب الفضائل في الجند أولاً ثم بعدهم في العلماء ومن استحق الأهم في الأهم.

قال المؤرخ والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في أيام أبي بكر رضي الله عنه أن أهل فارس اجتمعوا في السنة الحادية عشر للهجرة في خلافة أبي بكر فلما صاروا إليه من الفتن وقتل ملوكهم وما دخل عليهم من الحلل فطلبوا ابناً لكسرى يقال له يزدجرد قد هرب عن سيرويه فملكوه عليهم وهو ابن خمسة عشر سنة وكانت أهويتهم مختلفة وجماعتهم منفرقة متحاربون وأهل كل أرض مدينة وقرية محاربون لمن يليهم والمدائن أيضاً مثل ذلك.

وفي السنة الثالثة عشر للهجرة عرضت رجفة شديدة بأرض فلستين ثلثين يوماً وزلزلت الأرض وعرضت فيها وباء كبير.

وفي هذه السنة نزل عسكر المسلمين على مدينة غزة ومقدمهم عمرو ابن العاص فأرسل البطريق الذي كان بها من جهة هرقل إلى المسلمين يطلب رجلاً منهم يتحدث معه فقال عمرو ابن العاص أنا أدخل إليه فشكر وعبر على غزة واجتمع بالبطريق فأكرمه ورحب به وقال ما الذي جابكم إلى بلدنا وما تريدون فقال له عمرو ابن العاص أمرنا صاحبنا أن نقاتلكم إلا أن تكونوا في ديننا فتكونوا أسوتنا وأخوتنا ويلزمكم ما يلزمنا فلا نتعرض إليكم فإن أبيتم فتؤدوا الجزية في كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناوأكم أو تعرض إليكم في وجه من الوجوه ويكون لكم عهد علينا فإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا السيف فنقاتلكم (20) حتى نعي لأمر الله فلما سمع البطريق كلام عمرو بن العاص وجسارته في كلامه فلم يشك أنه أمير القوم فأمر أصحابه إذا خرج عمرو من عنده يقتلوه وكان مع عمرو غلام يعرف بالرومية فعرفه بما قال البطريق فعمل الحيلة وعاد إلى البطريق وقال إن أكابر القوم هم عشرة رجال هم مدبروا القوم وهم أرادوا العبور معي فوجهوني لاسمع كلامك وأعود إليهم فيدخلون إليك يتحدثون معك فقال البطريق وفي القوم مثلك قال عمرو أنا أكلمهم لساناً وأقصرهم حجة وأدناهم قدراً وهم يحضرون إليك تسمع كلامهم قال البطريق افعل وفكر البطريق في أن قتل عشرة أخير من واحد ومنع من قتله رجاء أنه يحضر في جملة العشرة فيقتل الجميع فلما خرج عمر من الباب أعلم أصحابه وقال لا أعود إلى مثلها أبداً فخرج الروم إليهم فتقاتلوا فكانت

الهزيمة على الروم وقتل منهم جماعة كبيرة وما برح المسلمون في إثرهم إلى أن وصلوا بيت المقدس وقيسارية تحصنوا فيها فتركوهم ومضوا إلى البتنيه وكتبوا الخبر إلى أبي بكر فوفاه الرسول قد مات رضي الله عنه.

الثالث من خلفاء المسلمين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزيز ابن رياح بن قرط بن رواح بن عدي ابن كعب بن لؤي بن غالب.

قال بويع له بالخلافة يوم مات أبو بكر رضي الله عنه بوصية أبي بكر إليه.

(21) وفي هذه السنة الثالثة عشرة للهجرة جهز عمر رضي الله عنه أبا عبيدة بن مسعود اليقفي إلى فارس فقاتلهم بالحيرة ونصرت المسلمون وقتل من المشركين خلق كثير.

ثم كانت وقعة الحيرة فقتل فيها أبو أبيده رحمه الله وخلق من المسلمين وكانت الكسرة عليهم ثم كانت وقعة البويب فكانت الكسرة على المشركين وقتل منهم مقتلة عظيمة.

قال وفي السنة الرابعة عشر كان فتح دمشق وذلك أن المسلمون نازلوها وأميرهم خالد بن الوليد وكان عمر رضي الله عنه لما أقصت إليه الخلافة عزل خالد بن الوليد عن الشام وولى أبا عبيدة بن الجراح فلم يعلم أبو عبيدة خالد بذلك إلا بعد فتوح دمشق ولما نزل المسلمون دمشق حاصرها حصاراً شديداً ونصبوا عليها المناحنيق وأقاموا عليها سبعين ليلة وقيل ستة أشهر ثم فتحت فدخلها خالد من باب توما عنوة ودخلها أبو عبيدة من باب الجابية صلحاً وكان فتحها في شهر رجب.

قال وفيها ولى عمر رضي الله عنه حرب العراق سعد بن أبي وقاص وبعث معه الجيوش فصار إلى القادسية واجتمع معه اثنا عشر ألفاً فجأتهم الفرس وقائدهم رستم في ثلثين ألفاً فكانت بالقادسية وقعات منها يوم اعواث وسمي بذلك لوصول ستة ألف من أجناد الشام مدداً لهم وهم في القتال ثم كانت ليلة الهريزة فكان القتال فيها شديداً واقتتلوا صبيحاً إلى أن قام قائم الظهيرة وقتل رستم وقتل من عسكره خلق كثير وكان عدة عساكر المشركين في القادسية ماية ألف وعشرين ألفاً فكانت عساكر المسلمين قريباً من ثلثين ألفاً وعدة من أصيب من المسلمين منها سبعة ألف وخمس ماية وهلك من الفرس أكثرهم.

وفي هذه السنة أحيط المسلمون البصرو والكوفة بأمر عمر رضي الله عنه.

(22) قال وفي السنة الخامسة عشر للهجرة اجتمعت الروم وحشدت وقصدت جيوش المسلمين ستة وثلثين ألفاً وعدة المشركين مائتي ألف وأربعين ألفاً وهزم المسلمون عددهم وقتلو منه ما لا يحصى كثرة.

قال وفيها كانت غزوات كثيرة مع الروم وكان الظفر فيها للمسلمين.

قال ثم نزل أبو عبيدة وخالد على حمص فحاصروها مدة ثم صالحهم المسلمون على الجزية وأمنوهم.

قال ثم بعث أبو عبيدة خالد إلى قنسرين ففتحها صلحاً بعد أن قاتله متياس في جمع كبير من الروم بالحاضر فقتل متياس ومن معه و خالد تلك البلاد ومهدها.

وفي السنة السادسة عشر للهجرة خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وقيل عثمان بن عفان ونزل الجانبه وصالحه الارطنون صاحب الرملة وكان عمرو بن العاص وسرجيل محاصرين لها.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله ولما صالح عمر رضي الله عنه الارطنون بعث عمر ابن العاص وسرجيل إلى بيت المقدس فحاصرها فلما أجهدهم البلاء طلبوا الصلح على أن يكون أمانهم من عمر رضي الله عنه فأجيبوا إلى ذلك وصالحهم عمرو لما تمهدت لعمر رضي الله عنه فلسطين والأرض المقدسة وضرب الجزية على أهلها سير عمراً ابن العاص إلى مصر في جمع كثيف من المسلمين.

قال وفي هذه السنة فتح سعد بن أبي وقاص مدائن كسرى وعبر هو والمسلمون إلى المدائن واستولوا على أموال كسرى ودخايره ويقال أنهم وجدوا من المال ثلثة ألف ألف ألف دينار ووجدوا بيتاً فيها سلال مختمة بالرصاص فيها أواني الذهب والفضة ووجدوا بيتاً مملؤاً كافوراً فظنه المسلمون ملحاً فاستعملوه في العجين فمرر الخبز.

قال وجدوا تاج كسرى (23) وثيابه المنسوجة بالذهب المرصعة بالجوهر وادراع كسرى ومغافره ووجدوا ستر الإيوان فخرقه سعيد فخرج منه ألف ألف مثقال قيمة المثقال عشرة دراهم قال ووجدوا بساطاً من حرير طوله ستون ذراعاً في عرض مثله فيه صور وفصوص كالأزهار وفي حافته كالأرض المزدرعة بقولاً وكلا على شكل نبات الأرض في زمن الربيع بالفصوص والذهب والفضة فلما وصلوا إلى عمر رضي الله عنه قطعه وقسمه بين المسلمين فأصاب علياً عليه السلام قطعة أباعها بعشرين ألفاً ولم تكن بأجودها.

قال وفي هذه السنة كانت وقعة جلولا مع الفرس فانتصر المسلمون عليهم وانهزم ملك الفرس يزدجرد إلى فرغانه وهو آخر ملوكهم قال وكانت وقعة جلولا بعد تسعة أشهر من فتح المدائن.

وفيها عاد عمر رضي الله عنه من الشام إلى المدينة.

وفيها قدم حبلة بن الايهم العبساني على عمر رضي الله عنه مسلماً ثم تنصر ولحق بالروم وقصته مشهورة.

قال وفي السنة السابعة عشر للهجرة قصد ملك الروم حمص في جمع كثيف وأحاطوا بها وبها أبو عبيدة فاستمد عمر رضي الله عنه فأمده بأربعين ألفاً من جيش سعد ابن أبي وقاص وبجماعة آخرين فازلوا الروم عن حمص وهزموهم.

قال وفيها خرج عمر رضي الله عنه إلى الشام حتى انتهى إلى دمشق فمهد الشام ومن بها من المشركين وهي خرجته الرابعة.

قال وفي السنة الثامنة عشر للهجرة حاصر عمرو بن العاص مصر أشد حصار واستمد عمر فأمده بالزبير بن العوام بأربعة ألف وفيها فتح مصر وقيل في السنة التاسعة عشر للهجرة.

قال نصبوا عليها المناحنيق وملكها المقوقر ثم وقع الصلح بين عمرو والمقوقر (24) على دينار مصري على كل شخص بمصر وأن يضيفوا كل من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام وكانت الجزية عليهم في كل سنة اثني عشر ألف ألف دينار ثم توجه عمر إلى مريوط وفيها جماعة من الروم فهزمهم ثم إلى كوم شريك وفعل كذلك ثم وافى الإسكندرية فنزل عليها محاصراً لها.

وفيها كان عام للرمادة بالحجار اجدبت الأرض وهلكت الماشية فاستشفا عمر والعباس رضي الله عنهما فشفوا.

وفيها كان طاعون عمواس بالشام ومات فيه من المسلمين خمسة وعشرون ألفاً منهم بو عبيدة بن الجراح وسرجيل بن حسنة ومعاد بن حميل والفضل ابن العباس ويزيد بن أبي سفيان.

قال وفي سنة تاسعة عشر للهجرة توفي هرقل ملك الروم وورد الخبر بموته وقيل أنه هلك في سنة عشرين وقيل في سنة إحدى وعشرين وعمرو بن العاص حينئذ محاصراً إسكندرية فوهنت شوكة الروم بموته.

قال وفيها دون عمرو بن العاص رضي الله عنه الدواوين وهو أول من دونها وقيل كان ذلك في سنة ستة وعشرين.

قال وفي سنة عشرين للهجرة كان فتح الإسكندرية وذلك وقت صلاة الجمعة مستهل المحرم وكان مدة الحصار عليها أربعة عشر شهراً وعدم من المسلمين على حصارها ثلثة وعشرون ألف رجلاً.

وفيها أحيط عمرو بن العاص مدينة مصر وهي الفسطاط وإنما سميت بذلك لأن فسطاط عمرو كان مضروباً عليها قبل توجهه إلى الإسكندرية فلما توجه إليها أمر بنزع فسطاطه وإذا فيه حمام قد فرخ فقال عمرو لقد تحرم منا بمحرم لا تغيروه وأقروه على ذلك وأوصى به نوابه فلما فتحت الإسكندرية وعاد المسلمون منها قالوا أين نزل قالوا الفسطاط فسميت بذلك.

(25) قال وفي سنة إحدى وعشرين كانت وقعة نهاوند وذلك أن الفرس اجتمعوا بها فسار إليهم النعمان بن مقرن في جيش من المسلمين فاقتتلوا فقتل النعمان بعد ثلثة أيام فقام مقامه حذيفة بن اليمان ثم انتصر المسلمون وانهزم المشركون وقتل منهم خلق كثير.

وفيها فتح المغيرة بن شعبة أذربيجان صلحاً وفتح عمرو بن سعيد عين ورده وحران والرها وفتح عياص بن عيسى الرقة ونصيبين وما يليها وفتح أبو موسى الأشعري الأهواز والسيواس وفيها فتحت خراسان على يد النعمان ابن مقرن قبل وقعة نهاوند وفيها توفي خالد بن الوليد بحمص.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله وفي السنة الثالثة وعشرين للهجرة كان مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة واسمه فيروز وكان فارسياً مجوسياً وقيل نصرانياً وسببه أنه شكى إلى عمر رضي الله عنه ثقل الخراج الذي جعله عليه المغيرة وهو درهمان كل يوم فقال له عمر ما أراه كثيراً فاخفظه ذلك وضرب عمر صلاة الصبح يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة عندما كثر بكره الإحرام فجاء بخنجر له راسان ونضابه في وسطه ثلث ضربات إحداهن تحت سرته ثم قتل وصلى بالناس عبد الرحمن بن عوف وحمل عمر رضي الله عنه إلى منزله فأمر صهيباً أن يصلي بالناس ثلاثاً وجعل عمر رضي الله عنه الخلافة مستوراً في ستة وهم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وسعيد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم وجعل ابنه عبد الله مشيراً وليس له من الأمر شيئاً فأقام عمر جريحاً ثلاثة أيام وتوفي لأربع بقين من ذي الحجة من هذه السنة وقيل في يوم الاثنين لليلتين بقيتان من ذي الحجة وصلى عليه صهيب بن ترصيب بن عمر واليه ودفن في حجرة عائشة.

(26) قال صفته كان شديد الأدمة أصلع طوالاً أعسر أيسر ختما وكان سيرته العدل والزهد والورع وهي مشهورة وهو أول من أرخ بعام الهجرة وختم الكتب وهو أول من دعي بأمير المؤمنين وأول من ضرب بالذرة وحملها وأول من جمع الناس على إمام واحد في رمضان وفي أيامه كان الفتوحات الجليلة المذكورة أولاً.

قال وكتابه عبد الله بن حلف الجراعي وزيد بن ثابت وعلي بن المل والمال ابن زيد بن أرقم قضاتة يزيد بن أخت عمر بالمدينة وأبو ميه بن الحادث الكندي بالكوفة وحاجبه يزيد مولاه وخاتمه خاتم النبي صلى الله عليه.

واختلف الناس في أول يوم خلافته والذي عليه التاريخ هو يوم الأربعاء وآخرها يوم الاثنين والمدة عشر سنين وماية وثمانية وسبعين يوماً قمرية لتكملة اثنتين وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وسبعة وعشرين يوماً للهجرة عنها شمسية عشر سنين وسبعين يوماً وذلك لتتمة ستة ألف وماية ست وثلثين سنة وشهرين وخمسة أيام شمسية للعالم.

قال وكان عمر في كل ليلة جمعة يفرق ما يجمع في بيت المال على أربابه على حسب الحاجات وخالف اجتهاده اجتهاد أبي بكر في معرفته على حسب الفضائل واحتج بأن قال أن المال جعل لدفع الضرورات الدنيا فملاحظة الحاجة به أولاً وأمس وأما الفضائل فنوابها في الآخرة.

والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن هرقل ملك الروم كان بحمص لما فتح المسلمون طبرية فلسطين والساحل فبلغه ذلك فتوجه إلى أنطاكية واستجلت المستعربة من غسان وجدام ولحم وكل من قدر عليه وقدم عليهم بطريقا اسمه ماهان ووجه به إلى دمشق وكتب إلى منصور عامله بأن يربح عليهم بالمال وكان منصور موغر الصدر عليه لأن (27) هرقل كان عاقبه واستخلص منه المال لما كانت القسطنطينية محصورة فاعتذر أنه ليس بدمشق مال وأن العرب قوم عراة وما يحتاجون إلى هذا كله فخرج ماهان والعسكر الذي معه فصادف جيوش عمر قد وصلوا الجولان وصار الوادي بينهم مثل الخندق فأقاموا أياماً وخرج منصور يريد عسكر ماهان البطريق ومعه مال قد جباه من دمشق لينفق في العسكر فوصل في الليل وكان معه خلق كثير من أهل دمشق ومشاعل وطبول وبوقات فلما نظر عسكر ماهان الجموع التي مع منصور والطبول والبوقات توهموا أن العرب جاءوهم من خلفهم وكبسوهم فوقعت فيهم الهزيمة فسقطوا كلهم في الوادي وماتوا ولم ينج منهم إلا قليلاً هربوا إلى دمشق وغيرها من الأماكن وعاد منصور ومن معه إلى دمشق واهتموا للحصار وجمعوا ما قدروا عليه من طعام وماشية ووضعوا على أبواب دمشق العرادات والمنجنيقات وأقاموا المقاتلة ونزل خالد بن الوليد بباب الشرقي ونزل أبو عبيدة بن الجراح بباب الجابية ونزل عمرو بن العاص بباب توما ونزل يزيد بن أبي سفيان بباب الصغير فأقاموا على دمشق ستة أشهر وكانت بينهم حروب كثيرة فلما أجهد أهل دمشق الحصار صعد منصور عامل دمشق وطلب من خالد بن الوليد الأمان لمن بدمشق من الروم فأجابه إلى ذلك وفتح له الباب ودخل خالد بن الوليد المدينة وأمر أصحابه أن يغمدوا السيوف فبلغ بقية الروم الذين على الأبواب أن المسلمين دخلوا المدينة فهربوا وتركوا بقية الأبواب فدخل أبو عبيدة بن الجراح بالسيف من باب الجابية ودخل يزيد من باب الصغير وعمرو بن العاص من باب توما بالسيف ولم يزالوا يقتلون إلى أن التقوا خالد بن الوليد ومنصور معه وبيده الأمان (28) منشوراً فاختلفوا ساعة ثم وافقوا على الأمان خطوطهم فيه ولهذا كان جامع دمشق بعضه كنيسة وبعضه مسجد لأنه كان كنيسة في أيام الروم وأخذ منصور من بقي من الروم ولحق بهرقل إلى أنطاكية فلما بلغ هرقل أن دمشق قد أخذت قال عليك السلام يا سورية أي عليك السلام يا شام وسار إلى قسطنطينية وأما ماهان البطريق فإنه لما هرب من وقعة الجولان توجه إلى طور سينا وترهب لأنه خاف أب يعود إلى هرقل.

قال ولما فتح عمر رضي الله عنه بيت المقدس كتب لمن فيها أماناً نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب لأهل مدينة إيليا أنهم آمنون على دمائهم وأولادهم ونسوانهم وأموالهم وجميع كنايسهم لا تهدم ولا تسكن.

فلما دخل المدينة جلس في وسط صحن كنيسة القيامة فلما حان وقت الصلاة قال عمر رضي الله عنه أريد أصلي قال البطريرك يا أمير المؤمنين صل موضعك قال لا وخرج خارج الكنيسة وصلى على باب الدرجة على باب الكنيسة وحده ثم جلس وقال للبطريرك لو صليت داخل الكنيسة كان المسلمون يأخذونها بعدي ويقولون هنا صلى عمر وكتب لهم خطاً أن لا يصلي أحد المسلمين على الدرجة إلا واحداً واحداً ولا يجمع فيها الصلاة ولا يؤذن عليها ثم قال عمر رضي الله عنه للبطريرك عرفني موضعاً أبني فيه مسجداً قال له البطريرك عن الصخرة التي كلم الله يعقوب عليها فلما جاء عمر إليها وجد تراباً كثيراً عليها فأخذ عمر من التراب في ثوبه فلما نظر المسلمون عمر قد حمل التراب لم يتأخر أحد منهم حتى حمل التراب في ثوبه فتنضفت للوقت فأمر عمر أن يبني هنا المسجد في آخرها ومضى إلى بيت لحم ودخل إلى كنيستها وصلى عند الحينة التي (29) ولد فيها السيد المسيح وكتب سجلاً أن لا يصلي في هذا الموضع من المسلمين إلا رجلاً بعد رجل ولا يجمع فيه صلاة ولا يؤذن فيه وعاد عمر بن الخطاب إلى المدينة ثم بعد ذلك كتب إلى عمرو بن العاص بأنه يتوجه إلى مصر ويفتحها وقيل أنه كتب في الكتاب إن وافاك كتابي هذا وأنت في أرض الشام فلا تعبر إلى مصر وإن وافاك وقد دخلت حدود مصر فاعبر على خيرة الله فلما وصله الرسول قال له عمرو ما خبرك قال إن عمر قد كتب إليك بكذا وكذا قال له أبق الكتاب معك ورحل إلى أن وصل إلى العريش فأحضر الرسول محضور أكابر القوم وأخذ الكتاب منه وقرأه عليهم وسأل هل العريش من حدود الشام أم من حدود مصر فقيل له من حدود مصر قال نعبر على خيرة الله تعالى فعبر إليها في سنة ثمان عشرة للهجرة في جمع كثيف من المسلمين.

قال وكان المقوقس عاملاً على مصر من جهة هرقل فاجتمع هو وأكابر القبط وصالحوا عمراً بن العاص على أن يؤدوا الجزية فلما تحقق الروم الذين بمصر اتفاقهم هربوا إلى الإسكندرية وتحصنوا فيها وقاتلوهم المسلمون قتالاً شديداً واقتحم العرب حصن الإسكندرية فحاشت عليهم الروم وأخرجوهم وأسروا عمراً ابن العاص ومسلمة بن مخلد ووردان مولا عمرو فقال لهم البطريق بالإسكندرية قد صرتم أسرى في أيدينا فعرفونا ما الذي تريدون منا فقال لهم عمرو إما أن تدخلوا في ديننا وإما أن تؤدوا الجزية وإما أن نقاتلكم إلى أن نفي لأمر الله فقال البطريق لأصحابه أظن هذا أمير القوم وأراد أن يضرب عنقه ففهم وردان بالرومية كلام البطريق فجذب عمراً ولكمه وقال ما لك ولهذا القول وأنت أدنى من في الجماعة وأقل فاترك غيرك يتكلم فقال البطريق لو كان هذا أمير القوم ما كان يفعل به هكذا (30) فقال مسلمة إن أميرنا كان عازماً على الانصراف عنكم وأراد أن يسير من أكابر القوم من يتفق معكم على شيء تتراضون عليه فإن اطقتمونا مضينا وعرفناه ما صنعتم بنا من الجميل ويتفق الأمر بينكم وننصرف عنكم فتوهم البطريق أن الأمر كذلك فأطلقهم فلما خرجوا قال مسلمة لعمرو يا عمر قد خلصتك لكمة وردان وبعد

ذلك قاتلهم عمرو بن العاص والمسلمون إلى أن فتحوها وهرب الروم إلى المراكب فكتب عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب إني فتحت مدينة المغرب ولا أقدر أصف ما فيها غير أن فيها أربعة ألف حمام واثنا عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر وأربعة ألف يهودي يؤدون الجزية وأربع ماية ملهى فكتب عمر رضي الله عنه يشكره ويعرفه أن الغلاء قد وقع بالمدينة وأن الناس في جهد من الغلاء فبعث عمرو بجمال موقرة حنطة أولها الإسكندرية وآخرها المدينة.

قال فكتب عمر إلى عمرو بن العاص بان يحفر خليجاً يحمل فيه الغلال إلى القلزم ومن القلزم إلى المدينة في البحر المالح فحفر عمرو الخليج المعروف بخليج أمير المؤمنين وكانت المراكب تحمل الغلال من الفسطاط إلى القلزم في الخليج ومن القلزم إلى المدينة في البحر المالح.

قال وفتح عمرو بن العاص برقة وطرابلس العرب.

قال وفي سنة عشرين للهجرة كتب عمرو بن العاص لبنيامين بطريرك الإسكندرية لليعاقبة أماناً فحضر بفرح عظيم بعد أن غاب عن كرسيه ثلث عشرة سنة منها عشر في مملكة هرقل وثلاث في مملكة المسلمين.

قال فيها فتح الموصل والجزيرة وامد اصطخر وبعض بلاد خراسان.

قال وتوفي هرقل بعد أن ملك إحدى وثلاثين سنة وملك قسطنطين بن هرقل ستة شهور وقتله بعض نسا أبيه وملك هرقل بن هرقل ثم خلعوه وملك قسطنس بن قسطنطين بن هرقل على الروم سبعة وعشرين سنة.

(31) قال بعض المؤرخين أن قسطنطين أخو هرقل قتل في سنة عشرين للهجرة وبعد ذلك اجتمع الوزراء والبطارقة والقواد وأكابر المملكة على هرقل فقتلوه لأنهم لم يجدوا في أيامه خيراً وتشاؤموا به لخروج الشام ومصر والإسكندرية عن مملكة الروم.

قال وملكوا عليهم قسطنطين بن قسطنطين أخي هرقل ست عشرة سنة وكان مليكاً وعمل في أيامه مجمع بطاركة الروم ومات.

الرابع عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال الشيخ أبو جعفر الطبري هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قضي ويكنى أبا عمر وقيل أبا عبد الله وأمه أروى بنت كرير بن ربيعة بن عبد شمس وأمها البيضا ابنة عبد المطلب.

قال وأخرج عبد الرحمن نفسه من الأمر على أن يختار رجلاً من أهل الشورا فرضي أهل الشورا بذلك إلا علي بن أبي طالب ثم أجاب إلى ذلك بعد أن توثق علي عليه السلام من عبد الرحمن بالأيمان ألا يميل لأحد من أهله

يعرض نفسه وشاور عبد الرحمن أهل الشورا وغيرهم فأشاروا لعثمان بن عفان فبايعه عبد الرحمن بالخلافة وبايعه بقية رجال الشورا وبايعه الناس واستقر له الأمر واختلف الناس في الوقت الذي بويع له فيه فقال بعضهم يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلث وعشرين للهجرة وانتقل خلافته في محرم سنة أربع وعشرين وقال آخرون بويع لعثمان لعشرين من المحرم بعد مقتل عمر بثلثة ليال.

(32) قال وفي هذه السنة فتح المغيرة بن شعبة البيره وهمدان وفيها غزا معاوية بن أبي سفيان أمير الشام بلد الروم وفتح مدناً كثيرة.

قال وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان رضي الله عنه عمراً بن العاص عن مصر ولاها أخاه الرضاعة عبد الله بن سعيد بن أبي شرح العامري.

قال وفي سنة سبع وعشرين كان فتح إفريقية فتحها عبد الله بن سعيد أمير مصر وقتل ملكها واستولى على أمواله وفتح معاوية بن أبي سفيان قبرص وأقام المسلمون يأخذون الجزية من أهلها قريباً من سنتين.

قال وفيها بعث عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عامر بن كريرة وسعيد ابن العاص لفتح خراسان قال ومن سبق منكما إليها فهو أمير عليها ومضيا وفتحا بلاداً كثيرة منها نيسابور وهراة وبوشنج وطوس وابريم ومروا الرود والطالقان وطخارستان وسرخس وغير ذلك ولم يرجع عبد الله بن عامر حتى شرب من نهر بلخ.

قال وفي سنة إحدى وثلثين هلك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ملك الفرس وهو آخر ملوكهم فزالت حينئذ دولتهم بالكلية وصارت بلادهم وممالكهم للمسلمين.

وفيها توفي أبو سفيان بن حرب بن أمية بالمدينة وله ثمان وثلثون سنة.

وفيها غزا عبد الله بن سعيد أمير مصر بلد النوبة فصالحه ملكها على جملة عظيمة من السبي.

وفيها جعل أبو در العقادي يذكر مساوئ عثمان بن عفان فأمر عثمان أن يغيب وجهه عنه فسار إلى الشام وأقام فيها على ثلب عثمان فكتب معاوية بن أبي سفيان إلى عثمان بذلك فأمر بإشخاصه إليه فشخص إليه فرده المريده فمات بها.

وفي سنة اثنين وثلثين توفي العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وقد كف بصره وكان من أجود قريش وكان إذا مر بعمر أو بعثمان وهما راكبان (33) ترجل إجلالاً له.

وفيها توفي عبد الرحمن ابن عوف وله خمس وسبعون سنة وأوصى لكل رجل من أهل بدر بخمس ماية دينار وكانوا يومئذ ماية رجل وقسمت تركته على ستة عشر سهماً فكان كل سهم ثمانين ألف دينار.

وفيها توفي عبد الله بن مسعود وأبو در العقادي.

وفي سنة ثلاث وثلثين توفي سليمان الفارسي وعمره مما ذكر مايتين وست وخمسين سنة وقيل ثلثماية وخمسين سنة.

قال وفي سنة خمس وثلثين كثر الطعن على عثمان والقدح فيه ومن جملة الأمور التي يقيمها عليه الناس رد عمه الحكم بن أبي العاص إلى المدينة وكان النبي صلى الله عليه قد طرده إلى الطايف ولم يرده أبو بكر ولا عمر ومنها عزله عن الكورة سعيد بن أبي وقاص أحد رجال الشورا وتولية العقبه بن أبي مغيظ مكانه مع شربه الخمر واشتهاره بالفسق ومنها إعطاؤه مروان ابن الحكم بن أبي العاص ابن عمه خمس غنايم إفريقية وهي على ما قيل خمس ماية ألف دينار وأربعة ألف دينار وإعظاؤه سعيد بن أبي العاص أربعين ألف درهم وتولية عبد الله بن سعيد بن أبي شرح مصر وهو كان من كتاب الوحي وارتد عن الإسلام واهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة فسأل فيه عثمان فأمنه النبي وطرده ومنها استسلاف لنفسه من بيت المال ماية ألف درهم وكتب عليه بها حجة وأداها عند الأجل ثم أراد أن يستسلف شيئاً آخر فمنعه صاحب بيت المال وعرف المسلمين ذلك فخطب عثمان رضي الله عنه وقال إنا نستسلف من بيت مالكم ونرد عليكم ثم تكلم هذا السفيه فسمعتم ولعمري لنأخذن حاجتنا وإن رغم أنف أقوام فقال له علي إذن تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه وقال عمار أشهد الله أن أبقى أول زاعم فأمر به عثمان فضرب حتى غشي عليه فلما جاء يوم الجمعة خطب عثمان والناس (34) في المسجد ثم قال اللهم إني أشهدك أني أول تايب قال ثم اضطربت الأمصار على عثمان وأشتد الإنكار عليه وتفاقم الأمر في ذلك.

وفيها سار عبد الله بن سعيد بن أبي شرح إلى عثمان في رجب فمضى محمد بن حنيفة إلى مصر وكان من أكبر المولبين على عثمان وأخرج عقبه بن تمام خليفة عبد الله بن سعيد من مصر وخلع عثمان وتأمر على مصر وعاد عبد الله بن سعيد إليها فلم يمكنه محمد بن حنيفة من الدخول إليها فرجع إلى عسقلان ومات بها.

قال وفي هذه السنة قدم إلى المدينة الأشتر ملك بن حرث النجعي في مايتي رجل من الكوفة وقدم من البصرة ماية وخمسون رجلاً ومن مصر ستماية رجل كلهم مجتمعون على خلع عثمان من الخلافة ثم اجتمعوا بالمدينة فسير إليهم عثمان المغيرة بن شعبة وعمراً بن العاص ليدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه فردوهما أقبح رد فبعث إليهم علي بن أبي طالب فدعاهم إلى ذلك وضمن لهم ما يعدهم به عثمان وكتب علي وعثمان كتاباً بإراحة عللهم وأخذوا عليه عهد الله وأشهدوا علي ابن أبي طالب بضمان ذلك شهوداً واقترح المصريون على عثمان عزل عبد الله بن سعيد بن أبي شرح وأن يولي مكانه محمداً بن أبي بكر الصديق فأجابهم إلى ذلك وولى محمد ابن أبي بكر وكتب له بذلك عهداً.

قال وافترق الجمع كل منهم إلى بلدة فلما وصل المصريون إلى ايله وجدوا رجلاً علي نجيب لعثمان ومعه كتاب مختوم بخاتم عثمان وعنوانه من عثمان إلى عبد الله بن سعيد وفيه إذا قدم محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقطع أيديهم وأرجلهم وإرفعهم على جذوع النخل فرجع المصريون إلى المدينة وكذلك لما بلغهم ذلك البصريون والكوفيون فاجتمعوا على حصار عثمان في داره ونسبوه أنه أمر يكتب (35) الكتاب وقيل أن مروان بن الحكم فعل ذلك بغير أمر عثمان وكان من أعظم المواليين عليه محمد بن أبي بكر وعائشة وطلحة بن الزبير وكان ابتدأ الحصار ليلة بقيت من شوال واشتد الحصار ومنع أن يصل إليه ماء فلما كان يوم الجمعة لثمان خلون من ذي الحجة دخل المحاصرون إليه بعد أن قاتل دونه الحسن والحسين بأمر أبيهما وخرج الحسن يومئذ وأخذ محمد بن أبي بكر بلحية عثمان ثم أرسلها قيل أنه ضربه بمشقص كان في يده وكان المصحف في حجره فقطرت قطرة من الدم عليه وضربه بسار بن عياض الأسلمي وسودان بن حمران بسيفهما وجلس عمر بن الحمق على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات فمات وكانت مدة الحصار ثمانين يوماً وقيل خمسين وقيل أربعين وأقام ثلاثاً لم يدفن ثم كفن في ثيابه ودمائه لم يغسل ولم يصل عليه وقيل صلى عليه جبير بن مطعم ودفن ليلاً في حس كوكب والحس البستان وكانت مدة خلافته اثنتي عشر سنة إلا ثمان ليال وكان مقتله لاثنتي عشر ليلة بقيت من ذي الحجة وقيل قتل يوم الأربعاء ودفن يوم السبت الظهر وقيل قتل يوم الأضحى وكان عمره اثنتين وثمانين سنة.

قال كان طويلاً من الرجال حسن الوجه أسمر وافر اللحية وكان مكثراً من الصيام والقيام وتلاوة القرآن وكان من مناشير الصحابة وجهز جيش العسرة بعشرة ألف دينار وثلثماية بعير وخلف أموالاً جزيلة قيل كانت خمس ماية ألف ألف درهم وماية ألف وخمسين ألف دينار انتهبت يوم الدار وكانت له بالبريده ألف بعير وترك صدقات يتصدق بها قيمتها مايتي ألف دينار وكان أصل الإنكار عليه توليته أقاربه وأهل بيته لأنه كان كثير الحب إليهم والميل إليهم فصدرت عنهم أفعال ردية نسبت كلها إليه وكان كاتبه (36) مروان ابن الحكم أشدهم ضرراً عليه لما كان يتعاطاه من الأمور المخالفة للشرع وكانت تنفذ منه الكتب إلى سائر الأمصار بما لا يليق فيظن أنه بأمر عثمان وعن إذنه وآخر أمره تزويره الكتاب عن عثمان بقتل محمد بن أبي بكر وختمه بخاتمه وحاصل الأمر أن عثمان لم يوب بقربته لمروان وأهل بيته لكن إذا قدر الله أمراً قدر أسبابه.

قال وكان قاضيه كعب بن سويد وحاجبه حمران مولاه ونقش خاتمه آمنت بالله الذي خلق فسوى والذي صح عليه التاريخ أن مدة خلافته إحدى عشرة سنة وثلثماية أربعة وأربعين يوماً قمرية لتكملة أربعة وثلثين سنة وثلثماية أربعة وأربعين يوماً للهجرة عنها سنين شمسية إحدى عشرة سنة ومايتي وثلاثة وعشرين يوماً لتتمة ستة ألف وماية سبعة وأربعين سنة وتسعة أشهر شمسية للعالم.

الخامس علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال الشيخ أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى علي رضي الله عنه ابن أبي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قضي ويكنى أبا الحسن وأمه فاطمة ابنة أسد بن هاشم ولم يل الخلافة من أبوة هاشميين غير علي ابن أبي طالب وابنه الحسن ومحمد الأمين بن زبيدة بويع له بالخلافة يوم قتل عثمان رضي الله عنه فولي مصر قيس بن سعيد.

قال وفي السنة السادسة والثلثين سار الزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله إلى مكة ونكثا بيعة علي وأظهرا أنهما يطلبان دم عثمان وكانت عائشة حين قتل عثمان بمكة فلما بلغها قتل عثمان وبيعة على اكلبت الناس على علي ودعتهم إلى أخذ تار عثمان رضي الله عنه (37) وقيل أنها قالت قتل عثمان والله مظلوماً والله لأطالبن بدمه فقال لها أين أم كلاب والله لقد كنت تقولين اقتلوه قتلاً فقد كفر قالت استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأول فقال أين أم كلاب.

منك الندا ومنك الغير ومنك الرياح.

ومنك المطر وأنت أمرت بقتل الإمام وقتله.

عندنا من أمر ولم يسقط السقف من فوقنا.

ولا انكشفت شمسنا والقمر.

قال ثم سارت عائشة وطلحة والزبير من مكة قاصدين البصرة في جيش كثيف فاستولوا عليها ونهبوا بيت مالها فسار إليهم علي من المدينة في عشرين ألفاً ومع عائشة وطلحة والزبير ثلثون ألفاً فالتقوا بالبصرة يوم الخميس عاشر جمادى الأولى فقتل طلحة وانهزم الزبير فلحقه عمرو بن جرموز فقتله بوادي السباع وكان سن كل واحد من طلحة والزبير أربعة وستين سنة وانهزم أصحاب عائشة بعد أن قتل من الفريقين ما ينيف عن ثلثين ألفاً وقيل كان عدة المقتولين من أصحاب الجمل ثمانية ألف وقيل سبعة عشر ألفا وقتل من أصحاب علي نحو ألف وقيل قطع علي خطام الجمل الذي كانت عائشة ركبته سبعون يداً كلهم من بني ظبه كلما قطعت يد رجل تقدم آخر ثم عقر الجمل بعد أن صار كالقنفذ من السهام والذي عقره الأشتر مالك النجعي وعمار بن ياسر ثم احملوا الهودج ونجوا عائشة منه ويقال أن علي رضي الله عنه وكز الهودج برمحه وقال كيف رأيت صنع الله بك فقالت ملكت فاسجح علي فجهزها إلى المدينة في سبعين امرأة من بني عبد الله بن قيس في هيأت الرجال ولما انتصر على أصحاب (38) الجمال توجه إلى الكوفة ونزلها وأقام بها.

وفي هذه السنة بعث علي خريز بن عبد الله النحلي إلى معوية ابن أبي سفيان يدعوه إلى البيعة فلم يجب.

وفيها عزل قيس ابن سعيد عن أمرة مصر وولاها الأشتر مالك بن حارث فمات مسموماً بالقلزم فولاها محمداً بن أبي بكر الصديق.

قال وفي هذه السنة سار علي عليه السلام من الكوفة وقدم أمامه طليعة اثني عشر ألف فارس وسار إليه معاوية بن أبي سفيان في جيوش أهل الشام فالتقوا بصفين وأخذوا في القتال وذلك في أول ذي الحجة.

قال وفي سنة سبع وثلاثين للهجرة كانت جمهور وقعات صفين بين علي ومعوية وكان مدة المقام بها ماية وعشرة أيام وقع فيها تسعون وقعة كل وقعة يتقدمها موعظة من علي وطلب من معاوية البيعة وحقن الدماء فلم يجبه معاوية وقال لا نفعل حتى تدفع إلينا قتلة فنقتلهم به ثم أعزل الأمر ليكون الخلافة سورا يولون الناس أمورهم لمن يجتمعون عليه.

قال وفي الوقعة الثالثة والثلثون من الوقعات قتل عمار بن ياسر قال والوقعة الأخيرة تسمى ليلة المرير وسميت بذلك لأن الفريقين تطاعنوا بالرماح حتى نفضت ثم تعانقوا القتال بعضهم لبعضهم وكان الرجل منهم يمر على صاحبه بحيث لا سمع منهم صوت مقوم ويقال إن علي كان كلما قتل قتيل كبر فأحصي له تلك الليلة خمسماية تكبيرة وقيل إن عدة من قتل من الفريقين تلك الليلة سبعون ألفاً من الشام خمسة وأربعون ألفاً ومن العراق خمسة وعشرون ألفاً وقيل إن هذه عدة من قتل بصفين في المدة كلها.

قال وكانت صبيحة ليلة المرير ظهوراً بيناً وكادت الغلبة تكون لهم فأشار عمرو بن العاص على معوية برفع المصاحف على الرماح خديعة (39) فرفعت على أربعة رماح وصاحوا هذا كتاب الله بيننا وبينكم فاختلف أهل العراق على علي عليه السلام وخوفوه إن لم يجب إلى ما دعي إليه أهل الشام من تحكيم كتاب الله أن يقتلوه فأمر الناس أن يكفوا عن القتال فكفوا ورجع الفريقان ثم وقع الاتفاق على أن يخرج أهل العراق حكيماً منهم وأهل الشام حكيماً منهم وتؤخذ عليهم العهود ليعملا بما في كتاب الله ثم يتبعوا بما اتفقا عليه فرضي أهل الشام بعمرو بن العاص ورضي أهل العراق بأبي موسى الأشعري وكتبوا فيه كتاباً أخذوا فيه العهود على معوية وعلي وأصحابه بالوقوف عند ما يتفق عليه الحكيمان وتقرر الأجل شهر رمضان والمجمع بدومه الجندل فأخذت العهود على الحكيمين المذكورين أن يحكما بالحق بين هذه الأمة وأشهدوا على ذلك جماعة من أكابر الفريقين ثم رجع علي بأصحابه إلى الكوفة ورجع معويه بأصحابه إلى الشام.

قيل كانت أصحاب علي بصفين تسعين ألفاً وأصحاب معويه ماية ألف وعشرون ألفاً ولما رجع علي عليه السلام من صفين فارقه اثنا عشر ألفاً من أصحابه منكرين عليه تحكيم الرجال فأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراستي فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس فناظرهم وأقام الحجة وقال إن الله تعالى أمر بتحكيم الرجال فيما قيمته ربع درهم

فكيف لا يجوز في حقن دماء المسلمين وبالغ في الاحتجاج عليهم فرجع أكثرهم إليه ولم يبق سوا عبد الله بن وهب ومعه ألف وثمنماية رجل.

وأما الحكيمان فإنهما اجتمعا بدومه الجندل مع جماعة من أصحاب علي ومعويه وكان عمرو بن العاص داهية العرب وأبو موسى الأشعري أمياً فخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري وقال نتفق على خلعهما ونقلدها عبد الله بن عمر بن الخطاب وكان أبو موسى مائلاً إلى ذلك وقيل إنهما اتفقا على خلعهما (40) ويجعلاها سورا بين المسلمين فلما اجتمع الناس قال أبو موسى الأشعري يا عمراً قم فاخلع صاحبك فأبى عمرو أن يتقدمه وأوهمه أنه يفعل ذلك إجلالاً له فقام أبو موسى فخلع علي فقام عمرو فوافقه على خلعه علي عليه السلام وأثبتها لمعويه فشتمه أبو موسى فرد عليه عمرو وتفرق الناس وأما عمرو وأصحاب معوية فإنهم عادوا إلى معوية وسلموا عليه بالخلافة.

وفي تواريخ النصارى أن قسطنطين بن قسطنطين ملك الروم مات في هذه السنة وهي السابعة والثلثون للهجرة وملك ابنه يوسطنيانوس بعده على الروم اثني عشر سنة ومات.

قال وفي سنة ثمان وثلثين التقى علي وعبد الله بن وهب البراشي وأصحابه الخوارج فقتلوا الجميع ولم يفلت منهم أحد.

وفي هذه السنة فتح معوية بن أبي سفيان مصر وعاملها لعلي محمد بن أبي بكر الصديق ومن حديث ذلك أن محمداً بن حنيفة بن عتبه كان قد تغلب في أيام عثمان على مصر وخلع عثمان وذكرنا ذلك أولاً وسار معويه بن أبن سفيان إلى مصر في سنة ست وثلاثين فساعد محمداً بن حنيفة وهو ابن خاله وجماعة ممن كان سار إلى عثمان في قتله رهينة وسيرهم معويه إلى الشام فسجنهم في بلد فلسطين ثم هربوا فلحقهم صاحب فلسطين فقتلهم في ذي الحجة سنة ست وثلاثين وسير علي عليه السلام قيس بن سعيد بن عباد الأنصاري أميراً على مصر وكان ذا رأي ودهاء فاجتهد معاوية في إخراجه من مصر فتوصل وأوهم علي بأن قيس يكاتب معاوية وربما مال إليه فعزله وولى مصر الأشتر مالك بن الحارث النجعي فلما بلغ القلزم دس عليه معاويه من أطعمه عسلاً مسموماً فمات منه (41) ولاها علي محمد ابن أبي بكر الصديق فلما دخل إليها أخرج حريثاً وكانت من أسود العرب فمضوا إلى معاويه وأخذوا عمراً بن العاص ودخلوا إلى مصر وانهزم أهل مصر فاستتر محمد بن أبي بكر فوجده معويه بن خديج فأخرجه وقتله وجعله في جيفة حمار وأحرقه بالنار فكانت ولايته خمسة أشهر وقتل وقيل أن مقتل محمد بن أبي بكر سنة أربعين وولي عمرو بن العاص مصر من جهة معاويه ابن أبي سفيان.

قال وفي سنة تسع وثلثين فرق معاويه بن أبي سفيان جيوشه في أطراف علي عليه السلام فبعث جيشاً إلى الأنبار وجيشاً إلى عين التمر ومقدمه النعمان بن بشير وجيشاً إلى بنيت وجيشاً إلى تيما لخبابة الصدقات.

وفيها بعث معاوية الضحاك بن قيس في ثلثة ألف فأغار على أرض العراق ومضى إلى أرض الحجاز وأخذوا أموالاً جزيلة وقتلوا من صادفوا من الأعراب وحبسوا الناس عن الحج بالثعلبية فسير إليهم علي حجر بن عدي في أربعة ألف فأدركوه بتدمر من أرض حمص فاقتتلوا فانهزم الضحاك وأصحابه وحجز بينهم الليل.

وفي سنة أربعين للهجرة سير معويه بن أبي سفيان بشر بن ارطاه في ثلثة ألف إلى المدينة وعامل علي عليها أبو أيوب الأنصاري فانهزم إلى الكوفة ودخل بشر إلى المدينة وبايع أهلها لمعويه وهدم دورانهم ثم مضى إلة مكة ثم إلى اليمن وعاملها لعلي عبد الله بن العباس الذي هرب إلى الكوفة وصادف بشر في الطريق ابنين له فقتلهما وقتل بصنعاء وبلاد اليمن خلقاً كثيراً من شيعة علي عليه السلام ثم عاد إلى مكة وقتل بها وبالطايف واليمامة والمدينة ثلاثين ألفاً فندب إليه علي أربعة ألف فلما قربوا إلى المدينة سار بشر وأصحابه إلى مكة.

ثم جرت مهادنة بين علي ومعويه على برل الحراب بينهم ويكون لعلي العراق (42) والمعويه الشام ولا يدخل أحدهما في عمل الآخر بجيش ولا غارة.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في هذه السنة كان مقتل علي عليه السلام وذلك أن ثلاثة من الخوارج اجتمعوا وهو عبد الرحمن بن ملجم والمبارك بن عبد الله الملقب بالترك وعمرو بن بكر التميمي على أن عبد الرحمن بن ملجم يقتل علي عليه السلام والترك معويه بن أبي سفيان وعمر التميمي عمراً بن العاص وتواعدوا لذلك ليلة سابعة عشر رمضان ومضى كل واحد منهم إلى بلد مقصده.

فأما الترك فوثب على معويه وقد خرج لصلاة الصبح فضربه بسيف مسموم فأصاب إليته فجرحه وقبض على الترك فقتل وسلم معويه.

وأما عمرو بن بكر فوثب على خارجه صاحب شرطة عمرو بن العاص ظناً منه أنه عمرو فقتله فقبض عليه وأتي به إلى عمرو بن العاص فقتله قال أردت عمراً وأراد الله خارجاً.

وأما عبد الرحمن فإنه ضرب علي على جبهته وقد خرج لصلاة الصبح فلما ضربه قال قتلته ورب الكعبة وخرج بن ملجم هارباً فأدركوه واحتاطوا به.

وحمل علي إلى منزله وأقام جريحاً ثلاثة أيام ثم قضى إلى رحمة الله وكان ضرب بن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ولما توفي دفن بالتحف وهو موضع قبره الآن وقيل دفن في الكوفة في قصر الإمارة وقيل دفن ليلاً وغيب قبره.

وقيل إن علي قال أطيبوا طعام عبد الرحمن وألينوا فراشه فإن أعش فعفواً عنه وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه بين يدي الله فلما مات أخذه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب والحسن بن علي فقطع عبد الله يديه ورجليه وأكحله بمسمر محمي وقطع لسانه ثم أحرق بالنار وقيل ضرب عنقه وجعلوه في قوصره وأحرقوه بالنار.

وكان مدة خلافة علي عليه السلام خمسة سنين إلا ثلثة أشهر (43) وكان عمره ثلاث وستين وقيل سبع وخمسين سنة وقيل ثمان وخمسين سنة.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله وكان شديد الأدمة أقرب إلى القصر عظيم البطن وافر اللحية لا بغير شيبة أصلع ويقال أنه الانزع.

قال وكان زاهداً في الدنيا شديد الخشية من الله كثير الصدقات والبر مؤثراً على نفسه مجاهداً في سبيل الله كثير الفهم عزيز العلم وقد حاز العلوم العلمية والعملية وكان شجاعاً وشجاعته مشهورة وكان سخياً حسن الأخلاق والسيرة.

قال وكاتبه عبد الله بن رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كتب له أيضاً سعيد بن نمران الهمداني وقاضيه شريح بن الحارث وحاجبه بشر مولاه نقش خاتمه الملك لله الواحد القهار وكانت خلافته أربع سنين ومايتين اثنين وستين يوماً أولها يوم السبت وآخرها يوم الأحد سنون شمسية أربع سنين ومايتين وتسعة عشر يوماً وذلك لتكملة

تسع وثلثين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوماً للهجرة سنة ستة ألف ومائة اثنتين وخمسين سنة وأربعة شهور وسبعة عشر يوماً شمسية للعالم.

قال المؤرخ والذي ورد تواريخ النصارى أن البطريرك بنيامين بطريرك الإسكندرية للقبط اليعاقبة توفي في السنة التاسعة والثلثين للهجرة وكان قدم في السنة الحادية عشر لهرقل ملك الروم واستمرت بطريركته من أول الهجرة وإلى السنة التاسعة والثلاثين وملك الفرس مصر والإسكندرية في رياستهم استمرت مملكتهم عشر سنين وذلك عند حصار القسطنطينية في أيام هرقل وأقام عن كرسيه غايباً ثلاث عشرة سنة منها عشر سنين في مملكة الفرس وثلاث سنين

في أول مملكة المسلمين ثم كتب له عمرو بن العاص أماناً فعاد إلى كرسيه بفرح عظيم وتنيح في الثامن من طوبه وقدم عوضه اغاتو على الإسكندرية.

تضمنت سير البطاركة أنه أقام سبع عشرة سنة ومات في السادس عشر من بابه وقيل أنه قدم في السنة الثالثة وعشرين من مملكة قسطنس بن قسطنطين بن هرقل ملك الروم.

(44) السادس الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال الشيخ أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى بويع له بالخلافة بالكوفة يوم توفي والده.

وفي سنة إحدى وأربعين سار معاوية بن أبي سفيان إلى الكوفة فالتقى هو والحسن عليه السلام بمسكن من الكوفة فاصطلحا وسلم الحسن الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان.

وذلك أنه لما بايع أهل العراق الحسن ابن علي رضي الله عنه على الخلافة طفق يشرط عليهم إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتاب أهل العراق الحسن ابن علي رضي الله عنه وقالوا ما هذا لكم بصاحب فلم يلبث الحسن إلا قليلاً حتى طعن طعنة اسوتة فازداد بغضاً لهم وذعر منهم فكاتب معويه وأرسل إليه بشروط وقال إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع وعليك أن تفي لي به ورقعت صحيفة الحسن في يد معويه وقد أرسل معويه قبل ذلك إلى الحسن بصحيفة بيضاء مختومة على أسفلها وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما أحببت وشئت فهو لك فلما أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التي كان كتب بها إلى معويه قبل ذلك وأمسكها عنده وأمسك معويه صحيفة الحسن التي كان أرسلها إليه وسأله ما فيها وخرج الحسن بالناس حتى نزل المداين وبعث قيس بن سعيد على مقدمته في اثني عشر ألفاً وأقبل معويه من أهل الشام فبينما الحسن في المداين إذ نادى منادي في العسكر إلا أن قيس بن سعيد قد قتل فانفر وافتقروا بسرادق الحسن حتى نازعوه بساطاً كان تحته.

فلما التقى الحسن ومعويه (45) سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرطها في السجل التي ختم في أسفله فأبى معويه أن يعطيه ذلك وقال لك ما كتبت إلي تسألني فيه فإني أعطيتكه حين جاءني كتابك فاتفقا على ذلك وكان عمرو بن العاص حين اجتمعوا بالكوفة قد كلم معويه أن يأمر الحسن أن يقوم فيخطب الناس فكره معويه ذلك فلم يزل عمرو بمعويه حتى أطاعه.

قال وخرج معويه فخطب الناس ثم قال للحسن قم يا حسن فكلم الناس فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس إن الله عز وجل هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول وإن الله تعالى قال لنبيه وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

فلما قالها قال معويه اجلس ولم يزل ضربا على عمرو وقال هذا من رأيك.

ولحق الحسن رضي الله عنه بالمدينة وكان سلم الكوفة لمعويه ودخول معاوية إليها لخمس بقين من شهر ربيع الأول ويقال جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين.

وفي هذه السنة دخل الحسن والحسين منصرفين إلى المداين وذلك أنه لما وقع الصلح بين الحسن ومعويه قام خطيباً قال يا أهل العراق إنه سجي بنفسي عنكم ثلث قتلكم أبي وطعنكم إياي وأنها بكم متاعي.

وقيل إن الصلح وقع بينهم على خمسة ألف ألف درهم أخذها الحسن من بيت مال الكوفة وكانت مدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام وقيل ماية اثنين وثمانين يوماً وكان أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة.

قال إنه كان يشبه جده صلوات الله عليه كاتبه وقاضيه هما كاتب أبيه وقاضيه خاتمه لا إله إلا الله الملك الحق المبين.

(46) السابع معويه بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله واسم أبي سفيان صحاب بن حلب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قضي وأمه هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بويع له بالخلافة لما خلع الحسن نفسه من الخلافة روى السعبي قال شهدت خطبة الحسن حين سلم الأمر إلى معويه فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن أكيس الكيس التقي وأحمق الحمق الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعويه إنما هو حق لأمري كان أحق لحقه مني أو حق لي تركته لمعويه أراده لصلاح الأمة وحقناً لدمائهم وأن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

قال وكان زياد ابن أبيه عاملاً لعلي عليه السلام على فارس وأقام باصطخر وابتنا هناك قلعة حصينة وتحصن بها فلما اجتمع الناس على معويه طلب منه بيعته فامتنع وخاف معويه أن يدعو لأحد من بني هاشم فبعث إليه المغيرة فأصلح بينهما وأقدمه على معويه طائعاً فألحقه معويه بأبي سفيان وأكرمه وأنزله بالكوفة.

قال بعض المؤرخين السبب أن معويه ألحقه بأبي سفيان أن أبا سفيان قال لعلي عليه السلام في خلافة عمر عن زياد إنه ولدي قال له علي فلما لا تعترف به قال أخاف من هذا أن يخرق شأني وأشار إلى عمر فشهد له علي بذلك فبلغ معويه هذا الكلام فألحقه بنسبه.

قال وفي هذه السنة ولي معويه عمراً بن العاص إمرة مصر.

(47) قال وفي سنة ثلاث وأربعين توفي عمرو بن العاص ليلة عيد الفطر فولى معويه مصر أخاه عتبة بن أبي سفيان قال وتوفي عتبة في سنة أربع وأربعين فولى معويه عقبة بن عامر الجهني إمرة مصر.

قال وصرفه عن إمرة مصر سنة خمس وأربعين وولى عليها مسيلمة بن مخلد الأنصاري الخزرجي فبقي عليها إلى أن توفي معويه.

وفي هذه السنة ولى معويه زياد ابن أبيه البصرة وجرد السيف وأخذ بالضنه وعاقب بالشهبه حتى خافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً ومهد الملك لمعويه وألزم الناس الطاعة له وإشتد خوف الناس منه حتى لا أمن الناس بعضهم

من بعض فكان السي يسقط من حامله فلا يقرضه غير صاحبه وساس الناس سياسة حسنة لم يروا مثلها وهابوه هيبة عظيمة لم يهابوا مثلها ثم ولاه أحدا معويه الكوفة بعد ذلك فدوخها له.

قال وفي سنة ست وأربعين غزا معويه بن عامر وبشر بن ارطاه المغرب ففتحوا مدناً كثيرة من جملتها مدينة قران وقفصه وقصطيليه حتى أتوا القيروان وكان قد فتحها معويه بن خديج وبنى فيها مدينة لم يعجبهم بناؤها فأحيط المدينة المعروفة بالقيروان اليوم.

قال وفي سنة تسع وأربعين توفي الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمدينة في شهر ربيع الأول قيل سمته زوجته بأمر معويه وقيل إن معويه تلطف إلى بعض خدم الحسن فسقاه السم.

وكان الحسن رضي الله عنه جواداً كريماً حليماً زاهداً حج خمسة وعشرين حجة ماشياً والجنايب تقاد معه ثم إنه خرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ثلاث مرات حتى كان يعطي نعلاً وخفاً ويمسك لنفسه مثلها ولما مات دفن في الينبع.

وشمت به معويه فقال في ذلك بعض الشعراء.

(48) أصبح اليوم بن هند سامتا.

طاهر الـجوه إذ مات الحسن.

يا ابن هند إن ـدق كاس الردا.

لست بالباقي فلا شمت به.

كل حي للمنايا مرتهن.

قال وفي سنة خمسين أخذ معويه بن أبي سفيان البيعة لابنه يزيد بولاية عهده وفرق على ذلك أموالاً جزيلة فأجاب الناس كلهم إلى بيعته إلا الحسين بن علي عليهما السلام وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين.

قال وفي سنة اثنتين وخمسين غزا يزيد بن معويه بن أبي سفيان الصايفة ومعه جماعة من أصحابه منهم أبو أيوب الأنصري فتعدا إلى القسطنطينية وتوفي أبو أيوب الأنصاري في هذه الغزاة ودفن في أصل سورها فلما دفن قالت الروم لقد دفن عظيم فيكم قال يزيد قولوا هذا رجل من الصحابة من أقدمهم إسلاماً وقد دفناه حيث رأيتم والله لن يضرب ناقوس بأرض المغرب ما كانت لنا مملكة.

قال وفي السنة الثامنة والخمسين توفت عائشة رضي الله عنها في سابع رمضان وقيل توفي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبلها.

وفي سنة ستين توفي معويه بن أبي سفيان في مستهل رجب وقيل نصف رجب وصلى عليه يزيد ولده وكانت مدة خلافته منذ خلص له الأمر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام قيل كان أميراً وخليفة أربعين سنة أربع سنين في خلافة عمر بن الخطاب واثنتي عشرة في خلافة عثمان وقاتل علي عليه السلام خمس سنين وتولى الخلافة تسع عشرة سنة وكان عمره ثمان وسبعين سنة وقيل ثلاثة وسبعين سنة وقيل خمس وثمانين وتوفي بدمشق ودفن بها.

صفته كان أبيض طويلاً جاحظ العينين وافر اللحية عريض الصدر كثير العجرة إذا ضحك انقلت شفته العليا يخضب بالحناء والكتم

(49) كاتبه عبد الله بن أوس العالي وقاضيه فضاله بن عبد الله الأنصاري حاجبه يزيد مولاه ثم صفوان مولاه نقش خاتمه لكل عمل ثواب وقيل لا قوة إلا بالله.

قال المؤرخ إن مدة خلافة معويه تسع عشرة سنة وأربعة وتسعون يوماً أولها يوم السبت وآخرها يوم الجمعة وذلك لتتمة تسع وخمسين سنة وماية ثمانية وسبعين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وماية إحدى وسبعين سنة وسبعة شهور وأحد عشر يوماً شمسية للعالم.

قال المؤرخ وجدت في بعض التواريخ في خلافة معويه بن أبي سفيان حكاية أنا ذاكرها.

قال دخل عبيد بن برييه على معويه بالشام وقد بلغ من العمر ثلثماية سنة قال معويه يا عبيد ما الذي رأيت في عمرك الطويل قال يا أمير المؤمنين اجتزت بأقوام يدفنون ميتاً فدمعت عيناي فتمثلت بأبيات ما أدري من قالها

إنك يا قلب من اسما مغرور

فاذكر وهل ينف عنك اليوم تذكر

قد بحت بالحب ما بحفيه من أحد

شي جرى إطلاقاً محاصير

فلست تدري وما بدري اعاجلها

ادنى لرشدك مما فيه تأخير

فاستقدر بن الله خيراً واربقين به

فبينما العسر اد درات مياسير

بكي الغريب عليه ليس يعرفه

وذو قرابته في الحي مسرور

قال بعض الحاضرين لمن هذه الأبيات يا شيخ فقلت لا أدري فقال هذه الأبيات لهذا الميت وهذا الذي لحده وطلع من قبره من أقرب الناس إليه رحماً وهو مسرور بموته وها أنت الغريب تبكي عليه فقلت من هو هذا الميت فقال عزير بن أسد العذري.

قال المؤرخ والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في خلافة معويه بن أبي سفيان (50) أن في سنة خمسين للهجرة انكسفت الشمس حتى ظهور النجوم بالنهار.

قال وفي سنة ثمان وخمسين للهجرة مات اغاتو بطريرك إسكندرية للقبط اليعاقبة وقدم يوحنا عوضه بطريركاً على إسكندرية أقام ثمان سنين وتنيح أول يوم من كيهك وهو البطرريرك الذي بنى كنيسة مرقس الإنجيلي بالإسكندرية

في مدة ثلاث سنين وتعرف بالقمشا وهدمت في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان في أيام هذا البطريرك غلاء عظيم بمصر مدة ثلاث سنين وكان البطريرك يهتم بالضعفاء ويعطيهم ما يحتاجونه وكان كثير الرحمة والصدقة.

الثامن يزيد بن معاوية وهو الثاني من خلفاء بني أمية

قال الشيخ أبو جعفر الطبري رحمه الله أن يزيد بويع له بالخلافة يوم توفي والده وأمه قيسون ابنة بحدل الكلبية.

قال ولما بويع له كتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو عامله على المدينة بأن يلزم الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فإنه اختفى أياماً ثم هرب إلى مكة ثم هرب الحسين عليه السلام إلى مكة بعد خروج بن الزبير بليلة هو وأخوته وبنوا إخوته فأقام الحسين بن علي وابن الزبير بمكة مقرين على الامتناع من البيعة ليزيد فبعث أهل الكوفة رسلهم وكتبهم إلى الحسين عليه السلام يدعونه إلى القدوم عليهم ليبايعوه ويقاتلوه معه فبعث إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب فبايع من أهل الكوفة للحسين بن علي عليه السلام اثنا عشر ألفاً وكان عامل الكوفة ليزيد النعمان بن بشير الأنصاري (51) فأنس يزيد منه ضعفاً فضم ولاية الكوفة إلى عبيد الله بن زياد فقدمها وخذل أهل الكوفة مسلم بن عقيل وظفر به عبد الله بن زياد فقتله.

فأما الحسين عليه السلام فإنه بعد مسير مسلم إلى العراق سار بأهل بيته إلى العراق متوجهاً إلى الكوفة فلما قرب إليها لقيه ألف فارس من خيل عبيد الله بن زياد لا يرى منهم إلا الحرف مقدمهم الحر بن يزيد فنزل الحسين عليه السلام بكربلاء وعدة أصحابه خمسين فارساً ومماية راجل ونزل خيول عبيد الله بن زياد بازائهم.

مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه.

ثم بعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد ابن أبي وقاس في أربعة ألف فارس لحرب الحسين عليه السلام فانضموا إلى الحر بن يزيد فصارت خمسة ألف ثم جهز شمر بن ذي الجيوش في خمسة ألف أخرى فلما كانت ليلة الجمعة لعشر مضين من المحرم ركب أصحاب بن زياد وزحفوا لقتال الحسين فبعث إليهم الحسين قائلاً ما الذي تريدون فقالوا تنزل على حكم عبيد الله بن زياد أو نناجزكم فاستمالهم تلك الليلة وإنما أراد أن يوصي أهله ثم أمر أهله بالانطلاق فأبوا إلا أن يقتلوا دونه.

فلما أصبح فجر يوم عشوراء وهو يوم الجمعة ركب الحسين وأصحابه ووضعوا المصحف أمامه ووعظهم فلم يتعظوا.

وحملوا عليه فحمل عليهم وانجاز الحر بن يزيد إليه وصار معه وقاتل دونه وهو أول قتيل من أصحاب الحسين ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل ثم جعفر وعبد الرحمن أبناء عقيل ثم محمد وعون أبناء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ثم علي الأكبر ابن الحسين ثم الحسين وكان الذي باشر قتله سنان بن أنس النخعي وقيل الشمر بن ذي الجيوس ضربه على وجهه فأدركه سنان فطعنه وألقاه عن فرسه واجتز رأسه خولي بن يزيد وقيل نصر (52) بن حرسنه وقتل أصحاب الحسين جميعهم وسيق حريمهم كما تساق العبيد وكان مدة من أصيب من أصحاب الحسين اثنين وسبعين رجلاً وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثلاثين رجلاً فبعث عمر بن سعد رأس الحسين مع خولي بن يزيد إلى عبيد الله ابن زياد فأمر أن يطاف به الكوفة ثم نصب ومعه أربعون رأساً وسلم منهم زيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وعمره يومئذ ثلاث وعشرين سنة وإنما سلم لأنه كان مريضاً ولم يقاتل وكان عمر الحسين تسع وخمسين سنة وقيل خمس وخمسين سنة وقيل ست وخمسين سنة ثم بعث عبيد الله بن زياد ولد الحسين وأخواته وعماته والصبيان الأصاغر ورأس الحسين وأصحابه إلى يزيد بن معويه فلما وضع الرأس بين يديه قرع ثناياه بقضيب وأنشد متمثلاً

تعلق هاما من رجال أعزة علينا

وهم كانوا أعق وأظلما

ويروى عنه أنه تمثل ببيت من شعر عبد الله بن الدبعري فأضاف إليه بيتاً من شعره وهما

ليت اسياحي ببدر علموا جزع من

وقع الاسل

لست من عتبه أن لم انتقم من بني

أحمد ما كان فعل

ويروى عنه أنه عندما وضع الرأس بين يديه بعث الغراب فقال مرتجلاً

بعث الغراب فقلت صح أو لا تصح فقد قضيت من الذي دنوني

ثم أمر يزيد بالرأس فنصب على باب دمشق أياماً وجهز ابن الحسين ونسا الحسين إلى المدينة فتلقاهم الناس بالبكاء والعويل فقالت امرأة أهل المدينة ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم.

ما كان هذا جزاي إذ نصحت لكم أن تخلفوني.

قال وفي هذه السنة دعي عبد الله بن الزبير إلى نفسه بمكة وغاب يزيد (34) بشرب الخمر واللعب بالكلاب والتهاون بالدين وأظهر ثلبه ونقصه للناس باليقين المنسوبين له قيل إن والده معويه كان أنكر عليه شرب الخمر وملازمته فقطعه أياماً فقال يزيد

أمن شربه من ماء كرم شربتها

غضبت علي الآن طاب السكر

سأشرب فإغضب لا رضيت كلاهما

حبيب إلى قلبي عقوقك والخمر

وفي هذه السنة ولى يزيد بن معويه سليم بن زياد خراسان فصار إلى نيسابور وفتحها ثم إلى خوارزم ففتحها ثم سار إلى بخارا وملكها يومئذ امرأة اسمها خاتون فاستنجدت على المسلمين ملك الصعيد وبدلت له أن تتزوجه فأقبل إليها في ماية ألف وعشرين ألفاً فبعث سليم بن زياد المهلب ابن أبي صفرة إلى طرخون فالتقوا والتحم القتال بينهم فقتل طرخون وخلق كثير من أصحابه وغنم المسلمون غنائم كثيرة ثم مضى المسلمون إلى سمرقند فصالحهم ملكها على مال كثير.

قال وفي سنة اثنتين وستين توفي مسيلمة بن مخلد الأنصاري أمير مصر فولى يزيد مصر سعيد بن يزيد الأزدي فبقي أميراً عليها إلى أن مات يزيد.

وفي سنة ثلاث وستين خلع أهل المدينة يزيد بن معويه وحضروا من بالمدينة من بني أمية واتباعهم وكانوا قريباً من ألف رجل في دار مروان بن الحكم فكتبوا بنوا أمية إلى يزيد بن معويه بذلك فجهز يزيد إلى المدينة اثني عشر ألفاً وأمر عليهم مسلم بن عقبة المرسي وأمره أن يدعو أهل المدينة ثلاثاً فإن أجابوا وإلا قاتلهم ويمنحها للجند ثلاثة أيام بما فيها من سلاح وطعام.

وأخرج أهل المدينة من فيها من بني أمية بعد أن أخذوا عليهم الميثاق أن لا يتظاهروا عليهم فلما قدم مسلم إلى المدينة نزل (54) بالجيزة ودعاهم ثلاثاً فلم يجيبوا فقاتلهم وأمير أهل المدينة عبد الله بن الحنظلة وفيها سبع ماية رجل من قريش والمهاجرين والأنصار ودخل مسلم إلى المدينة وانتهبها ثلثا فسفك دماءهم وانتهب أموالهم.

قال صلى الله عليه من أباح حرمي حل عليه غضبي.

ثم أمن مسلم أهل المدينة على أنهم عبيد وحول ليزيد بن معاوية.

وفي السنة الرابعة والستين توجه مسلم بن عقبة المرسي إلى مكة لحصار عبد الله بن الزبير فمات بالطريق فقام بأمر الجيش حصين بن ثمير السلوي بوصية يزيد إليه فسار حصين إلى مكة وحاصرها وضرب البيت بالمناجنيق واحرقه بالنار واحترق باب الكعبة وخشبها واسود الركن وانصدع منه اثني عشر أمكنة وبقي الحصار على مكة إلى أن وصل إليهم نعي يزيد بن معاوية.

قال وفي هذه السنة توفي يزيد بن معويه لأربع خلون من شهر ربيع الأول وقيل لأربع عشرة ليلة خلت منه وذلك بحوارين من أرض حمص وحمل إلى دمشق ودفن بمقبرة باب الصغير وصلى عليه ولده معويه بن يزيد وكانت ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياماً فكان عمره تسع وثلثين سنة وقيل ثمان وثلاثين وكان شديد الأدمة جميلاً عظيم الهامة في وجهه أثر جدري مجذوم الأصابع إذا ضحك انقلبت شفته السفلى كاتبه عبد الله بن أوس ثم رمل بن عمر العذري وقاضيه ابن إدريس الحلواني حاجبه خالد مولاه وقيل صفوان نقش خاتمه ربنا الله .

والذي تحرر عليه خلافته ثلث سنين ومايتي تسعة وأربعون يوماً أولها يوم السبت وآخره يوم الاثنين لتتمة ثلاث وستين سنة وثلاثة وسبعين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وماية خمس وسبعين سنة واثنين وسبعين يوماً للعالم.

(55) التاسع معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو الثالث من بني أمية.

وأمه بنت هاشم وقيل ابنه خالد بن أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بويع له بالخلافة يوم توفي والده وأقام خمسة وأربعين يوماً وقيل عشرين يوماً وقيل أربعة أشهر ثم مات وقيل خلع نفسه من الخلافة وتوفي بعد الأربعين يوماً من خلع نفسه وقيل ثلاثة أشهر وكان عمره ثلاث وعشرين سنة وصلى عليه مروان بن الحكم ودفن إلى جانب أبيه وقيل صلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فلما كبر تكبيرتين فصلى عليه مروان بن الحكم وليس لمعويه عقب.

نقش خاتمه الدنيا غرور.

والذي تحررت عليه مدة ولايته خمسة وأربعين يوماً أولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم الخميس لتتمة ثلاث وستين سنة وماية وثمانية عشر يوماً للهجرة وذلك لتمام ستة ألف وماية خمس وسبعين سنة وماية وسبعة عشر يوماً للعالم شمسية وكانت السورا إلى خلافة عبد الله بن الزبير تسعة وسبعين يوماً.

العاشر عبد الله بن الزبير بن العوام بن حرمله بن أسد بن عبد العري بن قضي ليس هو من خلفاء بني أمية.

ويكنى أبا بكر وقيل أبا حبيب وأمه اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله بويع ابن الزبير بمكة لتسع ليال بقين من شهر رجب بعد أن (56) أقام بغير خليفة جمادتين وأياماً من شهر رجب وبايعه أهل العراق وأهل مصر وبعض أهل الشام فولى أخاه مصعب بن الزبير بالبصرة وولى عبد الله بن مطيع الكوفة وأخاه عبيدة بن الزبير المدينة وعبد الرحمن بن عقبة بن جحرم مصر.

قال وفي هذه السنة كتب عبد الله بن الزبير إلى عامله بالمدينة يأمره بإخراج من فيها من بني أمية فأخرجهم وفيهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك فلما وصلوا إلى دمشق دعا مروان الناس إلى بيعته وكان بدمشق لما وصل مروان الضحاك بن قيس العمري وهو يدعو إلى بيعة بن الزبير فتبع الضحاك جماعة وتبع مروان جماعة ثم كان بين الفريقين وقعة بمرج راهط قتل فيها الضحاك وخلق كثير من أصحابه وانهزم الباقون أقبح هزيمة واستقر الأمر لمروان بالشام فكانت ولاية عبد الله بن الزبير ماية وثمانية وعشرين يوماً.

الحادي عشر مروان بن الحكم ابن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قضي وهو الرابع من خلفاء بني أمية.

ويكنى أبا الحكم وقيل أبا عبد الملك وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان وقيل كانت البيعة له بالجابنه في شهر رمضان سنة أربع وستين.

قال ولما قتل الضحاك وهزم أصحابه سار مروتن إلى دمشق فملكها وذعن أهلها له بالطاعة.

وفي ذي القعدة من هذه السنة جددت له البيعة.

قال ودخلت سنة خمس وستين والخلافة بالشام لمروان بن الحكم ومصر والحجاز والعراق لعبد الله بن الزبير بن العوام.

وفي هذه السنة سار مروان إلى مصر وبها عبد الرحمان بن عقبة بن جحرم (57) عامل عبد الله بن الزبير فجرت بينه وبين مروان حروب كثيرة ثم وقع الصلح على أن يأخذ عبد الرحمان مالاً لنفسه ويمضي به إلى الحجاز ودخل مروان إلى مصر وبايعه أهلها وولاها ابنه عبد العزيز بن مروان ثم عاد مروان إلى دمشق وجهز جيشاً لمحاربة عبد الله بن الزبير وانهزم جيش ابن الزبير وقتل منهم خلق كثير.

قال وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة لأخذ تار الحسين وولوا عليهم سليمان بن صرد وكان عدة من اجتمع معه ستة عشر ألفاً ثم ساروا إلى عين ورده طالبين الجزيرة فلقيهم خيول الشام وعليهم عبيد الله بن زياد فاقتتلوا فقتل سليمان وخلق كثير من أصحابه وانهزم الباقون.

وفيها قدم المختار ابن أبي عبيدة إلى الكوفة داعياً أهلها لأخذ تار الحسين عليه السلام فلما علم ذلك عامل الكوفة قبض عليه وحبسه ثم أطلقه بشفاعة عبد الله بن عمر وكان زوج أخت المختار.

وفي هذه السنة توفي مروان بن الحكم في الشهر رمضان بالطاعون وقيل إنه قال لخالد بن يزيد بن معويه يا ابن الزانية وكانت أم خالد زوجته فبلغها ذلك فسمته وقيل بل وضعت على وجهه مخدة مملوة ريشاً وجلست على وجهه فمات وصلى عليه ولده عبد الملك بن مروان وكانت مدة ولايته مذ جددت له البيعة عشرة أشهر وكان عمره ثلاث وستين سنة وقيل إحدى وسبعين سنة ويقال له ابن الطريد لأن النبي طرد أباه الحكم إلى وج لأنه كان مفشي سره ولم يزل طريداً إلى خلافة عثمان رده إلى المدينة وكان ذلك من جملة ما أنكر عليه وقيل إنما رده لزوال العلة التي طرد لأجلها.

قال وصفته كان طويلاً أزرق وأصهب.

كاتبه سفيان بن الابرد وقيل عبد الله بن أوس وقاضيه ابن إدريس الحلواني حاجبه (58) أبو سهل مولاه صاحب شرطته يحيى بن قيس العالي.

مدة ولاية مروان بن الحكم مايتي ثمانية وتسعين يوماً أولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم الثلاثاء لتتمة أربع وستين سنة ومايتي أربعة وستين يوماً للهجرة ولتمام سنة ألف وماية ست وسبعين سنة ومايتي أربعة وخمسين يوماً للعالم.

الثاني عشر وهو خامس بني أمية عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.

ويكنى أبا الوليد وقيل أبا مروان أمه عائشة بنت علوم بن العراه بن أبي العاص بويع له بالخلافة بالشام يوم توفي والده ولما بويع له بالخلافة كان المصحف في حجره فطبقه وقال هذا فراق بيني وبينك.

قال وفي هذه السنة سنة خمس وستين بعث إلى بيت المقدس فزاد في المسجد الأقصى إلى أن أدخل الصخرة في حرم المسجد وأخذ الناس بالحج إلى بيت المقدس ومنع بالحج إلى مكة لأجل عبد الله بن الزبير.

واستحضر عبد الملك بن مروان أكابر النصارى وطلب منهم كنيستهم التي إلى جانب المسجد الجامع بدمشق فجاؤوا بكتاب خالد بن الوليد فأعرض عليهم مالاً كثيراً وأن يبنوا كنيسة مثلها في أي جهة يختارون بدمشق فأبوا فتركهم.

قال وفي سنة ست وستين كان ظهور المختار بن أبي عبيدة بالكوفة طالباً بدم حسين عليه السلام فبايعه أهلها وحصروا عبيد الله بن زياد أشد حصار ثم طلب الأمان من المختار فأمنه وخرج من القصر وتسلمه المختار واستوس له الأمر بالكوفة وكان يتظاهر بأن دعوته لمحمد بن الحنيفة عليه السلام وأما في الباطن فإنه غير منظور ولا أهل البيت (59) عليه السلام وإنما قصد بذلك أن يتغلب على الملك لنفسه وعمل هذه كلها طريقاً إلى ذلك فقد شفا القلوب من قتله الحسين فقتلهم وأبادهم ومزقهم واستلب أموالهم وهدم دورهم.

قال وفي هذه السنة التقت خيل المختار بن أبي عبيد وخيل عبيد الله بن زياد فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم أصحاب عبيد الله ثم جهز المختار سبعة ألف فارس مقدمهم ابرهيم بن الأسير النخعي للقاء عبيد الله بن زياد بعين ورده فلما انفصلوا عن الكوفة شعت أهل الكوفة على المختار وكادوا أن يقتلوه فأمر ابرهيم بن الأسير بالعود فعاد إليه بالجيش فقاتلهم وانهزم أهل الكوفة وقتل منهم مايتي وخمسين رجلاً كلهم من قاتلي الحسين وانهزم منهم جماعة إلى قرية فبعث المختار إليهم خيلاً أن يقاتلوهم فقتل شمر بن ذي الجيوش ثم تجرد المختار لقتل من قاتل الحسين ويتبعهم قتلاً ونفياً.

قال وفي هذه السنة حبس عبد الله بن الزبير محمداً بن الحنيفة وسبعة عشر رجلاً من أهل البيت منهم عبد الله بن عياض وذلك بمكة وطلب منهم أن يبايعوه بالخلافة فامتنعوا وضرب لهم أجلاً أن يبايعوه وإلا قتلوا فبعث محمد بن الحنيفة إلى المختار فجهز له ماية وخمسين فارساً فساروا إلى مكة فدخلوا وهم ينادون بتارات الحسين وأتوا زمزم وقد أعدت الناس الحطب ليحرق محمد وأصحابه وقد بقي من الأجل يومان فكسروا باب السجن وأخرجوا محمداً بن الحنيفة وأصحابه ثم بعث المختار ابرهيم في ثلثماية فارس ومعهم مال فدخلوا مكة ونادوا بتارات الحسين فخافهم ابن الزبير وخرج محمد ومن معه إلى شعب عال واجتمع معه أربعة ألف رجل وقسم المال بينهم واستلذوا في قتال بن الزبير فمنعهم.

قال وفي سنة سبع وستين سير المختار ابرهيم بن الاسير لقتال عبيد الله بن زياد (60) ومعه سبعون ألفاً من أصحابه وأفلت منهم عشرة ألف وثلثماية وكان من قتل من أصحاب المختار ثلثماية وسبعون رجلاً.

فاستولى ابرهيم على سنجار ونصيبين ودارا.

وفيها توجه مصعب بن الزبير وهو عامل أخيه على البصرة في جيش كثيف إلى الكوفة لقتال المختار بن أبي عبيد فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم المختار وأصحابه من القصر في سبعة ألف رجل فقاتلوهم حتى قتلوا جميعهم وذلك في شهر رمضان ولما استوس الأمر بالعراق لمصعب كتب إلى ابرهيم يدعوه إلى طاعته فأجاب وسار إليه وولى مصعب المهلب بن أبي صفرة الموصل والجزيرة وادربيجان وأرمينية.

قال وفي سنة ثمان وستين سارت الازارقة من فارس إلى العراق ودخلوا المدائن وهؤلاء طائفة من الخوارج منسوبون إلى نافع بن الأزرق واجتمع إليه خلق كثير وغلبوا على الأهواز وأعمالها فبعث إليهم مصعب بن الزبير المهلب بن أبي صفرة فقاتلهم أياماً فقتل منهم خلق كثير وفي غضون ذلك مات نافع بن الأزرق فبايعت الخوارج قطري بن الفجأة المارني وعزل مصعب المهلب عن قتالهم وندب لهم عمر بن عبد الله التميمي فلقيهم بنيسابور فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم جماعة وانجازوا إلى أصفهان وكرمان وتقووا بها وانعطفوا منها إلى الأهواز فطلبهم عمر فعادوا إلى المدائن وقطعوا السبيل وقتلوا النساء والذراري ثم عادوا إلى كرمان.

قال وفي سنة تسع وستين خرج عبد الملك بن مروان من دمشق لقتال عبد الله بن الزبير واستخلف على دمشق عمر بن سعد بن أبي وقاس المعروف بالأحدق فعصى وتحصن فعاد عبد الملك ونزل على دمشق وأرسل عمر وأمنه ودخل دمشق واستدعاه فجاء إليه وقتله عبد الملك صبرا وقد جاء معه جمع (61) كبير من أصحابه فمنعوا من الدخول معه ولما قتله عبد الملك أخرجه إليهم فصاحوا ففرقت فيهم الأموال فتسكنوا.

قال وفي سنة إحدى وسبعين كان مقتل مصعب بن الزبير وذلك أن عبد الملك سار إليه فخرج إليه مصعب فقتل وانهزم أصحابه فاستدعاهم عبد الملك فبايعوه وسار إلى الكوفة فدخلها واستقر له الأمر بالعراق والشام ومصر ولم يبق خارجاً عنه إلا الحجاز في يد عبد الله بن الزبير وكان مصعب شجاعاً جواداً حسن الوجه.

ولما ملك عبد الملك بن مروان العراق ولاها أخاه بشر بن مروان.

قال وفي هذه السنة سير عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي في ألفين من عسكر الشام لقتال عبد الله بن الزبير فسار بهم إلى الطائف ولم يخرج إلى المدينة ثم كتب عبد الملك إلى عامله بالمدينة بأن يمضي بمن معه من الجند مدداً إلى الحجاج فنزلوا بير ميمونه وأحاطوا مكة وحاصروا ابن الزبير.

قال وفي هذه السنة كان مقتل عبد الله بن الزبير وذلك أن الحجاج حاصر مكة أشد حصار ورمى الكعبة بالمناجنيق حتى هدمها ورموها بكيران النفط والنار واحترقت الستارات حتى صارت رماداً ثم قتل عبد الله بن الزبير وفتحت مكة صبحة يوم الثلاثاء لثلث عشرة ليلة بقيت عن جمادى الأولى وقيل جمادى الآخرة واجتز الحجاج رأسه وصلبه بمكة ثم بعث برأسه إلى المدينة فصلبه بها ثم أمر بدفنه في مقابر اليهود وكان مدة حصار الحجاج سبعة شهور وأيام ومدة سلطان بن الزبير الحجاز والعراق منذ توفي معويه بن يزيد إلى قتله تسع سنين واثنين وعشرين يوماً وكان عمره اثنتين وسبعين سنة وماتت أمه بعده بخمسة أيام وكان ابن الزبير قد بنى الكعبة وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من (62) الآخر وحلق داخل الكعبة وخارجها وكان أول من حلق الكعبة وكساها بالفباطي.

كاتبه ديل بن عمر حاجبه سالم مولاه.

قال وكان بن الزبير لما اشتد الحصار على مكة خاف أن ينهدم البيت فترك القتال ودخل إلى بيته وقالت له أمه إن كنت تقاتل عن حق فالحق في يدك فاخرج إليهم فإن قتلت فأنت شهيد فقال يا أمت ما أرهب الموت لكنني أخاف المثلة قالت له الشاة إذا ذبحت لم تجد ألم السلخ وقيل إنه شرب رطل مسك وخرج يقاتل فقتل وصلب فكان الناس يشمون رائحة المسك من بدنه أياماً كثيرة.

قال وفي هذه السنة ولى عبد الملك بن مروان أخاه محمد ابن مروان ادربيجان والجزيرة وأرمينية فبعث محمد لحرب الحرر في ماية ألف فقتل المسلمون جميعهم فعظم ذلك على محمد بن مروان فسار في أربعين ألفاً حتى توسط بلاد أرمينية فقاتل الحرر وهزمهم وألجأهم الدخول في كنائسهم ثم أضرم النار عليهم في الكنائس ثم جهز مسلمة بن عبد الملك بن مروان إلى باب الأبواب وفيها نيف وثمانون ألف من الحرر وخرج عليهم بجيوشه وحاصرها أشد حصار وفتحها وقتل منهم جماعة كبيرة وأمن الباقون من الحرر.

وفيها ولى عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله القرشي العراق وأمره أن يولي المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة وكان قد غلبوا على الأهواز وأميرهم قطري بن الفجأة المارني فخلف خالد بن عبد الله وخرج إليهم بنفسه فقاتلهم فهزم خالد وأخذت الأزارقة سفنه فأحرقوها ولما بلغ المهلب الخبر خرج إليهم بجماعة فقاتل الأزارقة فهزمهم وهربوا

إلى الأهواز وولى خالد حرب الأزارقة أخاه عبد العزيز فأتيه الأزارقة في سبعة ألف فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة وسبوا زوجته ونادوا (63) عليها كما ينادى على الإماء واشتدت شوكة الأزارقة وقدموا البصرة لمحاصروها فولى خالد المهلب قتالهم فخرج إليهم بجيوشه فقاتلهم وهزمهم.

وفيها عزل عبد الملك خالد بن عبد الله القرشي عن العراق لعصيانه إياه عن تولية المهلب بن أبي صفرة وولى العراق أخاه بشر بن مروان فمرض بعلة الاستشقاء ومات.

قال وفي هذه السنة خرج عبد العزيز بن مروان إلى الإسكندرية وبنى القنطرة التي على خليج أمير المؤمنين.

قال وفي سنة أربع وسبعين ولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي المدينة فلما تولاها مضى إلى مكة ونقض البنيان الذي كان ابن الزبير بناها في الكعبة وردها إلى البناء الأول.

وفيها انكسفت الشمس حتى ظهرت الكواكب يوم الاثنين سلخ جمادى الأولى.

قال وفي سنة خمس وسبعين ولى عبد الملك الحجاج العراق فقدم الكوفة في اثني عشر ألف راكب فجهز الجيوش إلى المهلب بن أبي صفرة وهو مقيم على حرب الأزارقة وأمره بمناهضتهم وهزمهم فالتجؤوا إلى بلد أخرى فقاتلهم أشد قتال.

قال وفي سنة ست وسبعين خرج على الحجاج صالح بن مرج وشبيب الخارجان فتبعهما خلق كثير وسموا صالحاً أمير المؤمنين وخرجوا بأرض الجزيرة ونهبوا الأموال وتقووا بها وقاتلهم محمد بن شبيب إلى النهروان بأصحابه فنزلها وبايعه من معه على الموت فبعث إليهم الحجاج أربعة ألف فارس والتقاهم شبيب في سبعين رجلاً فانهزم

جيش الحجاج وانهزم مقدمهم فقتله شبيب وقطع شبيب وأصحابه الطريق وأخافوا السبيل وكلما سير الحجاج عسكراً هزموه مع أن لم تزد عدتهم على أربعة ألف فارس.

ثم عزم شبيب على لقاء أهل الكوفة فخرج (64) إليهم الحجاج في خمسين ألفاً ومع شبيب ألف فهزمهم شبيب وحوى جميع أثقالهم هكذا نقله المؤرخون والعمدة عليهم فيما نقلوه وهرب شبيب إلى البلدان في سبعين رجلاً ثم مضى إلى كرمان فاسترأس بها فعاد وقاتل أشد قتال والتقوا مرة على البحر ودخل شبيب في الماء فغاصت السفينة فغرق فقال إذا يقضي الله أمراً كان مفعولا وانغمس وارتفع فقال ذلك تقدير العزيز الحكيم فصاحت الخوارج غرق أمير المؤمنين وانهزموا وغلب أصحاب الحجاج واستخرجوا ميتاً بالشباك وبعثوا رأسه إلى الحجاج وشقوا قلبه فوجدوه صلباً مجتمعاً كأنه صخرة.

قال ثم اختلف الأزارقة على قطري ابن الفجأة وفارقه معظمهم واقتتلوا فيما بينهم وقصدهم المهلب بن أبي صفرة وقاتلهم قتالاً شديداً فقتل من الخوارج أربعة ألف وجرح خلقاً كثيراً وانهزم قطري إلى طبرستان فملكها الاصهيد المجوسي فسأله الإذن في الدخول إلى البلد بأصحابه فأذن لهم فدخلوا وأقاموا مدة فصلحت أحوالهم فبعث قطري إلى الاصهيد فطلب منه أن يسلم أو يؤدي فامتنع فقاتله بمن معه فانهزم الاصهيد إلى الري واستصرخ بالمسلمين

وعرفهم مواضع التي بها تؤخذ طبرستان فساروا إليها فقاتلهم قطري بمن معه فقتل قطري واستوصل أصحابه قتلاً وأسرى وكان ذلك على يد المهلب بن أبي صفرة فولاه الحجاج خراسان.

قال وفي هذه السنة نقشت الدنانير والدراهم بالعربية وكان عليها قبل ذلك كتابة بالرومية وعلى الدراهم بالفارسية واتخذ الحجاج دار الضرب ونقش على الدراهم الله صمد ولم يكن عيارها جيداً فلما ولي عمر بن هبيرة العراق جود العيار ثم جوده بعده خالد القرشي ثم يوسف بن عمر ثم جوده في أيامه (65) هرون الرشيد والمأمون ولده والواثق وكان وزن الدرهم في أيام القرشي على ثلاثة أضرب منها ضرب العشرة عشرة مثاقيل وضرب العشرة خمسة وضرب وزن العشرة ستة فضرب في الإسلام وزن العشرة سبع مثاقيل.

قال وفي سنة إحدى وثمانين توفي محمد بن الحنيفة عليه السلام والكسابيه من الشيعة يعتقدون أنه حي بجبل رضوي وأنه لا بد أن يظهر ويملئ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وكان على هذا المذهب السيد الحميري وهو القايل.

حتى متى وإلى متى ومتى الدي

يا ابن الوصي وأنت حي ترزق

إلا أنه اجتمع بالصادق وعرفه بطلان هذا المهذب.

قال وفي سنة اثنتين وثمانين خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعب الكندي على الحجاج بن يوسف الثقفي.

قيل ولى الحجاج عبد الرحمن بن محمد قتال زنتيل ملك الترك وبعثه بجيش غير كثيف ثم كتب إليه مسحته على قتاله ويأمره بأن يوغل في بلاده رجاء أن يهلك لأنه كان له مبغضاً ففهم عبد الرحمن ذلك واعلم به من معه وخبرهم أن الحجاج إنما يقصد استيلاء الترك عليهم فاتفقوا على خلعه وبايعوا عبد الرحمن بن محمد فصالح عبد الرحمن ملك الترك وعاد إلى العراق بحرب الحجاج فبلغه ذلك وكتب إلى عبد الملك يستمده فأمده بجيش كثيف من الشام وسار بهم الحجاج إلى كسر فالتقت مقدمة الحجاج مقدمة عبد الرحمن فانهزم أصحاب الحجاج ومضى عبد الرحمن بجيوشه إلى البصرة فدخلها وخلع بعض أهل البصرة عبد الملك بن مروان وبايعوا عبد الرحمن وانجازوا إلى أحد جانبي البصرة وخندقوا على أنفسهم واقتتلوا قتالاً شديداً ثم أتى عبد الرحمن الكوفة فتلقاه أهلها وبايعوه ثم كانت الوقعة المعروفة بوقعة الجماجم وذلك أن (66) الحجاج نزل موضعاً يقال له دير قره ونزل عبد الرحمن مكاناً يقال له دير الجماجم وكانت عدة أصحاب عبد الرحمن ماية ألف منهم أمراء البصرة وهم الحسن البصري وسعيد بن حسين ونادي بن أبي ليلى وإنما صار هؤلاء مع الأشعب بغضاً للحجاج لما خبر من سفك الدماء وظلم الناس وجاءت أمداد الشام إلى الحجاج واتصل الحرب بين الفريقين ماية يوم وكان فيها إحدى وثمانون وقعة ثم هزم الحجاج عبد الرحمن بن الأشعب وأصحابه وقتل منهم أربعة ألف رجل ومضى عبد الرحمن منهزماً في أصحابه

إلى سحان وبها عامل الحجاج فقبض على عبد الرحمن ليبعثه إلى الحجاج فعلم زنتيل ملك الترك بذلك فقصد سحان فحاصرها فسلم إليه عبد الرحمن وأخذه وأكرمه فأقام عنده واجتمعت أصحابه من كل جانب فصار مع عبد الرحمن ستون ألفاً فخرج إليهم يزيد بن المهلب بن أبي صفرة فقاتلهم وظفر بهم وأسر منهم جماعة وانهزم الباقون وبعث يزيد بالأسرى إلى الحجاج ومنهم الشعبي فعفى الحجاج عنه وأما ابن الأشعب فإنه هلك واختلف في كيفية هلاكه اختلافاً كثيراً وأشهر ما قيل أنه قبض وأرادوا المضي به إلى الحجاج فرمى بنفسه قبل أن يصل إليه من سطح مرتفع فمات وفي ذلك قال بن دريد.

وابن الأشعب العبل فاد بنفسه إلى

الردا حدار سمات العري

قال وفي هذه السنة توفي المهلب بن أبي صفرة وكان عاملاً للحجاج على خراسان فولى الحجاج ولده يزيد بن المهلب ثم عزله وولاها أخاه الفضل بن المهلب.

قال وفي سنة ست وثمانين توفي عبد العزيز بن مروان بمصر وكان ولي عهده أخيه عبد الملك وأمير مصر من قبله وهو الذي بنى الدار المذهبة المعروفة بسوق الحمام وكانت مدة ولايته على (67) مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وأيام ولما توفي عبد العزيز جعل عبد الملك بن مروان ولاية عهده لولده الوليد ابن عبد الملك وولى مصر ولده عبد الله بن عبد الملك ولم يزل والياً عليها إلى أن توفي عبد الملك بن مروان في النصف من شوال ودفن في دمشق خارج باب الصغير وكانت مدة ولايته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً منها خمس سنين وسبعة أشهر وسبعة عشر يوماً قبل قتل ابن الزبير وباقيها بعد قتله وكان عمره ستين سنة وقيل سبعة وخمسين وصلى عليه الوليد بن عبد الملك.

قال وصفته أنه كان ربعة أبيض أفوه مفتوح الفم مستك الأسنان وسيرته كان بخيلاً إلى الغاية فكان يلقب برشح الحجر حازماً في رأيه شديد التدبير لا يكل أمره إلى غيره ويقال إنه رأى في منامه كأنه بال في المحراب أربع مرات فغمه ذلك فتوجه إلى سعيد بن المسيب فقال له أن يملك من أولاده أربعة.

قال وولي الخلافة من أولاده أربعة الوليد وسليمان ويزيد وهشام وكان له أولاد كثيرة كاتبه روح بن ريباع ثم قبيضه بن دويب وغيرهما قاضيه ابن إدريس الحلواني وعبد الله بن قيس حاجبه يوسف مولاه وغيره.

نقش خاتمه آمنت بالله مخلصنا.

مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً أولها يوم الأربعاء وآخرها يوم الخميس لتتمة خمس وثمانين سنة ومايتي أحد وثمانين يوماً للهجرة وذلك لتمام ستة ألف وماية سبع وتسعين سنة وأحد وأربعين يوماً شمسية للعالم.

والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في خلافة عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى جعل النصارى اليعاقبة بطركاً على الإسكندرية في السنة السادسة والستين للهجرة واسمه إسحق وبالقبطي ايساك وفي سيرته أقام سنتين وأحد عشر شهراً ومات في ثاني هتور (68) وقيل إنه أقام ثلاث سنين وأنه قرر أن لا يقدم بطرك إلا يوم الأحد وقيل أنه قدم في السنة الثامنة عشرة ليوسطنيان ملك الروم وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان وتوفي البطرك ايساك في السنة التاسعة والستين للهجرة وقدم عوضه سيمون السرياني بطركاً على الإسكندرية لليعاقبة وفي أيامه مخلع يوسطنيانوس ملك الروم وقيل أنه صير في السنة الحادية وعشرين ليسطنيانوس وقيل أنه أقام الميت وأنه مات مسموماً وأحرق الساحر الذي معه وذكر أنه سقي ثلاثة دفوع بعد القربان ولم يضره فسقي الرابع وهو صائم فمات وكان قد وصل إليه رسول من الهند يطلب منه أن يقدم لهم أسقفاً وقسوساً فامتنع من ذلك إلى أن يأمره إلى أن يأمره ملك مصر فمضى الرسول إلى غيره فعمل له مطلوبه وجرت أمور صعبة بسبب ذلك وتوفي في الرابع والعشرين من ابيب سنه اثني عشر وأربعماية لدقلاديانوس في خلافة عبد الملك بن مروان.

قال وكتب سنوديقا إلى يوليانوس بطرك أنطاكية بالأمانة

قال وخلا الكرسي بعده ثلث سنين بغير بطرك.

قال ومات لاون ملك الروم في سنة ثمان وسبعين للهجرة وملك بعده طيباريوس على الروم سبع سنين.

وفي سنة إحدى ثمانين صير للنصارى اليعاقبة بطرك على الإسكندرية اسمه الاسكندروس في يوم عيد مرقص الإنجيلي ثلاثين من برمودة سنة أربع ماية وعشرين لدقلاديانوس وقيل أنه قدم في السنة الثالثة من ملك انسطاس ملك الروم وكان مدة بطركيته عشرين سنة ونصف وقيل خمسة وعشرين وتوفي في سابع امشير وكان في أيامه شدايد عظيمة وقاشي أياماً صعبة مرة وصودر دفعتين في كل دفعة ثلاثة ألف دينار.

قال وكان عبد الملك بن مروان ولى أخاه عبد العزيز مصر فأحصى الرهبان وأخذ جواليهم من كل (69) واحد ديناراً وهذه أول جزية وزنها الرهبان وورد سير البطاركة أن عبد الزيز بن مروان دخل إلى كنيسة بدير حلوان فنظر إلى صورة السيدة والسيد المسيح في حضنها فبصق عليهما فرأى في منامه في تلك الليلة والسيد المسيح قد أمر بقتله فطعن في جنبه بحربة فانتبه مرعوباً ومات في تلك الليلة ومات ولده بعد أربعين يوماً فولى عبد الملك مصر ابنه عبد الله وكان أشد بغضاً ممن تقدمه فأقام سنتين ومات ومات عبد الملك بن مروان وولى بعده ابنه الوليد فولى مصر قره بن شريك فلما وصل فعل أشد من اولايك ثم مات قره وبعده بثلاثة أشهر مات الوليد وتولى الخلافة

سليمان بن عبد الملك فولى سليمان أسامة مصر فدخل إليها وفعل أشد ممن تقدمه وكان يأمر الولاة بقتل الرعية وحمل أموالهم إليه ويكتب إلى الولاة قد سلمت إليكم أنفس الناس فتحملوا ما تقدرون عليه من الأموال وأحضر الرهبان وأوسمهم على أيديهم بحلقة حديد كل واحد وسم دايرة وتاريخه فإذا ظهر غير المرسوم قطعت يده ولم يحص عدد من شوه به.

ثم كتب أن كلمن وجد طالعاً أو نازلاً من ساير الناس ولم يكن بيده منشور يؤخذ منه عشرة دنانير حتى أن امرأة أرملة ولها ولد أخذت منشوراً وسافرت وكان ابنها معها وهو على البحر يشرب ماء فأخذه التمساح والمنشور في جيبه فعادت وهي باكية فلم ترحم واعتقلت حتى باعت ثيابها وتصدقت وغرمت حق المنشور ثانياً عشرة دنانير.

ثم سير إلى الديارات فوجد جماعة من الرهبان بغير وسم فضرب أرقاب بعضهم والبعض مات تحت الضرب ولما إشتد هذا الأمر اجتمعت الناس من كل الطوائف والمذاهب فصلوا إلى الله فمات سليمان بن عبد الملك وملك بعده عمر (70) بن عبد العزيز فأنفذ إلى مصر وقبض على أسامة وجعل في حلقه طوق حديد وخشبة في يديه ورجليه وحملوه فمات في الطريق تحت العقوبة وبعد ذلك مات عمر بن عبد العزيز وملك بعده يزيد بن عبد الملك فكسر الصلبان وهدم الكنايس ومات وولي بعده هشام وكان يخاف الله فكتب إلى مصر بأن يحروا النصارى على عوايدهم وما بإيديهم من العهد وولى مصر عبد اللع ويسمى عبد الله بن صفوان وأوصاه على النصارى والرعايا فلما وصل إلى مصر ظلم أشد ممن تقدمه وأضعف الخراج وأمر أن يحصى الناس والبهايم وجعل على النصارى وسم علامة صور أسد وكلمن يوجد وليس على يديه الوسم تقطع يداه فبلغ هشام ذلك فعزله وولاه إفريقية فمضى إليها وفعل أفعاله بمصر فقاموا عليه وقتلوا ابنه وشقوا فؤاده وأخرجوا مصارينه وضربوا بها رأس أبيه وجرت عليه شدايد عظيمة.

ومات طيباريوس ملك الروم في سنة ست وثمانين للهجرة وملك بعده يسطينيانوس.

الثالث عشر وهو سادس بني أمية الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم.

ويكنى أبا العباس وأمه ولادة ابنة العباس العبسية بويع له بالخلافة يوم توفي أبوه وفي أيامه الفتوحات الكثيرة وغزا أخوه مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وسبي سبياً كثيراً وغزا قتيبة بن مسلمة أرض بيكند وما وراء النهر وحاصر بخارى ودخل إلى الصغد وفرغانة والبغراس فاجتمت عليه الترك فقاتلهم المسلمون وفتحوا مدينتهم العظمى (71) ونهبوا المسلمون منها أموالاً جزيلة وصالح قتيبة بن مسلمة ملك خوارزم وابتنى بها مسجداً جامعاً ووضع فيه منبراً وخطب فيه يوم الجمعة وصلى فيه بالمسلمين وأحضر الأصنام فحرقها وكانت مسمرة بمسامير ذهب وزنها خمسين

ألف مثقال وصالحهم على ألفي ألف دينار في كل عام ثم مضى إلى سمرقند فحاصرها وفتحها وفتح محمد بن القاسم الثقفي الهند وغزا أرض السند وملكها داهر فقاتله المسلمون فقتل داهر وأخذ المسلمون رأسه.

وفي هذه السنة أمر الوليد ببناء جامعة دمشق وهدم كنيسة النصارى التي كانت إلى جانب الجامع وتعرف بمار يوحنا وزادها فيه وقيل إنه بذل للنصارى فيها بأربعين ألف دينار فلم يريدوا أن يأخذوا المال فأخذها فأخربها ولم يعطهم شيئاً.

وقيل إنه كان في الجامع يبني اثنا عشر ألف مرخم قال وتوفي الوليد ولم يتم بناؤه وكان الفراغ منه في أيام سليمان أخيه

قيل أن جملة ما أنفق عليه أربع ماية صندوق في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار وكان فيها ستماية سلسلة ذهب للقناديل ولم يطق الناس للصلاة شعاعها فدخنت حتى اسودت وما زالت إلى أيام عمر بن عبد العزيز الذي أمر أن تجعل في بيت المال وتجعل عوضها سلاسل من حديد.

قال المؤرخ وجدت في بعض التوراريخ أنه لما حفر أساس الجامع بدمشق وجد تحفة مكتوب عليها.

لما كان العالم محدثاً ولا آثار الحدث فيه علم أن له صانعاً ليس كهو فوجب تعظيمه وعبادته والسجود له.

بنى هذا الهيكل محب الخير لأربع سنين خلت من سني الأسطوانة.

فإن رأى الداخل إليه ذكر باتيه عند بارئه فيفعل والسلام.

(72) قال وفي سنة تسعين ولى الوليد بن عبد الملك مصر قره بن شريك وكان فاسقاً مشهوراً فروي أنه كان دخل المسجد الجامع بمصر ومعه المخانثة واللعب ويدخل بهم المقصورة وإذا راح الصلاة.

وفي سنة ثلث وتسعين فتح طارق الأندلس وطليطلة وحمل إلى الوليد بن عبد الملك مائدة سليمان بن داود وهي من خلطين ذهب وفضة وعليها ثلاثة أطواق من لؤلؤ.

قال وفي سنة أربع وتسعين كانت زلزلة عظيمة بانطاقية فبقيت أربعين يوماً حتى هدمتها.

وفي هذه السنة توفي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان زاهداً عابداً ورعاً كثير العبادة روي أنه كان ورده في كل ليلة ألف ركعة وكان يسمي السجاد لكثرة سجوده وخلف من الولد زيداً وأبا جعفر محمداً عليهما السلام.

قال وفي سنة خمس وتسعين توفي الحجاج بن يوسف الثقفي وقيل توفي سنة أربع وتسعين وكان مولده سنة إحدى وأربعين فكان عمره أربع وخمسين سنة وكان مدة إمرته على العراق عشرين سنة وكانت وفاته في شهر رمضان وقيل إن عدة من قتله صبراً ماية ألف وعشرين ألفاً سوى من قتله في الحروب وفي محبسه مات خمسون ألف رجل وثلثون ألف امرأة وقيل أنه قتل في البهمة ثمانين ألف رجل وزال ملكه كأنه لم يكن فطوبى لمن عمل خيراً.

قال وفيها أخرج الوليد بن عبد الملك علي ابن عبد الله بن العباس من دمشق وأنزله الحميمه وولد بها نيف وعشرين ولداً ذكراً ولم يزل ولده بالحميمه إلى أن جاءت دولتهم وزالت دولة بني أمية.

قال إن الوليد ضرب علي بن عبد الله المذكور سبعين سوطاً لأنه إهتم بقتل سليط المنتسب إلى ابنه عبد الله بن العباس.

(73) قال وفي سنة ست وتسعين للهجرة توفي قره بن شريك عامل الوليد بن عبد الملك على مصر وهو الذي بنى الجامع العتيق بمصر سنة ثلاث وتسعين ولما توفي قره ولي الأمر بمصر عبد الملك بن رفاعة ولم يزل والياً إلى أن توفي الوليد.

قال وفي هذه السنة توفي الوليد بن عبد الملك في نصف جمادى الآخرة ودفن بدمشق بمقبرة باب الصغير.

وكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وكان عمره ثمان وأربعين سنة.

قال وكان طوالاً أسمر جميلاً أفطس بوجهه أثر جدري.

قال وكان جباراً ذا سطوة شديدة ولا يتوقف إذا غضب كثير النكاح والطلاق ويقال أنه تزوج ثلاث وستين امرأة مغرماً بالنساء والعمارة.

فبنى جامع دمشق وشيد مسجد النبي وأدخل فيه المنازل التي حوله وكان متولي ذلك عمر بن عبد العزيز وكان عاملاً للوليد على المدينة وهو أول من بنى البيمارستان للمرضى ودار الضيافة.

كاتبه قره بن يزيد ثم قبيضه بن دويب ثم الضحاك بن زريك ثم يزيد بن أبي كسبه ثم عبد الله بن ملاك حاجبه خالد مولاه.

نقش خاتمه يا وليد أنت ميت ومحاسب.

مدة ولايته والتاريخ عليها تسع سنين ومايتي ستة وثلاثين يوماً أولها يوم الجمعة وآخرها يوم السبت لتتمة خمس وتسعين سنة وماية ثلاثة وستين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف مايتي وست سنين وماية تسعة وسبعين يوماً شمسية للعالم.

الرابع عشر وهو سابع بني أمية سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم.

ويكنى أبا أيوب وأمه ولادة ابنة العباس العبسية بويع له بالخلافة يوم توفي أخوه الوليد في نصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين للهجرة.

(74) وفي هذه السنة خلع قتيبة بن مسلم عامل خراسان سليمان بن عبد الملك ودعا أهل خراسان إلى خلعه فامتنعوا عليه ثم وثبوا به فقتلوه وأمروا عليهم رجلاً يقال له وكيع بن أبي سويد ثم ولى سليمان بن عبد الملك خراسان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ففتح فتوحات عظيمة منها طبرستان وجرجان وقتل من المشركين ما لا يحصى كثرة وغنم أموالهم وقرر الجزية على من بقي منهم.

وجهز سليمان أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى غزو الروم فانتهى إلى قسطنطينية وأقام بها حتى زرع وحصد.

وفي هذه السنة كتب أسامة بن يزيد الذي كان على الخراج بمصر إلى سليمان بن عبد الملك يعلمه أن المقياس الذي بحلوان بطل فأمره أن يبني مقياساً في الجزيرة التي بين بحر الفسطاط وبحر الجيزة فبناه في سنة سبع وتسعين وهو المقياس الذي يقاس فيه اليوم.

وفي سنة ثمان وتسعين فتح مسلمة بن عبد الملك مدينة الصقالبة واستولى عليها.

وفيها ابتدأ سليمان ببناء الرملة.

وجعل أيوب بن سليمان ولي عهده فمات ابنه أيوب فجعل ذلك إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

قال وتوفي سليمان بن عبد الملك لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين بمرج دابق من أرض قنسرين بدار الخبر وصلى عليه بن عمه عمر بن عبد العزيز ولي عهده فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام وكان عمره خمس وأربعين سنة.

صفته كان طوالاً جميلاً أبيض قضيف البدن بكعابه عرج يسيراً.

قال إنه نظر يوماً في المرآة فأعجبته نفسه فقال أنا ملك الشباب فقالت جارية من جواريه.

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى

ولكن لا بقاء للإنسان.

فليس فيما علمت فيك عيب

كان في الناس غير أنك فان.

فنزع عمامته واغتم ومات بعد أيام قلائل.

قال سيرته كان متوفقاً عن سفك (75) الدماء نكاحاً أكولاً يأكل كل يوم نحو ماية رطل.

وكان قدم عليه أبا العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فأكرمه.

وسار يزيد فلسطين فأنفذ من جلس له على الطريق بلبن مسموم فشرب منه فأحس بالموت فعدل واجتمع بمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس واعلمه أن الأمر وفي ولده عبد الله يعني السفاح وأسلم إليه كتب الدعاة وعرفه بما يعمل ثم مات بالحميمه.

كاتبه يزيد بن المهلب ثم الفضل بن المهلب ثم عبد العزيز بن الحارت بن الحكم قاضيه محمد بن حرم حاجبه أبو عبيد مولاه نقش خاتمه آمنت بالله مخلصنا مدة ولايته سنتين ومايتي واثنين أربعين يوماً أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة لتمام ثمان وتسعين سنة وخمسين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف ومايتي وتسع سنين وأربعة وثلثين يوماً شمسية للعالم.

وفي عصره كان فيلبس ملكاً على الروم وكان مارونياً وكان ملكه سنتين ونصف.

الخامس عشر وهو الثامن من بني أمية عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وأمه أم عاصم بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بويع له بالخلافة يوم توفي بن عمه سليمان بن عبد الملك لعشر خلون من صفر سنة تسعة وتسعين للهجرة من غير رغبة فيها.

فلما أقصت الخلافة إليه رفع لعن علي عليه السلام وكانت ملوك بني أمية من لدن معويه يلعنونه على المنابر عقيب كل خطبة وكان معويه بن أبي سفيان قد روجع في ذلك فقال (76) والله لا تركت لعنة علي حتى يكبر عليه الصغير ويشيب عليه الكبير فإذا أبدل قبل ترك السنة فأبدل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اللعن بقراءة الآية التي أولها إن الله يأمر بالعدل والإحسان فخرج الناس من المسجد يقولون تركت السنة تركت السنة وقيل إنه كان يبعث الغلات إلى أهل البيت سراً خوفاً من أهل بيته.

قال وفي هذه السنة ولى عمر بن عبد العزيز مصر أيوب بن سرحبيل.

قال وفي سنة إحدى ومائة توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بحاصره لست بقين من شهر رجب ودفن بدير سمعان من أرض حمص والذي اشتهر أن قبره بدير البقرة من عمل معرة النعمان وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً وكان عمره سبع وثلثين سنة وصفته أسمر نجيف حسن الوجه في وجهه سجة من دابة ضربته وكان يسمى الاسج وسيرته الزهد والعدل والعبادة إلى النهاية كان مؤثراً دينه على دنياه وكان جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول من ولدي رجل يملأ الأرض عدلاً وكانت سيرته مناقضة لسيرة أهله ولا حرم أنهم سموه وما أمهلوه ويقال أنهم وجدوا له بيتاً يقفل كان يخلو بنفسه فيه فظنوا أن فيه متاعاً ومالاً ففتحوه فلم يجدوا فيه إلا دلقا كان يلبسه وحبلاً معلقاً كان يتعلق به إذا تعب من الصلاة كاتبه رجا بن يحيى الكندي وابن أبي رقية قاضيه عبد الله بن سعيد الانسلي حاجبه حبس فراجا مولياه نقش خاتمه عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله.

وجدت في بعض النسخ أن الشريف الموسوي رثاه كونه رفع اللعن عن علي بن أبي طالب.

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين

في بني أمية بكيتك

أنت طهرتنا من السب والشتم فلو

أمكن الفدا لفديتك

(77) مدة ولايته سنتين ومايتي اثنين وخمسين يوماً أولها يوم السبت وآخرها يوم الجمعة لتمام ماية سنة ومايتي ويومين للهجرة وستة ألف ومايتي وأحد عشر سنة وماية أربعة وستين يوماً للعالم شمسية.

والذي ورد توراريخ النصارى أنهم رفعوا قصة إلى عمر بن عبد العزيز بسبب كنيسة مار يوحنا التي هدمها الوليد وأضافها إلى المسجد الجامع بدمشق وجاؤوا بكتاب خالد بن الوليد والعهد أن كنائسهم لا تخرب ولا تسكن فبذل لهم عمر بن عبد العزيز ما كان الوليد بذله لهم من المال وهو أربعون ألف دينار فأبوا فوقع لهم على قصتهم أن تدفع لهم كنيستهم بحدودها فعظم ذلك على المسلمين فقال بن إدريس الحلواني أن العهد على كنائسهم في نصف دمشق الذي فتح بالصلح وأما النصف الذي فتح بالسيف فما كان فيه من كنائس باطن دمشق وظاهرها فهو للمسلمين لأنه أخذ بالسيف وجرت مفاوضات واتفق الحال على ترك مار يحنا للمسلمين وأن لا يعارضوا في غيرها وكتب لهم عمر بن عبد العزيز سجلاً أنهم آمنون على كنائسهم التي بدمشق جميعها النصف الذي فتح بالسيف والنصف

الآخر وكذلك جميع الديارات والكنائس التي خارج دمشق في الغوطة والجبل وغيرها لا تخرب لا تسكن وليس لأحد من المسلمين عليها سلطان.

قال وفي سنة إحدى ومائة للهجرة في خلافة عمر بن عبد العزيز ملك تداوس على الروم سنة ونصف وبعده ملك لاون على الروم أربع وعشرين سنة ومات.

(78) السادس عشر وهو تاسع بني أمية يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم.

ويكنى أبا خالد أمه عاتكة ابنة يزيد بن معويه بن أبي سفيان بويع له بالخلافة يوم توفي ابن عمه عمر بن عبد العزيز لست بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة.

قال وكان ذلك توصية من أخيه سليمان ابن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز.

قال وفي هذه السنة خرج يزيد بن المهلب بن أبي صفرة على على يزيد بن عبد الملك بالبصرة واجتمع عليه خلق كثير ثم خرج إلى الكوفة فجهز إليه يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد في جيش كثيف يزيد بن المهلب فالتقى العسكران فقتل يزيد بن المهلب وانهزم أصحابه وبعث مسلمة رأس يزيد إلى يزيد بن عبد الملك فاجتمع معويه بن يزيد بن المهلب مع بعض أعمامه وأصحابه ومضوا إلى واسط وبها عدي بن ارطاه وكان عاملاً على البصرة ليزيد بن عبد الملك فلما خرج يزيد بن المهلب حبسه بها فقتل معويه بن يزيد عدياً واثنين وثلثين من أصحابه صبرا ثم مضى معويه وأصحابه إلى البصرة وركبوا في البحر إلى قندابيل في بلاد السند فمنعهم قندابيل من دخول البلد وبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك جيشاً في البحر مقدمهم هلال بن اخور المازاني فقتلهم هلال عن آخرهم إلا نفراً يسيراً حملهم أسرى إلى يزيد بن عبد الملك فقتلهم يزيد صبرا ثم ولى يزيد أخاه مسلمة بن عبد الملك العراق وخراسان ثم عزله عنهما وولاهما (79) عمر بن هبيره فجهز عمر بن هبيره الجراح بن عبد الله إلى بلاد الترك فغزاها وفتح ملحر ويتبع ابن حاف ملكهم بلداً بلداً إلى أن أتوا إلى اردبيل من أرض ادربيجان فقتل الجراح وكل من معه وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق من المسلمين.

وفيها عزل يزيد بن عبد الملك أيوب بن سرحبيل العمري وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز على مصر وولاها بشر بن صفوان الكلبي ثم سير بشر إلى إفريقية وولى أخاه حنظلة بن صفوان مصر ثم عزله في سنة أربع ومائة وولاها محمد بن عبد الملك بن مروان ولم يزل والياً عليها إلى أن توفي أخوه يزيد في سنة خمس ومائة بحران لخمس بقين من شعبان فكانت ولايته أربع سنين وشهر وعمره تسع وعشرين سنة وقيل ثلاث وثلثين سنة.

وصفته كان جميلاً أبيض مدور الوجه.

وسيرته كان عاجزاً مغرماً بالنساء واللهو والقصف.

وكانت له جاريتان حبابه وسلامة وكان شديد الشغف بهما فماتت حبابه فجزع عليها جزعاً عظيماً وتركها عنده بعد موته ثلثة أيام حتى نتنت فعاتبه أخوه على ذلك فدفنها وتمثل بقول الشاعر.

فإن تسل عنك النفس أو تدع الصبي

فبالباس يسلو عنك لا بالتجلد

وكل حليل إلا مني فيك قايل

من أجلك هداها به اليوم أو غدا

ويقال إنه نبشها بعد الدفن وشاهدها من وجده بها ثم توفي بعد أيام قلائل.

كاتبه عمر بن هبيره ثم ابرهيم بن حبله ثم أسامة بن زيد السليحي قاضيه عبد الرحمن الحشحاش وسعد بن أبي وفاض حاجبه سعيد مولاه.

مدة ولايته أربع سنين وتسعة وعشرين يوماً أولها يوم السبت وآخرها يو الثلاثاء لتتمة ماية وأربع سنين ومايتي أحد وثلثين يوماً للهجرة وستة ألف ومايتي وخمس عشر سنة وماية تسعة وأربعين يوماً شمسية للعالم.

(80) السابع عشر وهو عاشر بني أمية هشام بن عبد الملك بن مروان.

ويكنى أبا الوليد أمه أم هاشم فاطمة بنت هشام المحرومية بويع له بالخلافة يوم توفي أخوه بعهد منه إليه يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان سنة خمس وماية ولما أتته الخلافة كان بالرصافة فسار إلى دمشق وولى العراق خالد بن عبد الله القرلي وعزل أخاه محمد بن عبد الملك عن إمارة مصر وولاها أبن عمه الحسن بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن العاص بن أمية فأقام بها إلى سنة ثمان وماية واستعفى الحسن أمير مصر عن الإمارة فعزله هشام بن عبد الملك وولى مصر حفص بن الوليد الحضرمي ثم عزله في سنة تسع وماية وولاها عبد الملك بن رفاعة.

قال وفي سنة ثلثة عشر وماية غزا مسلمة بن عبد الملك بن مروان مدائن من بلاد الترك وفتحها وسبى سبياً كثيراً وغنم أموالاً جزيلة ثم نزل معوية بن هشام بن عبد الملك الصايفة اليسرى وأخوه سليمان بن هشام بن عبد الملك الصايفة اليمنى والتقاهم قسطنطين ملك الروم في جمع وهزمهم المسلمون وأسر قسطنطين.

قال وفي سنة ثمان عشرة ومايـة توفي علي بن عبد الله بن العباس جد الخلفاء العباسيين وخلف اثنين وعشرين ولداً وكان عمره سبع وسبعين سنة.

قال وفي سنة ثمان عشرة وميه توفي عبد الملك بن رفاعة أمير مصر فولاها هشام بن عبد الملك عبد الرحمان بن خالد بن مسافر بن تابت الفهامي وصرفه في سنة ثمان عشرة ومايـة وولاها حنظلة بن صفوان الكلبي.

وفي سنة عشرين ومايـة عزل هشام خالد القرلي عن ولاية العراق وولاها يوسف بن عمر الثقفي.

(81) وفي سنة إحدى وعشرين ومايـة خرج زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة داعياً لنفسه فبايعه جماعة من أهل الكوفة وقاتله عمر بن يوسف بن عمر إلى الكوفة وقتل زيد وانهزم أصحابه ثم صلب يوسف زيداً وأحرقه وذرى نصفه في الهواء ونصفه في الماء وبعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك فنصبت على باب مدينة دمشق.

قال وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم ففتح قطامن وغزا مروان بن محمد بن مروان المعروف بالحمار بلاد صاحب سرير الذهب ففتحها وأخربها فأجاب إلى الجزية.

وفي سنة اثنتين وعشرين ومايـة توفي مسلمة بن عبد الملك بن مروان وكان ذا رأي وعقل وحزم وشجاعة ولم يكن في بنب أمية مثله.

وفي سنة أربع وعشرين ومايـة سير هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان أمير مصر إلى إفريقية وولى مصر حفص بن الوليد فلم يزل زالياً عليها إلى أن توفي هشام.

قال وفي سنة خمس وعشرين ومايـة توفي هشام بن عبد الملك بن مروان بالرصافة لست ليال خلون من ربيع الآخرة وكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً وعمره ثلاث وخمسين سنة وقيل ست وخمسين سنة.

صفته كان ربعة أبيض إلى الصفرة أحول حسن الحول يخضب بالحناء والكتم.

سيرته كان جيد السياسة حسن التدبير متيقضاً في الأمور يباشرها بنفسه إلا أنه كان بخيلاً حسوداً محتاجاً إلى أموال الناس فضاً غليظاً وكان له ستور وكسوة وطراز لم يكن لمن قبله فروي أنه كان يحمل كسوة خاصة على ستماية جمل وخلف ألف تكة للسراويلات وعشرة ألف قميض وكان له سبعمائة ضيعة ملكاً وكان له بالرقة موضعان يعرفان بالهبي والمري دخلهما كل سنة عشرة ألف درهم ولما مات لم يكن للوليد بن يزيد ما يكفن به هشام لأنه ختم الخزائن ومنع من الوصول إليها.

(82) فكفنه خادم له وهذه موعظة ينبغي لأولي الألباب أن يتعظوا بها.

كاتبه سعيد بن الوليد الأبرش ثم محمد بن عبد الله بن حارته قاضيه محمد بن صفوان الجمجمي حاجبه غالب مولاه.

نقش خاتمه الحكم الحكيم الحليم.

مدة ولايته تسع عشرة سنة ومايتي وتسعة عشر يوماً أولها يوم الأربعاء وآخرها يوم الأربعاء لتتمة ماية أربع وعشرين سنة وخمسة وتسعين يوماً للهجرة وستة ألف ومايتي أربع وثلاثين سنة وماية اثنين وستين يوماً للعالم شمسية.

والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في خلافة هشام أنه قدم على أنطاكية بطرك اسمه يوحنا بعد وفاة اتناسيوس بطركها في أول سنة من خلافة هشام فقام عليه أساقفته ثم صالح وتنيح وبقيت البيعة بغير بطرك إلى أيام عبد الله السفاح.

وفي سنة ثمان وماية للهجرة تنيح الاكسندروس بطرك اليعاقبة بالإسكندرية وصير عوضه قسماً أقام خمسة عشر شهراً ومات في آخر بونه وقيل أنه قدم في آخر سنة من سني لاون ملك الروم.

وفي سنة تسع وماية قدم تاودرس بطركاً لليعاقبة على الإسكندرية أقام إحدى عشرة سنة وتنيح في سابع امشير وقيل أنه صير في السنة الأولى من ملك قسطنطين بن لاون ملك الروم وقام اثنتي عشرة سنة وتنيح في سابع امشير وكان في أيامه هدوء وسلامة وكان صالحاً وديعاً محباً للناس.

قال وفي سنة عشرين وماية قدم أبناء خايبل بطركاً على الإسكندرية في أيام هشام بن عبد الملك في السابع عشر من توت سنة أربع ماية وستين لدقلاديانوس وأقام ثلاث وعشرين سنة بطركاً.

وفي أيامه تولى الخلافة مروان الجعدي وقاسى شدائد عظيمة في مملكة مروان في ولاية عبد الملك بن موسى المنتقل من اليهود إلى الإسلام واعتقل البطرك وطلب منه مالاً فسأل أن يخرج إلى البلاد (83) ويصدق فأذن له في ذلك فخرج هو والأساقفة إلى البلاد وكان أهل البلاد أيضاً في شدائد لما طلب منهم الأموال فعادوا إلى مصر في الحادي والعشرين من طوبه وفي تلك الليلة حدثت زلزلة عظيمة وهدمت مدناً كثيرة ومات أهلها تحت الردم وغرق في البحر مراكب كثيرة في تلك الليلة وقيل أن الزلزلة كانت عامة على جميع البلاد حتى بلاد الشرق وأن المدن التي هدمت تلك الليلة من الشرق ستماية بلد ومات من الناس والبهائم ما لا يحصى عدده.

فلما رأى عبد الملك بن موسى الوالي من جهة مروان الجعدي ما حدث من الغصب خاف خوفاً شديداً وأخذ منهم ما حصلوه من الصدقات وأطلقهم.

قال وفي سنة أربع ماية إحدى وستين لدقلاديانوس بلغ كرياقوس ملك النوبة ما جرى على البطرك والنصارى من ثايب مروان وزحف إلى الديار المصرية في ماية ألف فارس أسود على ماية ألف فرس أسود فلما قرب إلى مصر سير عبد الملك الوالي إلى البطرك وسأله أن يكتب إلى ملك النوبة ويرده عن البلاد فكتب إليه وعرفه أن النصارى في خير وسلامة فعاد بغير قتال وفرحوا بذلك.

وقيل إن هذا البطرك قدم في السنة الثالثة عشر لقسطنطين بن لاون ملك الروم سنة إحدى وثلاثين وماية وأقام أربع وعشرين سنة بطركاً وتتيح في سادس عشر برمهات.

قال سعيد بن بطريق في تاريخه أن في أيام هشام كان لاون ملك الروم وفي السنة الثالثة من خلافته صير قسما بطركاً للملكية على الإسكندرية وكانوا يصلون في الإسكندرية في كنيسة مار سابا لأن اليعاقبة غلبوا على الكنائس كلها وأن قسما بطركهم مضى إلى هشام بن عبد الملك واستصحب هدايا وتحفاً وأخبره بأن اليعاقبة غلبوا على جميع الكنائس التي للملكية فكتب هشام إلى عامله بمصر وهو ((84) عبد الله بن السكري بأن يسلم للملكية كنائسهم التي في يد اليعقوبية فأخذ منهم كنيسة البشارة.

وقال أن الملكية أقاموا بغير بطرك بالإسكندرية سبع وتسعين سنة من خلافة عمر بن الخطاب إلى أن صار قسما بطركاً في خلافة هشام بن عبد الملك.

وقال إن قسما كان أمياً لا يعرف الخط وكانت صناعته عمل الإبر.

وقال إن اليعاقبة غلبوا على مصر وأقاموا بجميع الكراسي أساقفة يعاقبة وأصلحت بطاركة اليعاقبة أساقفة في النوبة فصارت النوبة من ذلك الوقت يعقوبية.

الثامن عشر وهو حادي عشر بني أمية الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

ويكنى أبا العباس بويع له بالخلافة يوم توفي عمه هشام بوصية من أبيه يزيد إليه بعد هشام وذلك لست ليال خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وماية للهجرة وولي الخلافة بعد أن جاوز الأربعين ولم يل الخلافة من ولد عبد الملك أكبر منه.

وفي هذه السنة صرف الوليد بن يزيد حفص بن الوليد عن خراج مصر وولاها عيسى بن أبي عطا.

قال وفي سنة ست وعشرين وماية كان مقتل الوليد بن يزيد وسببه أن أهل الشام اجتمع رأيهم على خلعه من الخلافة وقتله لاستهتاره وتظاهر بالكفر والزندقة فبايعوا بن عمه يزيد بن الوليد بن عبد المللك.

فلما قام بالأمر قال من أحضر رأس الوليد فله ماية ألف وكان الوليد بن يزيد يومئذ بالبحرة بتل راهط بظاهر دمشق فقاتله أصحاب يزيد وانهزم أصحاب الوليد (85) وتكاثر عليه أصحاب يزيد حتى تسوروا من الحائط ونزلوا إلى الوليد فضربوه بأسيافهم وقطعوا يده وجزوا رأسه وطيف بها في دمشق ونصب بها.

وكان الذي باشر قتله وجه الفانين مولى لهم وقيل عبد الله بن عبد الملك بن مروان وقيل بن الوليد وحمل.

وصلى عليه إبرهيم بن الوليد ودفن بمقبرة باب الفراديس.

وحبس ولداه الحكم وعثمان المعروفان بالحملين في الحبس إلى أن ولى مروان الحمار فقتلا وكانا بالبحرة.

وكانت ولايته سنة واحدة وشهرين واثنين وعشرين يوماً وعمره اثنتين وأربعين سنة.

كان ربعة أبيض حسن الوجه قد وخطه الشيب.

وسيرته فاسقاً خليعاً سيء الرأي مرتكب القبايح شاعراً فصيحاً مصروف الهمة إلى اللهو والقصف.

ويروى أنه عمل له قبة من حديد وحج بالناس فعزم على نصبها بالكعبة وحمل معه إلى مكة كلاب الصيد في الصناديق والخمر.

ويقال إنه واقع جارية له وهو سكران وحلف أنها تصلي بالناس فتلثمت وصلت بالناس.

وله شعر جيد من جملته.

أشرب الراح وأهوى كل مصفور

الدوابه

إنا للناس إمام غير إني ذو

صبابة

ويقال إنه أحضر معبد المغني وملأ خمراً ممزوجاً بماء ثم قال له غني.

لهفي على فتية دان الزمان لهم فما

أصابهم إلا بما شاؤوا

ما زال يعدو عليهم رتب دهرهم حتى

نعابوا ورتب الدهر عدا

أبكي على فراقهم عيني فارقها

إن التفرق على الأحباب

بكاء

فغناه ذلك فنزع الوليد ملاءة كانت عليه ورمى بنفسه في البركة بثيابه فنهل (86) منها نهلة بان نقصانها منها ثم أتي بثياب أخرى ففعل ذلك ثلاث مرات.

ولما قتل الوليد اضطربت البلاد وكثرت الخوارج وضعف ملك بني أمية وانتصرت عليهم أعداؤهم فكان قتلهم الوليد من أسباب زوال ملكهم ولكل شيء سبب.

قال ولد له ثلثة عشر ولداً ذكوراً وإناث.

كاتبه العباس بن مسلمة قاضيه محمد بن صفوان الجمجمي حاجبه قطري مولاه.

نقش خاتمه يا وليد احذر الموت.

مدة ولايته سنة واحدة وأحد وثمانين يوماً أولها يوم الخميس لتتمة ماية خمسة وعشرين سنة وماية ستة وسبعين يوماً للهجرة لتمام ستة ألف ومايتي خمس وثلثين سنة ومايتي أحد وثلاثين يوماً شمسية للعالم.

التاسع عشر وهو الثاني عشر من بني أمية يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان.

ويكنى أبا خالد وأمه شاهفرند ابنة فيروز بن يزدجرد بن شهريار ملك الفرس بويع له بالخلافة لليلتين بقين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وماية للهجرة.

قال وفي هذه السنة وثب أهل حمص وأغلقوا أبوابها وأقاموا النوائح على الوليد فبعث إليهم يزيد جيشاً فهزموه بعد أن قتلوا منهم ثلثماية رجل.

وفيها وثب سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان محبوساً نعمان وأخذ ما فيها من الأموال وأقبل نحو دمشق.

ووثب أهل فلسطين والأردن على عاملهم فقتلوه.

وفيها عزل يزيد يوسف بن عمر عن العراق وولاها منصور بن جمهور.

وفيها أظهر مروان بن محمد الحمار الخلاف ليزيد وأظهر أنه يطلب دم الوليد (87) وكان بأرمينية وجمع جموعاً كثيرة وعزم على قصد يزيد فترك له يزيد ولاية الجزيرة وأرمينية والموصل وأدربيجان إن بايعه فأجابه مروان إلى ذلك وبايع له بحران.

قال وفي هذه السنة توفي يزيد بن الوليد بن عبد الملك يوم الأربعاء بعد عيد الأضحى بالطاعون فكانت ولايته خمسة أشهر وأياماً وعمره أربعين سنة وصلى عليه أخوه إبرهيم بن الوليد.

صفته كان أسمر نحيف البدن مربوعاً خفيف العارضين.

سيرته كان شديد العجب متكبراً فصيحاً.

ولما ولي أظهر حسن السيرة والعدل ونقص الجند عطاياهم فلقب الناقص وكان يميل إلى رأي القدرية ويقال إن مروان الحمار لما ولي نبش قبره وصلبه.

كاتبه ثابت بن سليمان قاضيه عثمان بن عمر بن موسى التيمي حاجبه فطن مولاه.

نقش خاتمه يا يزيد قم بالحق مدة.

ولايته ماية وستين يوماً أولها يوم الجمعة وآخرها يوم الأربعاء.

العشرون وهو ثالث عشر بني أمية إبرهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم.

أمه أم ولد اسمها نعمة وقيل حشف بويع له بالخلافة يوم توفي أخوه يو الأربعاء بعد عيد الأضحى سنة ست وعشرين وماية ولم يستتب له أمراً وما زالت الأمور مضطربة عليه.

قال وفي سنة سبع وعشرين وماية أقبل مروان بن محمد بجنوده إلى قنسرين طالباً أخذ دمشق والاستيلاء على الأمر وكان بقنسرين بشر ومسرور أبناء الوليد بن عبد الملك فخرج بشر في جنوده إلى مروان ليقاتله فمال الناس إلى مروان فحبس بشر ومسرور (88) ثم سار إلى حمص فبايعه أهلها وصار معه ثمانون ألفاً.

فخرج إليه جيش إبرهيم بن الوليد وهم ماية وعشرين ألفاً مقدمهم سليمان بن هشام بن عبد الملك فدعاهم مروان إلى طلب دو الوليد والتخلية عن الغلامين الحكم وعثمان ابني الوليد وكان في سجن دمشق فأبوا عليه فاقتتلوا فانهزم سليمان ومن معه وقتل من عسكره خلق كثير ولبس خلق وأتى مروان بالأسرى وأخذ عليهم البيعة للغلامين المحبوسين وخلا عنهم.

ورجع سليمان إلى دمشق فاجتمع رأيه ورأي إبرهيم على قتل الغلامين فأنفذوا إليهما فشدخوهما وأنفذ سليمان وأخذ ما كان في بيت المال.

ودخل مروان دمشق فنزل وأتى بالغلامين المقتولين فدفنهما وأتى بأبي محمد الشيباني في قيوده وكان معهما في السجن فسلم على مروان بالخلافة وكان يزيد بن سليمان يسلم عليه بالإمارة قال له مه قال إنهما جعلاها لك وأنشده بيتاً قاله الحكم في السجن فإن أقتل أنا وولي عهدي فمروان أمير المؤمنين ثم بايعه إبرهيم بن الوليد المخلوع وبايعه أهل الشام.

ولم يزل إبرهيم باقياً إلى سنة اثنتين وثلثين وماية فقتله نوعون وقيل غرق وقيل ابن مروان قتله وصلبه.

صفته خفيف العارضين له ضفيرتان.

سيرته كان عاجزاً ضعيف الرأي وكان أصحابه تارة يسلمونه بالخلافة وتارة بالإمارة.

كاتبه دكس بن سراح اللجمي قاضيه عثمان بن عمر التيمي حاجبه قطري مولا الوليد.

نقش خاتمه توكلت على الحي القيوم.

قال المؤرخ مدة ولايته تسعة وستين يوماً أولها يوم الخميس وآخرها يوم الثلاثاء لتتمة ماية وست وعشرين سنة وخمسين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف ومايتي ستو ثلثين سنة وخمسة وتسعين يوماً شمسية للعالم.

(89) الحادي والعشرون وهو رابع عشر بني أمية مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.

ويكنى أبا عبد الملك وأمه ليانه جارية إبرهيم بن الأسير النخعي أخذها محمد بن مروان فولدت له مروان وعبد العزيز.

ويعرف بحمار الجزيرة ويقال انه لقب بذلك لثبوته في الحرب فيقال حمار الحرب لا يهرب ويقال له الجعدي لأن خاله الجعد بن درهم فنسب إليه.

قال وفي سنة سبع وعشرين وماية ولى مصر حسان بن عباهيه فأقام ستة عشر يوماً ثم عزله وولى مصر حفص بن الوليد.

وفيها انتفض أهل حمص على مروان فسار إليها فوجد أهلها قد ردموا أبواب المدينة فأحدق بالمدينة ونادى مناديه ما دعاكم إلى النكث فقالوا إنا لم ننكث وإنا على طاعتك قال فافتحوا لنا باباً ففتحوا ودخل إلى المدينة ثلاثة ألف

رجل فقتلهم من في المدينة وزحف مروان من باب تدمر وخرج إليه جمع فاقتتلوا فقتل مروان أكثر من خرج من المدينة وهدم حائط المدينة ودخلها وصلب حولها نحو من ستمائة رجل واستولى عليها.

قال ثم عزل أهل دمشق عامل مروان وحاصروه فقصدهم مروان ودخل دمشق.

ثم انضم إلى سليمان بن هشام عشرة ألف رجل من أهل البصرة وبايعوه بالخلافة وخلعوا مروان ومضى سليمان بجموعه إلى قنسرين وكانت أهل الشام قد انفضوا إليه من كل جانب (90) فأتاه مروان بجموعه فقاتله فقتل من أصحاب سليمان ما ينيف عن ثلثين ألفاً ومضى سليمان إلى حمص وانضم إليه جماعة وحصنوا حمص فقصده مروان فبايع سليمان أصحابه وكانوا نحو من تسع ماية على الموت وخرجوا قاصدين مروان وكمنوا له في الزيتون على طريقه في قرية تعرف بتل مير من عمل معرة النعمان فالتقى العسكران وقتل منهم خلق كثير وانهزم سليمان إلى حمص ثم مضى إلى تدمر وخلف بحمص أخاه سعيد بن هشام فجاء مروان إلى حمص فحاصرها عشرة أشهر ونصب عليها نيفاً وثمانين منجنيقاً ثم صالحهم وأمنهم على أن يسلموا إليه سعيد فسلموه إليه واستولى على حمص.

وخرج بالكوفة عبد الله بن معويه بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يدعو إلى نفسه بالخلافة وعاملها من قبل مروان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فقاتله وانهزم عبد الله بن معويه إلى الجبال واستولى على ما هناك.

(91) دولة بني عباس.

أول من دعي له بالإمامة من بني العباس محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في سنة ماية في أيام عمر بن عبد العزيز سراً وكانت الدعوة له بخراسان وله بها شيعة يدعون بها ويكاتبونه وكان أبوه علي بن عبد الله إذ ذاك حياً ولم يكن من علي وابنه محمد في السنة.

وكان من جملة الدعاة سليمان بن كتير وملك بن الهتيم وقحطبه وقدم هؤلاء إلى محمد الإمام وهو بالحميمة بهدايا وأموال تقارب أربع ماية ألف درهم فقال لهم إنني ميت في سنتي هذه وصاحبكم ابني إبرهيم إلى أنه مقتول فإذا قضى الله تعالى عليه صاحبكم ابني عبد الله بن الحارتية يعني السفاح فهو القائم بهذا الأمر ويكون هلاك بني أمية على يده وأخرجه إليهم فقبلوا يديه ورجليه ثم توفي محمد في سنة خمس وعشرين وماية وله ثلاث وستين سنة وقيل سبع وستين وخلف اثني عشر ولداً ذكوراً (92) وانتقلت الدعوة بعده إلى ولده إبرهيم الإمام رحمه الله.

وبعث إبرهيم أبا مسلم واسمه عبد الرحمن وهو من ولد جمهير وقيل من ولد اسفنديار إلى خراسان وكتب إلى الشيعة بها يأمرهم بطاعته.

فقدم أبو مسلم خراسان وعمره تسع عشرة سنة ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير وهو رئيس الشيعة فاستصغر أبا مسلم لحداثة سنه وخاف على نفسه وأصحابه أن لا يقوى أبو مسلم على هذا الأمر وعزم على رده ثم أقره.

فأظهر أبو مسلم الدعوة الهاشمية وعقد لواء بعثة إبرهيم الإمام على رمح طوله تسعة عشر ذراعاً وسموه الطل ولبس هو والشيعة السواد وذلك يوم عيد الفطر فصلى بهم أبو مسلم صلاة العيد قبل الخطبة بلا آذان ولا إقامة مخالفة لشعار بني أمية.

وكثر أصحاب أبي مسلم وقطع المادة عن نصر بن سيار وكان عاملاً على خراسان من قبل مروان فبعث نصر خيلاً لمحاربة أبي مسلم فهزمهم بو مسلم وقتل منهم جماعة وظهر أمر أبي مسلم ظهوراً كثيراً.

قيل لما انتشرت الدعوة لبني هاشم بخراسان وذلك قبل قدوم أبي مسلم كتب نصر بن سيار إلى الوليد بن يزيد.

أرى بين الرماد وميض جمر يوشك أبن يكون لها ضرام.

فإن النار بالعودين تذكى وإن

الحرب أولها الكلام.

فقلت من التعجب ليت شعري

أأيقاظ أمية أم نيام.

فكتب إليه الوليد الحاضر يرى ما لا يرى الغائب فاحسم البرلون فبلك فقال نصر لأصحابه قد اعلمكم أنه لا نصر عنده.

قال وفي سنة ثمان وعشرين وماية عزل مروان عن إمرة مصر حفص بن الوليد وولاها جويره بن سهل العجلاني.

(93) قال وفي سنة ثلاثين وماية دخل بو مسلم مرو ودخل دار الإمارة بها وصفت له وأخذ البيعة من الجند ودعا إلى الرضي من آل محمد ولم يسمي أحداً.

وهرب نصر بن سيار منه فاستباح أبو مسلم عسكره وقتل صناديدهم وقدم على جيشه قحطبه وبعثه إلى نيسابور للقاء نصر بن سيار فقتل وسبى نحو من ثلاثين ألفاً في وقائع كثيرة ثم مضى إلى جرجان وبها بنانه بن حنظلة فاقتتلا فقتل بنانه وانهزم أصحابه واستولى قحطبه على باقي عسكره.

قال وتوفي نصر بن سيار وفي سنة إحدى وثلاثين وماية جف أنفه وذلك أنه هرب من أبي مسلم إلى الري فمرض بها فحمل إلى ساوا قريباً من همذان فمات بها.

قال وفي هذه السنة قبض مروان على إبرهيم الإمام وقتله واختلف في قتله منهم من قال إنه سمه وقيل هدم عليه بناء فقتله وقيل وضع رأسه في حراب فيه بؤرة فمات.

وكان إبرهيم قد أوصى إلى أخيه أبي العباس السفاح وأمره أن يأتي الكوفة وكتب إلى الشيعة يعلمهم أنه الخليفة بعده وخرج أبو العباس وأهل بيته متوجهين من الحميمة إلى الكوفة.

قال وفي هذه السنة عزل مروان جويرة بن سهل عن مصر وولاها عبد الله بن المغبرة ثم توفي فولاها مروان عبد الملك بن موسى بن نصر.

قال وفي سنة اثنتين وثلاثين وماية هلك قحطبة بن شبيب وذلك أنه سار إلى العراق ويزيد بن عمر بن هبيرة عامل مروان عليها ومع يزيد عشرون ألفاً من أهل الشام أمده بهم مروان فالتقيا فانهزم يزيد إلى واسط وعبر قحطبة بجيوشه الفرات سحراً وكان أيام المد فعدم قحطبة ولم يقعوا له على أثر وقيل وجد قتيلاً في جدول فقام بأمر الجيش ولده حميد بن قحطبة (94) وكان قحطبة قبل عبورهم الفرات قال إن عدمت فيتولى الأمر حميد وإن غاب فالحسن فإذا دخلوا الكوفة فوزير الإمام أبو مسلمة بن الحلال.

قال وفيها دعا محمد بن علي القرشي بالكوفة لبني هاشم سراً وذلك قبل أن يعلم بموت قحطبة ثم دخل الحميد بن قحطبة الكوفة واستولت عليه السودا وبايعوا أبا مسلمه بن الحلال وكان يسمى وزير الدين محمد فعسكر بالنجيلة لقتال يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط وفرق عماله على البلاد.

قال وفي هذه السنة قدم أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور وأعمامهما وجماعة من بيتهما إلى الكوفة فأنزلهم وزيره بو مسلمة داراً وكتم أمرهم أربعين ليلة وحاول في ذلك فيما زعم أن يصرف الأمر إلى آل أبي طالب.

الثاني والعشرون وهو الأول من خلفاء بني العباس أبو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطالب بن هاشم.

وأمه ريطه ابنة عبد الله بن عبيد الميدان الحارتي.

قيل لما كتم أبو مسلمة أمر بني العباس استدل بعض الشيعة على موضعهم فاعلم به فدخل عليهم فقال أيكم بن الحارتية فقيل هذا فسلم عليه بالخلافة وأخرجوه إلى الناس فبايعوه فلم يكن أبو مسلمة حينئذ إلا إظهار الرضى والمبايعة فدخل عليه وسلم عليه بالخلافة فقال له حميد بن قحطبة على رغم أنفك.

وكانت بيعة السفاح ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من هذه السنة ولما بايعوه رقي إلى المنبر لابساً سواداً (95) وخطب للناس فأبلغ.

ثم خرج فعسكر بحمام اعين ومعه وزيره أبو مسلمة فأقام شهراً ثم رحل فنزل الأنبار.

ثم جهز عمه عبد الله إلى قتال مروان ابن محمد الحمار فالتقى الجمعان بالتراب عند الموصل فانهزم مروان فقتل من أصحابه وغرق ما لا يحصى عدده وفيمن غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع واحتوى عبد الله على عسكر مروان بما فيه وهرب مروان إلى قنسرين وعبد الله يتبعه ثم مضى مروان إلى حمص فتلقاه أهلها بالطاعة فأقام عندهم ثلاثة أيام فرؤوا قلة عددهم فمالوا منه فانهزم فتبعوه وطمعوا فيه فقاتلوه وهزمهم وسار مروان إلى دمشق ثم منها إلى فلسطين والأردن وعبد الله بن علي يتبعه.

فنزل عبد الله بنهر الأردن وقتل جماعة من بني أمية قيل إنه جمعهم وأظهر أنه يفرض لهم البيعة وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً فرتب على رأس كل واحد منهم شخصاً من أصحابه وبأيديهم العمد فصاح رجل منهم.

عبد شمس أبوك وهو أبونا لا نناديك

من مكان بعيد

والقرابات بيننا راسخات محكمات

القوي بعقد شديد

إنما قال عبد شمس أبوك لأنه عمه والعم يسمى أباً.

فقال عبد الله هيهات ثم صفق بيديه فضرب كل شخص صاحبه الموكل به بالعمود فقتلوهم عن آخرهم ثم أمر بهم عبد الله فسحبوا وصفوا وبسط بسطاً وجلس هو وأصحابه على البسط واستدعى الطعام فأكلوا وهم يسمعون أنينهم تحت البسط حتى ماتوا فقال عبد الله ليوم الحسين ولا سوا.

وكان قبل ذلك قد أنشد بعض الشعراء قدام عبد الله وبنو أمية يسمعون.

(96) أما الدعاة إلى الجنان فهاشم

وبنو امية من دعاة النار.

وبنو أمية درجة ملعونة ولهاشم في

المجد عود نطار.

قال ثم جهز السفاح عمه صالح بن علي بن عبد الله بن العباس على دمشق وعاملها لمروان الوليد بن معويه بن مروان بن الحكم ففتحها عنوة وقتل الوليد ونهب دمشق ثلاثة أيام ونقض سورها حجراً حجراً.

وهرب مروان بن محمد إلى مصر فجهز عبد الله أخاه صالح بن علي فأدركه بقرية من قرى الصعيد يقال لها بوصير قوريدس فقتله هناك ليلة الأحد لثلاث بقين من جمادى الآخرة وبعث صالح رأسه إلى السفاح فخر ساجداً لله حين رآه وتصدق بعشرة ألف دينار فقال له عبد الله بن علي المشرف الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة.

وكان مدة ولاية مروان إلى أن بويع السفاح خمس سنين وشهر أولها يوم الأحد وآخرها الخميس لتتمة ماية أحد وثلثين سنة وثلاثة وسبعين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف ومايتي إحدى وأربعين سنة وثلاثة وستين يوماً شمسية للعالم وكان عمر مروان ست وخمسين سنة وقيل تسع وخمسين سنة وهو آخر خلفاء بني أمية.

قال مدتهم سيرة مروان حازماً شجاعاً صاحب رأي وتدبير إلا أن السعادة إذا أدبرت لا ينفع الرأي والحزم شيئاً كما قيل.

إذا أقبلت جاءت تقاد بشعره.

وإن أدبرت ولت تقد السلاسل.

قال وكان له ولدان عبد الله وعبد العزيز فهربا بعد قتله فأما عبد الله فقتله الحبشه فأخذ وحبس ولم يزل محبوساً إلى خلافة الرشيد فأخرج صريراً ومات ودفن ببغداد وله عقب.

وكاتب مروان عبد الحميد بن يحيى مولى بني عامر قاضيه عثمان التيمي حاجبه صفلات مولاه.

نقش خاتمه أذكر الموت يا عاقل.

(97) قال وفي هذه السنة سير أبو مسلم صاحب الدعوة فراز بن أنس الصبي في جماعة فوقف لأبي مسلمة بن الحلال الوزير فلما خرج من عند السفاح وتبوأ عليه فقتلوه فظن الناس أن الخوارج قتلته وكان هذا بأمر السفاح مقابلة على ما قصد من صرف الأمر عنه إلى آل أبي طالب.

قال وفيها أمن السفاح يزيد بن عمر بن هبيره وكان متحصناً بواسط ثم بعث إليه من قتله وكان هذا قد عزم على أن يدعو لعبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

قال فلما استوثق الأمر للسفاح ولى أبا جعفر المنصور ادربيجان وأرمينية والجزيرة وأخاه يحيى بن محمد الموصل وعمه داود على الحجاز واليمن وعمه عيسى على الكوفة وسفيان بن معويه المهلبي البصرة ومحمد بن عبد الرحمن بن الأشعب فارس ومنصور بن جمهور الهند والسند وأبا مسلم صاحب الدعوة خراسان وعمه عبد الله بن علي الشام وعمه صالح بن علي مصر قال واستخلف صالح علة مصر اباعون عبد الملك بن يزيد.

ولما رجع عبد الله بن العباس من الرملة ودخل دمشق نبش قبور بني أمية وأحرقهم بالنار ولما صار إلى الرصافة أخرج هشام بن عبد الملك من قبره وضربه ماية وعشرين صوطاً حتى تناثر ثم جمعه وأحرقه بالنار وقال أخبرني أبي أنه ضربه ستين صوطاً ظلماً.

قال وفي سنة ثلاثين وماية توفي السفاح بالهاشمية يوم الأحد لثلث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة فكانت خلافته أربع سنين وأشهر وصلى عليه ابن أخيه عيسى بن موسى وكبر خمساً وكان عمره اثنتي وثلثين سنة ونصف.

وصفته كان أبيض حسن الوجه طوالاً أقنا الأنف.

وسيرته جواداً شديداً الرأي كريم الأخلاق قيل أنه وصل عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب

[خطأ في ترقيم الأوراق في نص الكتاب لكن النص صحيح ومترابط مع بعضه]

(98) والسعادة إذا أقبلت على رجل لا يخشى شيئاً كما قيل.

ألا فاخش مابرجا وجدل هابط ولا

تخش ما يخشى وجدل رافع

فلا نافع إلا مع النجس ضاير ولا

ضاير إلا مع النجس نافع.

قال وفي سنة سبع وأربعين وماية هلك عبد الله بن علي عم المنصور وذلك أنه لما هزمه أبو مسلم هرب إلى البصرة واستتر عند أخيه سليمان فبعث إليه المنصور أماناً وحلف له أنه لا يؤذيه فلما حضر أمر أن يبنى له دار ويجعل في أساسها ملح كثير فلما سكنها أجرى الماء فيها فوقعت عليه فمات.

وفيها خلع المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى عن ولاية عهده وجعلها لولده المهدي ثم من بعده لعيسى بن موسى وذلك بعد مفاوضات يطول شرحها.

قال وفي هذه السنة توفي أبو عبد الله جعفر الصادق بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بالمدينة.

قال وفي سنة خمسين وماية توفي أبو جعفر النعمان بن تابت رضي الله عنه وعمره سبعون سنة.

قال وفي سنة اثنتين وخمسين وماية توفي يزيد بن حاتم أمير مصر فولاها المنصور عبد الله بن علي بن عبد الرحمن بن معويه بن حديج.

وفيها توفي معن بن زائدة الشيباني وكان شجاعاً بطلاً جواداً يضرب بجوده الأمثال وكان المنصور قد ولاه اليمن ثم ادربيجان ثم خراسان وهو الذي قال فيه الشاعر.

معن بن زائدة زيدت به شرفاً إلى

شرف بنو شيبان.

إن عد أيام الفخار فإنما يوماه يوم

ندي ويوم طعان

قال وفي سنة خمس خمسين وماية توفي عبد الله بن علي بن عبد الرحمن بن معويه بن حديج أمير مصر فولاها المنصور موسى بن علي بن رياح اللجمي فلم يزل والياً عليها إلى أن توفي المنصور.

(99) أبو جعفر المنصور عناية بأسقف كان صاحباً له جعله بطركاً عوضه ولم يكتب سنوديقا إلى بطرك مصر.

قال وفي أول أيام السفاح وصل مروان إلى مصر في شهر بوونه في سنة أربع ماية سبع وستين لدقلاديانوس وعند وصوله عصا عليه البشامره فقتلهم وقتل من الفريقين خلق كثير وقاسى البطرك والنصارى من مروان الحمار شدائد عظيمة وأراد مروان قتل البطرك مراراً وقدم للسيف دفعات ومنعه الله منه.

فلما وصل عسكر السفاح خلف مروان عدى إلى الجيزة وأحرق مصر وما فيها من الغلال والحواصل وعبر هو ومن معه على دير رهبانات فأسروهن وكان من جملتهن شابة جميلة الصورة فأدخلها مروان إلى خيمته أراد أن يفضحها فاحتالت عليه وقالت له إن تركتني أعطيتك دهناً من اندهن به لا يعمل السيف فيه قال ومن أين اعلم صدق هذا الحديث قال تجعل التجربة في وأنا اندهن واضربني بالسيف فظن أن القول صحيح فأخذت زيتاً واندهنت به وجذب السيف وضربها فطارت رأسها فعلم أنها اختارت الموت ولا يندنس جسدها بالزنا فتعجب من هذا الأمر.

قال ولم يزل البطرك والنصارى معه في السلاسل إلى أن قتل في بوصير قوريدس في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وماية للهجرة فأطلقهم نايب السفاح وأحسن إليهم.

قال وكان مروان نهيماً في أكله وكان يحب كلى الخراف الشواء فكان إذا حضرت الخراف بين يديه لا يتمالك أن يصبر فيلف كم قميصه على يده ويعبر بها في بطن الخروف فيأخذ الكلى فيأكلها ويقلع القميص ويلبس غيره وذكر أنه خلف ما يزيد عن عشرة ألف قميص في أكمامها دهن الكلى.

(100) الثالث والعشرون وهو ثاني العباسيين أبو جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

وأمه سلامة ابنة بشر ابن بدنه بويع له بالخلافة بطريق مكة وكان السفاح أخوه قد ولاه الحج فانيه الخلافة بمكان يعرف بالصفية فقال صفاء أمرنا إن شاء الله فبايعه الناس وحج بهم وعاد ووصل إلى الهاشمية في شهور سنة سبع وثلاثين وماية وبايعه الناس بها.

وفي هذه السنة دعا عبد الله إلى نفسه بالخلافة بالشام فبعث المنصور أبا مسلم صاحب الدعوة لقتاله في جيش كثير فالتقوا قريباً من نصيبين واقتتلوا قتالاً شديداً وجرت بينهم وقائع كثيرة وآخرها أن أبا مسلم حمل بأصحابه حملة رجل واحد فانهزم عبد الله وأصحابه أقبح هزيمة فاستباح أبو مسلم أموالهم ثم أمن الناس ومضى عبد الله وأخوه عبد الصمد إلى العراق ورحل عبد الله البصرة ومضى عبد الصمد إلى الكوفة.

وفي هذه السنة استدعى المنصور أبا مسلم ليقتله فامتنع من القدوم عليه وكان سبب ذلك أن بلغ المنصور أن أبا مسلم ذكره بالشر ثم راسله وتلطف به وخدعه إلى أن قدم عليه فوقع به ورمى به في الدجلة وذلك لخمس بقين من شعبان.

قيل حصى من قتل في دولة أبي مسلم صمرا وفي حروبه فكانوا ستماية ألف وكان يعتقد مذهب التناسخية الحلولية فكان من رأيه أن الإمامة سارت بعد علي بن أبي طالب إلى ولده الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى محمد بن الحنيفية ثم إلى ولده أبو هاشم ثم إلى (101) محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ثم إلى ابنه إبرهيم ثم إلى السفاح ثم إلى المنصور وكان عنده فيما زعموا شيء من علم الحفر ولما قتله المنصور أنشد.

زعمت أن الذي لا يقتضي فاستوف

بالكيل أبا مسلم

سقيت كأساً كنت تسقي بها

أمر في الحلق من العلقم

قال وفي سنة تسع وثلاثين وماية دخل معويه بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأندلس فبايعه أهلها بالخلافة وعمره ثمان وعشرون سنة وهو أول من ولي الأمر منهم بتلك البلاد.

قال وفي هذه السنة أمر المنصور بتوسعة المسجد الحرام من ناحية باب الندوة وهي مسجد الحنف.

قال وفي سنة أربعين وماية عزل المنصور عمه صالح بن علي عن إمارة مصر وولاها أبا عون عبد الملك بن يزيد ثم عزل أبا عون في سنة إحدى وأربعين وماية وولاها موسى بن كعب ثم عزل موسى بن كعب في سنة اثنتين وأربعين وماية وولاها محمد بن أسعد ثم عزله في سنة ثلاث وأربعين وماية وولاها حميد بن قحطبة ثم عزل حميد بن قحطبة في سنة أربع وأربعين وماية وولاها يزيد بن حاتم بن أبي صفرة المهلبي.

قال وفي هذه السنة قبض المنصور على عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وجماعة من بني الحسن وفيها قبض أيضاً على محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان المسمى الديباج المذهب لما بلغه أن محمداً وإبرهيم ابني عبد الله بن الحسن على عزم الخروج عليه والدعاء إلى أنفسهما وكانا مختفيين لا يعلم مكانهما فاشتد طلب المنصور لهما وحمل عبد الله أباهما وأهل بيته والديباج إلى العراق مقيدين فحبسهم وضرب الديباج ضرباً مبرحاً مراراً فمات الديباج في السجن وأخذ رأسه وطيف بها في خراسان قال هذه رأس محمد بن (102) عبد الله ليوهم الناس أنه محمد بن عبد الله بن الحسن ليسكن أمره وينقطع رجاء شيعته منه.

قال وفي سنة خمس وأربعين وماية شرع المنصور فيي بناء مدينة بغداد وأسها في وقت اتفق المنجمون على اختياره وقيل أنها كانت مرجة خضرى فيها صومعة راهب اسمه بغداد وسميت باسم الراهب وسماها المنصور مدينة السلام ولما تم بناؤها صارت مستقر الخلفاء العباسيين.

قال وفي هذه السنة خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى المدينة فبايعه أهلها بالخلافة وتلقب بالمهدي واجتمع عليه ماية ألف رجل فوجه المنصور لقتاله ابن أخيه وولي عهده عيسى بن موسى فلما وصل فقد كانت أهل المدينة فتفرق منهم جماعة وخرج محمد بن عبد الله إلى الخندق الذي كان النبي احتفره يوم الأحزاب واحتفره بنفسه واحتفر الناس معه ولما قرب عيسى بن موسى قال محمد لأصحابه إن هذا الرجل قد أقبل في عدد وعدة وقد أحللتكم من تبعتي فمن أحب منكم فليقم ومن أحب فلينصرف فتسللوا وبقي معه نحو من ثلثماية رجل ثم التقى محمد وعيسى فانهزم محمد وأصحابه وأتى الخندق فنصب عليه جسراً وجازت الخيل وقاتلوا فقتل محمد واجتز رأسه وبعث بها إلى المنصور وطيف به في البلاد وكان مقتله في شهر رمضان.

قال وفيها ظهر إبرهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالبصرة فبايعه أهلها واستولى عليها وعلى فارس والأهواز وتبعه خلق كثير قيل إنهم كانوا ماية ألف فلقيه عيسى بن موسى فقاتله فوقع في نحر إبرهيم سهم فقتله وانهزم أصحابه واجتز رأس إبرهيم وبعث به إلى المنصور

(103) بألفي ألف درهم وهو أول خليفة وصل بهذه الجملة.

قال له ولد يسمى محمداً وابنة اسمها ربطة تزوجها المهدي.

قال والسفاح أول خليفة اتخذ وزيراً ولم يكن عند بني أمية من يسمى وزيراً وإنما كانت لهم الكتاب.

قال وكان بو مسلمة بن الحلال وزيره ثم قتل وذكرنا ذلك وبعده وزر السفاح خالد بن برمك وكان قاضيه بن أبي ليلى الأنصاري ثم بعده يحيى بن سعيد الأنصاري حاجبه أبو عثمان بن صالح بن الهتيم مولاه.

نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن مدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وستة وعشرون يوماً أولها يوم الجمعة وآخرها يوم الأحد لتمام ماية خمسة وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً وتسعة أيام للهجرة لتمام ستة ألف ومايتي خمس وأربعين سنة وتسعة أشهر ونصف للعالم شمسية.

والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في أيام السفاح أن الروم لما توفي ملكم (ملكهم) صيروا عليهم رجلاً من أهل مرعش ملكاً اسمه ارطبسطوس ولم يكن من بيت الملك وأقام أيام السفاح والمنصور وأمره مضطرب ومات وملك بعده على الروم قسطنطين بن لاون وبنى قسطنطين مدناً كثيرة وأسكنها قوماً من أهل أرمينية وغيرها من الأقاليم.

قال وفي أيام السفاح أمر أن يقدم إسحق الأسقف بطركاً على أنطاكية والشرق لأنه كان يتردد إليه ويخدمه قبل أن يملك فقام بأمره على أن من خالفه يقتل وقتل بسببه مطرانيين وسير من جهته سنوديقا إلى ابناخاييل بطرك الإسكندرية وكتاباً يقول فيه أن يقبله وألا يحضر إلينا فلم يقبله وتجهز للسفر ووصل الخبر إلى مصر أن إسحق قد توفي بأنطاكية ووثب على الكرسي إنسان اسمه اتاناسيوس وجلس في ذلك الوقت بغتة قبل غياب الشمس فمات ثاني يوم ثم قدم إنسان آخر اسمه جرجه على أنطاكية وبعد مدة اعتقله

(104) قال وفي سنة ثمان وخمسين وماية توفي أبو جعفر المنصور في بير ميمون على أميال من مكة وكان محرماً بالحج وذلك لست خلون من ذي الحجة وصلى عليه بن أخيه إبرهيم بن يحيى بن محمد ودفن بالحجون بمكة ويقال إنه كبر في ذي الحجة وتوفي في ذي الحجة وكانت مدة خلافته اثنتي وعشرين سنة إلا سبعة أيام وعمره ثلاث وستين سنة وقيل وثمان وستين.

قال وصفته كان أسمر طوالاً نحيفاً خفيف العارضين يخضب بالسواد ويقال إنه يغير شيبه بألف مثقال مسك كل شهر.

سيرته كان عنده من حسن السيرة والتدبير وصواب الرأي ولطف السياسة ما يجاوز الوصف وكان حازماً قد عركته التجارب مهيباً يأخذ بالظنة ويقتل بالتهمة وكان بخيلاً إلى الغاية وكان يسمى الدوانقي وفيما روى من بخله أنه دخل إليه أعرابي فقال أقول له حين واجهته عليك السلام أبا جعفر فقال المنصور عليك السلام فقال الأعرابي فأنت المهدي ابن هاشم وفي الفرع منها الذي يذكر فقال المنصور ذلك رسول الله عليه االسلام فقال الأعرابي فهذه ثيابي قد أخلقت وقد غضني زمن منكر فقال المنصور وهذه ثيابي بدل ثيابك ونزعها ودفعها إليه.

قال وكان قميص المنصور مرقوعاً فقال الأعرابي أما سمعت قول بن هريمة.

قد يدرك الثرب الفتى ورداؤه خلق

وجيب قميصه مرقوع.

وقيل إنه استخدم طباخيه على أن لهم الروس والأكارع وعليهم الحطب والتوابل.

وخلف في بيت المال ستماية ألف ألف درهم وأربعة وعشرين ألف ألف دينار.

وكان وزراؤه أبو عطية البابلي ثم أيوب المرزباني وارتفعت منزلته عنده إلى الغاية ثم قبض عليه وقتله واستوزر الربيع مولاه.

قضاته عبد الله بن محمد بن (105) صفوان وشريك بن عبد الله والحسن ابن عمارة والحجاج بن ارطاه.

حجابه الربيع مولاه ثم عيسى مولاه ثم الحصيب مولاه.

مدة ولايته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة وعشرين يوماً أولها يوم الاثنين وآخرها يوم السبت لتتمة ماية سبع وخمسين سنة وأحد عشر شهراً وستة أيام للهجرة ولتمام ستة ألف ومايتي سبع وستين سنة وتسعة وثلاثين يوماً شمسية للعالم.

والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في أيامه أن البطرك ابنا خابيل بطرك اليعاقبة بالإسكندرية تنيح في السنة العاشرة من خلافته سنة خمس وأربعين وماية للهجرة وقدم عوضه ابنا مينا في أيام المنصور أبي جعفر أقام تسع سنين وتنيح في آخر طوبه وقيل إنه قدم في السنة الثالثة من ملك لاون بن قسطنطين ملك الروم.

قال بعض المؤرخين كان في أيام المنصور بمصر مظالم كثيرة من نوابه حتى إنه لم يبق إنسان من صانع ولا طواب ولا حمال ولا حفار قبور ولا مصدق حتى ألزمهم الخراج وأخذ أموالهم واشتد البلاء بالناس حتى أكلوا الكلاب والجيف فبينما هم في الجهد والبلاء إذ توفي المنصور.

الثالث من خلفاء بني العباس وهو الرابع والعشرون المهدي محمد بن المنصور.

واسم أمه أم موسى بنت المنصور بن عبد الله بن سهر الحميري بويع له بالخلافة يوم توفي والده بمكة وهو إذ ذاك ببغداد لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وماية للهجرة وخرج عليه بعد ذلك يوسف بن إبرهيم أمير خراسان فلقيه يزيد بن يزيد فقاتله وأخذه وبعث به إلى المهدي فصلبه ببغداد.

(106) وفي سنة تسع وخمسين وماية ولى المهدي إمرة مصر محمداً بن سليمان من أهل الشام ثم صرفه وولاها موسى بن علي ثم عزله في سنة ستين وماية وولاها عيسى بن لقمان الجمجمي ثم صرفه عنها في سنة اثنتين وستين وماية وولاها واضح مولى المنصور ثم صرفه وولاها منصور بن يزيد الرغبي فصرفه في سنة ثلاث وستين وماية وولاها أبا صالح يحيى بن عبد الله الجوننى.

قال وفي هذه السنة أغرى المهدي ولده هرون الصايفة واستوزر له يحيى بن خالد بن برمك فضم إليه جيشاً كثيفاً وسار المهدي مع ولده هرون يودعه فجامعه إلى حلب وقام بمرج دابق وسار هرون بجيوشه حتى وصل الروم ونزل ببلادها وحاصر قلعة يقال لها سمالق ونصب عليها المناجنيق وقاتلها ثمانية وثلاثين يوماً وفتحها بعد أن هدمها ومضى المهدي إلى بيت المقدس ورآه وقرر أمور الشام وعاد إلى العراق.

قال وفي سنة أربع وستين وماية ولى المهدي أمر مصر إبرهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس.

وفيها جهز المهدي ولده هرون إلى بلاد الروم فتوغل هرون في البلاد وفتح مدينة يقال لها ما حده فلقيه لخيول نقيطا القومص قبارزه يزيد بن يزيد فسقط نقيطا وأثخنه يزيد ضرباً وانهزم الروم وصاروا إلى الدمسق صاحب المالح وسار هرون في خمسة وتسعين ألفاً حتى بلغ خليج البحر الذي على القسطنطينية وملكها يومئذ امرأة فصالحت الرشيد هرون على بذل الهدايا وأن يقيم الأدلاء والأسواق في طريقه وأن تؤدي كل سنة سبعين ألف دينار وصالحها وغنم المسلمون في هذه الغزوة ما لا يحصى.

قال وفي سنة ست وستين وماية عاد هرون بن المهدي قافلا بالمسلمين في المحرم ومعه الروم بالحرية وكانت الهدية مع صاحبه (107) القسطنطينية ثلاث سنين ولما عاد من الغزاة بايع والده المهدي بولاية العهد بعد موسى الهادي ولده الرشيد هرون وكان قبل ذلك قد خلع ابن عمه عيسى بن موسى بن محمد من ولاية عهده.

قال وفي هذه السنة جد المهدي في طلب الزنادقة فقتلهم وممن اتهم بالزندقة صالح بن عبد الله القدوس ويسار بن يرد ويقال أن المهدي إنما قتل يسار لقوله بهجوه.

خليفة مر في نعمائه بالدف

والصولجان.

أبدلنا الله به غيره ودس موسى في حر الحرران.

ولقوله أيضاً في يعقوب بن داود وزيره.

بنو أمية هبوا أطال نومكم إن

الخليفة يعقوب بن داود.

ضاعت خلافتكم يا قوماً فالتمسوا

خليفة الله بين الدف والعود.

قال وفي سنة سبع وستين وماية صرف المهدي إبرهيم بن صالح عن إمرة مصر وولاها موسى بن مصعب وفي سنة ثمان وستين وماية قتل بن مصعب أمير مصر في شوال فقام بإمرة مصر خليفته عامر بن عمر إلى أن قدم الفضل بن صالح بن عبد الله بن العباس أميراً على مصر من قبل المهدي في سنة ثمان وستين وماية.

قال وفي سنة تسع وستين وماية توفي أمير المؤمنين المهدي بقرية من قرى ماسيدان لثمان بقين من المحرم ولم يوجد له نعش يحمل عليه فحمل على باب ودفن تحت شجرة جوز وكان يجلس عندها ومدة حلافته عشر شنين وشهرين ونصف وعمره اثنتين وأربعين سنة ونصف وصلى عليه ولده هرون الرشيد.

صفته أسمر طويلاً حسن الوجه مصغرا بعينه اليمنى بياض وسيرته حازماً جواداً وصولاً محباً للناس لكرمه ورده المظالم إلى أهلها وعدله وكفه عن سفك الدماء يباشر الأمور بنفسه كثير الولاية والعزل (108) خشية من استيلاء الولاة على الرعية والممالك ورد كثير مما أخذه أبوه من الأموال وأطلق من كان في السجون وزاد في المسجد الحرام وبنى العلمين اللذان يسعى بينهما.

لما حج بالناس دخل الكعبة ومعه المنصور الحجني قال له المهدي سل حاجتك فقال إني استحي أن أسأل في بيته غيره فلما خرج أرسل له بعشرة ألف دينار.

ويقال إنه دخل إلى المهدي مروان بن أبي حفص فأنشده قصيدته التي أولها.

صحي بعد جهل واستراحت

عواد له

فقال له المهدي كم هي بيتاً فقال سبعون بيتاً فأمر أن يعطى عن كل بيت ألف درهم فقال له مروان اسمع مني يا أمير المؤمنين أبياتاً قلتها الساعة فقال له هات.

كفاكم بعباس أبي الفضل والندا

وما من أب إلا أبو الفضل

فاضله.

كان أمير المؤمنين محمداً أبو جعفر

في كل أمر يحاوله

إليك فصرفا الصف من

صلواننا سرا شهراً بعد شهر

يحاصله.

فلا نحن نخشى أن يحيب مسيرنا

إليك ولكن أهنى البر عاجله

فتبسم المهدي وقال عجلوها له فحملت إليه من ساعته.

قال وكان وزراءه معويه بن عبد الله الأشعري ثم صرفه واستوزر يعقوب بن داود بن طهمار فعلت منزلته عنده إلى الغاية وصير الأمور كلها إليه على الإطلاق ثم عزله وحبسه في المطبق ولم يزل محبوساً إلى أن مضت خمس سنين من خلافة الرشيد هرون فأطلقه بعد أن كف بصره فأقام بمكة حتى مات وقيل أنه إنما حبسه لأنه قد سلم إليه شخصاً من (109) العلوية وأمره بقتله وكان الوزير يعقوب يميل إلى العلوي فأطلقه فبلغ الخليفة ذلك فسير لوقته إلى الطرقات فظفر بالعلوي فجعله عنده وأحضر الوزير وسأله عنه فقال قتلته فقال احلف برأسي فحلف فأحضر العلوي قلما رآه الوزير امتنع عليه الكلام فأمر به إلى المطبق فأقام المدة المذكورة ووزر بعده القبض بن صالح.

قال وقضاته محمد بن عبد الله بن علاقة وعافيه بن يزيد كانا يقضيان معاً في مسجد الرصافة ببغداد.

حاجبه سلام ابوش والفضل بن الربيع بن يونس.

نقش خاتمه حسبي الله.

قال المؤرخ والذي تحررت عليه مدة ولايته عشر سنين وخمسة وأربعين يوماً أولها يوم الأحد وآخرها يوم الأربعاء لتتمة ماية ثمان وستين سنة واثنين وعشرين يوماً للهجرة لتمام ستة ألف ومايتي ست وسبعين سنة وأحد عشر شهراً وعشرة أيام شمسية للعالم.

الرابع من الخلفاء العباسيين وهو الخامس والعشرون الهادي موسى بن المهدي بن أبي جعفر المنصور.

أمه الخيزران بنت عطا مولى أبيه وهي أم الخلفاء مولده حرش بويع بالخلافة يوم توفي والده وهو يوم الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين وماية وكان إذ ذاك مقيماً بجرجان يحارب أهل طبرستان فبويع له بماسيدان ثم أخذ له أخوه هرون الرشيد البيعة ببغداد وبعث إليه يعزيه ويهنيه بالخلافة فقدم إلى بغداد على خيل البريد فتلقاه الناس فبايعوه.

قال وفي هذه السنة عزل الهادي الفضل بن صالح عن إمرة مصر وولاها (110) علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس.

قال وفي سنة سبعين وماية عزم الهادي على خلع أخيه الرشيد هرون من ولاية عهده ونقلها إلى ولده جعفر بن الهادي فعاجله القضاء وحال بينه وبين مراده.

قال وفي هذه السنة توفي موسى الهادي ببغداد ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخرة وصلى عليه أخوه هرون الرشيد فكانت خلافته سنة واحدة وشهرين واثنين وعشرين يوماً وعمره أربع وعشرين سنة وقيل خمس وعشرين سنة.

قيل أن أمه الخيزران قتلته وسبب ذلك أنه اتصل به أن أكابر المدينة يترددون إليها في حوايجهم فكانت تثقل عليه في ذلك فأسخرته فقال لها أن بلغني أن أحداً وقف ببابك من خاصتي ضربت عنقه فكفي عن هذا فانصرفت ما تعقل ولم تنطق عنده بحلوة ولا بمرة وقيل أنه أرسل إليها إوزة مسمومة قال استطيبيها فكلي منها فخافت أن يكون فيها ما تكرهه فجاؤوا بكلب فأكل منها فتساقط لحمه فأرسل إليها لو أكلتي منها لكنتي قد استرحتي منها.

فلما مرض واشتد مرضه وضعت على وجهه مخدة وجلست عليها حتى مات.

وقيل أنه لما عزم على قلع أخيه الرشيد هرون كلمه يحيى بن خالد بن برمك وزير الرشيد فقال يا أمير المؤمنين إن حملت الناس على نكث الأيمان هانت عليهم أيمانهم وإن تركتهم على بيعة أخيك ثم بايعت لولدك بعده كان ذلك أوكد للبيعة فإن فعلت خلافه وكان الأمر الذي أسأل الله عز وجل إلا أبلغه وإن يقدمنا قبله فإن الناس لا يرضون بولدك لصلاتهم وحجهم وغزوهم وهو لم يبلغ الحلم ولا تأمن أن يسموا إليها أكابر أهلك مثل فلان وفلان فيخرج من بيتك.

قال والله لقد نبهتني يا يحيى على أمر لم أنتبه له وتركه.

(111) قال صفته جميل الصورة أبيض تعلوه حمرة طويلاً جسيماً أفوه بشفته العليا يقلص.

سيرته شجاعاً مقداماً جواداً صعب المرام ويقال أنه أنشد يوماً شعراً

وأسهلت رماحهم بالرديني شرعا

ثم قال أشتهي شعراً يكون في وزن هذا فأحضر شاعراً يقال له يوسف الصقيل فقال في ذلك.

لا تلمني إن اجرعا سيدي قد تمنعا

وابلاي إن كان ما بيننا قد تقطعا

إن موسى لفضله جمع الحسن أجمعا

فقال الهادي أوفروا له بعشرة دراهم ففعلوا كما أمر.

وكان وزراءه الربيع بن يونس ثم عمر بن الربيع وقضاته أبو يوسف يعقوب بن إبرهيم صاحب أبي حنيفة رحمه الله بالجانب الغربي وسعيد بن عبد الرحمن بالجانب الشرقي حاجبه الفضل بن الربيع.

نقش خاتمه الله ربي.

قال المؤرخ إن مدة ولايته سنة واحدة واثنين وخمسين يوماً أولها يوم الخميس وآخرها يوم الجمعة لتتمة ماية وتسعة وستين سنة وأربعة وسبعين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف ومايتي ثمان وسبعين سنة وثمانية عشر يوماً للعالم شمسية.

قال وفي أول سنة من خلافته قدم أبناء يوحنا البطرك لليعاقبة على الإسكندرية في اليوم السادس عشر من طوبه وأقام ثلاث عشرة سنة ومات في سادس عشر طوبه سنة خمس ماية وخمس عشرة لدقلاديانوس وقيل كان يوم مولده ويوم بطركيته ويوم وفاته الجميع سادس عشر طوبه على ما ذكر في سير البطاركه.

قال وكانت البيعة في أيامه في هدوء وسلامة.

وكان محباً للصدقة كثير الرحمة وكان في أيامه غلاء عظيم وكان يقوم بالمحتاجين ولا يدعهم يعجزون شيئاً.

وأما كرسي أنطاكية فلما مات داود الذي اغتصب الكرسي بأنطاكية (112) عاد جرجس إليه وذلك بعد عشرة سنين معتقل ولما تقدم الأب يوحنا كتب له سنوديقا ووصل إليه الجواب باتحاد الكنيسة.

ولما تنيح الأب جرجس صير عوضه إنسان قديس اسمه كرياقوس بطركاً على أنطاكية وكتب سنوديقا وسيره إلى الأب يوحنا فقبله وفرح به وكتب له الجواب عنه باتحاد البيعة المقدسة.

الخامس من الخلفاء العباسيين وهو السادس والعشرون الرشيد هرون أبو جعفر وقيل أبو محمد هرون ابن المهدي بن أبي جعفر المنصور.

وأمه الخيزران أم أخيه الهادي بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه أخوه الهادي وهو يوم الجمعة.

قال ولد في تلك الليلة المأمون بن الرشيد هرون وكانت ليلة عجيبة مات فيها خليفة وولد خليفة.

ولما بويع للرشيد قلد يحيى بن خالد بن برمك وزارته وكان يخاطبه بالأبوة فيقول له يا أبة.

قال حين استوزره قد قلدتك أموراً وأخرجت ذلك من عنقي إليك فاحكم بما تراه فقال في ذلك بعض الشعراء.

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة

فلما ولي هرون أشرق نورها

فهرون واليها ويحيى وزيرها

قال وفي هذه السنة ولد محمد الأمين بن الرشيد هرون من بنت عمه جعفر واسمها أمة الواحد وقيل أمة العزيز وتلقب زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور وذلك بعد خلافته تسعة أشهر.

قال وفي سنة إحدى وسبعين وماية ولى الرشيد مصر موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي.

(113) وفي سنة اثنتين وسبعين وماية توفي عبد الرحمن بن معوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي ملك الأندلس فكانت مدة مملكته اثنتين وثلاثين سنة وأشهر وبويع بعده بالخلافة بتلك البلاد ولده هشام بن عبد الرحمن.

وفيها صرف الرشيد موسى بن عيسى عن إمرة مصر وولاها مسلمة بن يحيى وعلى خراجها عمراً بن مهران ثم عزل مسلمة وولى مكانه محمداً بن زهر ثم عزله في سنة ثلث وسبعين وماية وولى مكانه داود بن يزيد بن حاتم.

قال وفي سنة خمس وسبعين وماية ولى الرشيد إمرة مصر موسى بن عيسى بن موسى الهاشمي.

وفيها أخذ الرشيد البيعة لولده محمد الأمين بن زبيدة بولاية عهده وعمره يومئذ خمس سنين فقال سالم الحاشر الشاعر فيه.

قد وفق الله الخليفة إذ بنى بيت

الخلافة للتحاب الأزهر

هو الخليفة عن أبيه وجده شهدا

عليه بمنظر وبمحبر

قد بايع البقلان مهدي الهدى

محمد بن زبيدة ابنة جعفر.

فبلغ زبيدة ذلك فأرسلت إليه بخلع سنية وصلات جزيلة.

قال وفي سنة ست وسبعين وماية خرج يحيى ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بالديلم ودعى إلى نفسه واشتدت شوكته فأرسل الرشيد هرون إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في خمسين ألفاً وولاه الري وجرجان والجبال وطبرستان فمضى إلى خراسان وكاتب يحيى ورفق به إلى أن أجابه يحيى وشرط له أن يشهد الرشيد على نفسه بالأمان له فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك فأجابه وكتب له بالأمان وأشهد على نفسه فيه جماعة من القضاة والأكابر وبعثه إلى الفضل فبعثه الفضل إلى يحيى وبعث معه ألطافاً وهدايا فقبلها يحيى (114) وجاء إلى الفضل فقدم به الفضل بغداد فلقاه الرشيد بما أحب وأمر له بمال جزيل وأجرى عليه أرزاقاً كثيرة ثم غدر به بعد ذلك وحبسه وكبله بالحديد.

قال وفي هذه السنة عزل الرشيد موسى بن عيسى عن إمرة مصر وولاها إبرهيم بن صالح بن علي الهاشمي ثم صرفه في سنة سبع وسبعين وماية وولى عمرو بن مهران فأقام شهراً ثم عزل وأعيد إبرهيم بن صالح ثم توفي وولى

عبد الله بن زهر ابن الميت ثم عزل وولى إسحق بن سليمان الهاشمي ثم صرف إسحق في سنة ثمان وسبعين ومائة وولاها هزيمة بن أعين ثم عزله الرشيد وسيره إفريقية وولى مصر عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمي واستخلف عبد الله بن المسيب على الصلاة والخراج.

قال وفي سنة تسع وسبعين ومائة وصل الرشيد إلى مكة ومضى إلى المدينة ثم رجع يحج ماشياً ولم يحج خليفة بعده.

قال وفي هذه السنة توفي الإمام مالك بن أنس إمام أهل المدينة رحمه الله وعمره تسعين سنة وقيل تسع وثمانين وصلى عليه بن أبي دويب.

وفي هذه السنة عزل الرشيد عبد الملك بن صالح عن إمرة مصر وولاها أخاه عبد الله بن المهدي ثم عزله وولاها أخاه عبد الله بن المهدي ثم عزله وولاها موسى ابن عيسى الهاشمي.

قال وفي سنة ثمانين ومائة توفي هشام بن عبد الرحمن الأموي ملك الأندلس فكانت مدة مملكته سبع سنين وشهر وكان عمره إحدى وثلاثين سنة فبويع بالأندلس ولده الحكم بن هشام.

وفي هذه السنة عزل الرشيد موسى بن عيسى عن إمرة مصر وولاها أخاه عبد الله بن المهدي مرة ثانية ثم عزله في سنة إحدى وثمانين ومائة وولاها إسمعيل بن صالح بن علي الهاشمي.

وفيها غزا الرشيد بنفسه أرض الروم في الصايفة ففتح حصن الصفصاف (115) عنوة ودوح بلاد الروم وغنم غنائم كثيرة وقفل سالماً.

قال وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة ولى الرشيد إمرة مصر الليث بن الفضل مولى أمير المؤمنين.

قال وفي سنة ثلاث وثمانين ومائة خرج الحرر من باب الأبواب فقتلوا من المسلمين مقتلة عظيمة وكان السبب في ذلك أن الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك خطب ابنة حاقان ملك الحرر فحملت إليه بجهاز عظيم فماتت في الطريق فرجع من كان معها من الطراخنة إلى حاقان وقالوا إن ابنتك قتلت فحنق لذلك وتأهب لقتال المسلمين فقتل خلقاً كثيراً مما وري النهر.

قال وفي هذه السنة توفي الكاضم موسى بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ببغداد في حبس الرشيد هرون.

وقال إن الرشيد دس إليه من قتله ودفن بالجانب الغربي ببغداد وقبره هناك يزار وكان السافعي يقول.

قبر موسى بن جعفر الدرياق

المجرب

وخلف ثمانية عشر ولداً ذكراً وثلاث

وعشرين بنتاً

قال وفي سنة ست وثمانين وماية حج الرشيد بأولاده فعدم مالاً عظيماً وتصدق تصدقات كثيرة على أهل مكة والمدينة وقسم الأرض بين أولاده الثلاثة محمد الأمين وعبد الله المأمون والقاسم المؤتمن فبايع لولده الأمين بولاية العهد وجعل له العراق والشام وبعده لعبد الله المأمون وضم إليه من همدان إلى أقصى المشرق وبعده للقاسم المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم فقال بعض الناس قد أحكم الرشيد أمر المملكة قال بعضهم بل ألقى بينهم وعاقبة ذلك مخوفة.

ثم كتب الرشيد لابنيه الأمين والمأمون (116) لكل منهم كتاباً أخذ فيه العهد على كل واحد منهما العهود المواثيق والشروط لآخر مدة حياته وشهد بذلك الأكابر وعلق الكتابين في الكعبة وأخذ خطهما أنهما ألزما بما في الكتاب جميعه.

قال وفي سنة سبع وثمانين وماية كان مقتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وقد اختلف الناس في السبب الذي دعا الرشيد إلى قتله وبكته البرامكة.

قيل أن الرشيد لما حبس يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب سلمه إلى جعفر بن يحيى فحبسه ثم استدعى جعفر يحيى المذكور ليلاً فسأله عن حاله فقال له اتقي الله في ولا تتعرض لدمي فيكون جدي خصمك يوم القيامة فأطلقه وبعث معه من أوصله إلى فامية فبلغ ذلك الرشيد فسأل جعفر عنه فقال على حاله فقال بحياتي ففطن جعفر فقال لا وحياتك بل أطلقته لعلمي بأن لا مكروه عنده فأظهر الرشيد الاستحسان لفعله وأسرها في نفسه.

وقيل السبب أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر ولا عن أخته عباسة بنت المهدي فزوجه بها ليحل له النظر إليها ونهاه عن قربها فحمله السكر على أن جامعها فحملت وولدت غلاماً فبعث به إلى مكة خوفاً من الرشيد فاطلع الرشيد على ذلك فقتل جعفر ونهب أهل بيته.

وقيل السبب أن جعفر ابتنى داراً غرم عليها عشرين ألف دينار وكان الرشيد لا يمر بضيعة ولا ببستان إلا ويقال هذا لجعفر فقتله لذلك.

وقيل السبب أنه لحقه منهم ملل وما أمكنه ابادهم (إبعادهم) لاطلاعهم على أسراره وخاف أن تبدو منهم عايلة فأوقع بهم ما أوقع (117) قال ولما أراد الرشيد قتله بعث إليه مسرور ليلاً فأتى به إلى منزل الرشيد واعلم الرشيد بوصوله فأمره أن يأتيه برأسه فعاوده فيه مرتين فشتمه وأنكر عليه فاجتز رأسه وأتى به إلى منزل الرشيد وذلك في شهر المحرم ليلة السبت وعمره سبع وثلاثين سنة.

وقبض على أبيه يحيى بن خالد وعلى الفضل ولده وجميع ولدهم وعمالهم ومواليهم ومن كان ينتسب إليهم وحبسهم واستعفى أموالهم إلا محمد ابن يحيى لم ينكبه ولم يناله منه مكروه لأنه صح عنده براءته مما دخل فيه البرامكة ثم أمر الرشيد برأس جعفر فنصب على الجسر وقطعت جنبه فنصب كل قطعة منها على باب.

وكان الفضل ووالده يحيى بالرقة ولم يزل يحيى وابنه الفضل محبوسين إلى أن مات يحيى سنة ست وتسعين وماية وقيل سنة ثلاث وتسعين وماية وكانت مدة وزارتهم للرشيد سبع عشرة سنة وكانوا في الجود والكرم إلى الغاية كما هو مشهور عنهم ولم يتقدمهم من هو أكرم منهم وفيهم قال بعض الشعراء.

يا بني برمك واهاً عليكم وعلى

أوقاتكم المستقبلة

كانت الدنيا عروساً بكم

فهي اليوم بعدكم أرملة

ومما قيل في يحيى بن خالد في حال حياته من قصيدة لومس النخيل.

راحة يحيى لشحت نفسه ببذل

المال

قيل إن جعفر دخل على الرشيد بعد مقتل جعفر وكان الرشيد يكرمها لأنه رضع لبنها وكان يسميها أم الرشيد فلما دخلت عليها أكرمها على عادته معها فجلست بين يديه وقالت يا أمير المؤمنين الذي جرى على جعفر يقضي الله وقدره ويحيى رجل شيخ وله عليك خدمة وقد أهلكه السجن وأخرجت ثياب الرشيد (118) في حال صغره وقالت هذه الثياب التي ربيتك فيها فقال الرشيد بيتاً من شعر الحماسة.

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم

تعد عليه بوجه آخر الدهر تقبل.

فقال يا أمير المؤمنين قد قال الشاعر في هذه القصيدة.

سيقطع في الدنيا إذا ماتركتني

يمينك فانظر أي كف تبدل.

فاطرق الرشيد فعلمت أن قد أغاظه الكلام فخرجت ولم يقبل شفاعتها.

وقيل لما مات يحيى ابن خالد بن برمك في حبس الرقة وجد في جيبه رقعة مختومة فحملت إلى الرشيد فلما وقف عليها بكى وقال صدق والله صدق.

قيل كان فيها مكتوب قد تقدم المدعي والخصم في الأثر والحاكم لا يحتاج إلى بنيه.

وبالجملة زالت دولتهم ونهبت أموالهم كأنهم لم يكونوا.

قال وفي هذه السنة سار الرشيد حتى أناخ على أبواب هرقلة بعساكره ففتح وغنم وأحرق وخرب فسأله نقفور الموادعة على خراج بجملة في كل سنة فأجابه الرشيد إلى ذلك وتقرر الأمر وعاد إلى الرقة وقد وقع البرد الشديد فنقض نقفور الصلح حين علم أن المسلمين لا يطيقون العود إليه من كثرة الثلج وشدة البرد فبلغ ذلك الرشيد فرجع إليه في أصعب وقت وأشده فأناخ بعفايه فأجاز نقفور الصلح وحمل المال الذي تقرر عليه فرحل عنه.

قال وفي هذه السنة ولى الرشيد إمرة مصر أحمد بن إسمعيل الهاشمي.

وفي سنة ثمان وثمانين ومائة جهز الرشيد جيشاً يغزون الصايفة فدخلوا بلاد الروم من درب الصفصاف فخرج نقفور للقائهم في جيش كثيف فكانت الكسرة للمسلمين فكسروهم (119) وجرح نقفور ثلاث جراحات وقتل من الروم أربعون ألفاً وغنم المسلمون شيئاً كثيراً وعادوا سالمين.

قال وفي سنة تسع وثمانين ومائة صرف الرشيد عن إمرة مصر أحمد بن إسمعيل الهاشمي وولاها ... المعروف بابن زبسه ثم عزله وولاها الحسن بن جميل الأزدي.

قال وفي سنة تسعين ومائة غزا الرشيد الصايفة في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفاً سوى المطوعة ومن لا ديوان له وبث الجيوش والسرايا في أرض الروم وفتح هرقلة وسبى أهلها وحرقها وفتح حصن الصقالبة وحصن ريسيه وحصن الصفصاف وقلونيه ويقال أن الرشيد سبى من أهل هرقلة ستة عشر ألفاً وبعث نقفور بالخراج إلى الرشيد فصالحه وشرط عليه أنه لا يعمر هرقلة ثم جهز الرشيد جيشاً إلى قبرص في البحر فغزوها وهدموها وسبوا من أهلها جماعة فصالحوا على أداء الجزية.

وفي هذه السنة ولى الرشيد الخصيب بن عبد الحميد خراج مصر وهو الذي قال فيه أبو نواس.

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا

فأي فتى بعد الخصيب

تزورون

فما جاره جود ولا حل دونه ولكن

يصير الجود حبب يصير

فتى يستري حسن السا بماله ويعلم

أن الدايرات تدور

قال وفي سنة إحدى وتسعين وماية عزل الرشيد الخصيب عن خراج مصر وضم الخراج إلى الحسن بن جميل فصار إليه الحرب والخراج بمصر.

قال وفيها عزل الرشيد علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاها هزيمة بن أعين لما بلغه عن ظلمه وجوره ولما تولاها هزيمة قبض على علي بن عيسى بن ماهان وسيره موثقاً إلى الرشيد.

(120) قال وفي سنة اثنتين وتسعين وماية عزل الرشيد الحسن ابن جميل عن إمرة مصر وولاها ملك بن دلهم ثم صرفه في سنة ثلاث وتسعين وماية وولاها الحسن بن التحتاح بن التحتكان ولم يزل أميراً عليها إلى أن توفي الرشيد هرون بطوس ليلة السبت لثلث خلون من جمادى الآخرة ودفن بطوس وصلى عليه عيسى بن جعفر وكانت خلافته ثلاث وعشرين سنة وشهر وتسعة عشر يوماً وكان عمره سبع وأربعين سنة وشهر وقيل ثمان وأربعين سنة.

وصفته كان جسيماً وسيماً أبيض طويلاً مسمناً قد وخطه الشيب له وفرة إذ حج حلقها.

وسيرته كان من أكرم الخلفاء وأجودهم ولسيما في المديح لأنه كان شديد الشغف بالشعر الجيد وسماعه والإجازة عنه وكان شجاعاً مقداماً كثير الغزو الحج وحج ثمان حجات في خلافته وقيل تسعاً وغزا ثمان غزوات وكانت له قلنسوة ومكتوب عليها حاج غاز وكان حسن العقيدة يصلي كل يوم ماية ركعة وتصدق كل يوم من صلب ماله بماية درهم وكان إذا حج حج معه ماية من الفهماء وإذا لم يحج أحج ثلثماية رجل بالنفقة السابغة والكسوة الطاهرة ولم يجتمع بباب أحد من الخلفاء من الوزر (الوزراء) أو القضاة والمحدثين والعلماء والأدباء والشعراء ما اجتمع بباب الرشيد.

وحكى الأصمغي عنه قال دخلت على الرشيد يوماً ودموعه تسيل على لحيته وهو ينظر في كتاب فرماه إلي وإذا فيه شعر أبي العتاهية وهو.

هل أنت معتبراً ممن حرنت عليه

عدا عساكره

وبمن أدل الدهر مصرعه فتبرات

منه عسايره

وبمن خلت منه أسرته وبمن خلت

منه ينابره

درست محاسن وجهه وبقي

(121) أين الملوك وأين غيرهم صاروا مصيرا

أنت صايره

يا مؤثر الدنيا الدنيه والمستعد لمن

يفاخره

نل ما بدا لك أن تنال من الدنيا

فإن الموت آخره

فقال الرشيد والله كأني أخاطب بهذا دون الناس قال الأصمغي فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات

وروي أن الرشيد لما خرج إلى طوس حدث له إسهال الدم فأشار الطبيب بأكل جمار النخل فلم يوجد بحلون إلا نخلتان على عقبة حلوان فقطع الرشيد إحداهما فأكل من جمارها فبرأ فلما اجتاز بالعقبة نظر إلى النخلة الأخرى قائمة بجنب المقطوعة وعليها مكتوب.

أسعداني يا نخلتي حلوان وانكباني

من ريب هذا الزمان

وأسعداني وابقيا إن تخشى سوف

يأتيكما فتفترقان

فاغتم الرشيد وقال نعم علي أن أكون بحسبكما لو كنت سمعت هذا الشعر ما قطعت النخلة ولو قللني الدم.

قال وكان وزراؤه يحيى بن خالد بن برمك وابناه الفضل وجعفر ثم وزر له بعدهم الفضل بن الربيع وقيل أنه دفع خاتماً إلى علي ابن بقطر وغلب على أمره إسمعيل ابن صبيح حتى مات.

قضاته نوح بن دراج وحفص ابن عياث بالجانب الشرقي والحسين بن الحسن العوفي ثم عون بن عبد الله المسعودي بالجانب الغربي ويقال أن محمد ابن سماعه وشريك بن عبد الله وعلي بن حرمله قضوا في خلافته.

حجابه بشر مولاه ثم محمد بن يحيى بن خالد بن برمك ثم الفضل بن الربيع.

نقش خاتمه العظمة والقدرة لله.

قال المؤرخ إن مدة خلافته ثلاث وعشرين سنة وثمانية وسبعين يوماً أولها يوم السبت وآخرها يوم السبت (122) لتمام ماية اثنتين وتسعين سنة وماية اثنين وخمسين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وثلثماية سنة وستة أشهر وثمانية وعشرين يوماً للعالم شمسية.

والذي ورد تواريخ النصارى أن الرشيد هرون مرض بالسكتة في سنة ثمانين وماية فاجتمع الأطباء فقال أحدهم وهو ابن بختيشوع وكان حدثاً ذكياً نصرانياً أنا أرى بالفصد فقال الأمين محمد بن الرشيد لا يكون هذا أبداً فقال المأمون عبد الله أخوه إذا كان الأطباء قد أيسوا منه فأجمعوا على موته فما بالفصد من بأس فإن عاش وإلا فالموت لا بد منه ففصدوه ففتح عينيه وقام سوياً فقال له المأمون الصورة التي جرت.

قال ومن ذلك الوقت أحب الرشيد المأمون وتميز عنده ابن بختيشوع الطبيب وقرر له من المعلوم نظير ما كان للحرسي وهو ماية ألف درهم في كل سنة قال الحرسي يحرس جسدي وهذا يحرس نفسي.

قال وفي سنة ثلاث وتسعين وماية قدم البطريرك ابنا مرقص الجديد يوم الأحد الثاني من امشير بمدينة الإسكندرية أقام عشر سنين وسبعين يوماً ومات في ثاني وعشرين برموده سنة خمس وثلاثين وخمس ماية لدقلاديانوس وكان يوم الأحد القيامة المقدسة وكانت تقدمته في السنة الثالثة والعشرين للرشيد.

وكان بمصر في أيامه قوم يعرفون ببني شنوفه وكان منهم أسقفان من جملة المخالفين في زمان بطروس البطريرك في أيام زينون الملك فحضرا إلى الأب البطريرك أبنامرقص وسألاه قبولهما وجربهما وقال لا أعطيكما أسقفية فأجاباه

باتضاع وقالا إن نحن لا نستحق أسقفية ولا كهنوتاً فلما سمع كلامهما تحنن عليهما ورسمهما أساقفة وصارا ملازمين قلايته إلى أن ماتا أسقفان فصيرهما عوضهما.

(123) ثم بعد ذلك رجع بقية الجماعة الذين كانوا خالفوا كما شرحنا فقبلهم بمحبة.

وفي رياسته مات الرشيد هرون واختلف أولاده وقامت الخوارج وتغلبوا على الإسكندرية وقتلوا ونهبوا وخرج الأب البطريرك منها وأقام خمس سنين غايباً عنها وثار الرهبان والمقاربه وأحرقوا الديارات بوادي هبيب ونهبوها وأحرقوا البيع والمساكن ولم يبق فيها من الرهبان إلا القليل.

فأما كرسي أنطاكية فقام فيها مطران اسمه إبرهيم في أيام كرياقوس البطريرك وأبدع بدعة وتبعه جماعة يسمون الأبرهيمية ولما تنيح كرياقوس البطريرك قام بعده ديونيسيوس بطركاً على أنطاكية وكتب سنوديقا وبعثه إلى الأب ابنامرقس بطرك الإسكندرية وكتب له الجواب باتحاد البيعة المقدسة.

قال سعيد بن بطريق في تاريخه أن عبد الله بن المهدي أخو الرشيد كان عاملاً على مصر فأهدى إلى الرشيد جارية جميلة إلى الغاية وكان الرشيد يحبها فاعتلت فقيل له إن أطباء مصر يحسنون يعالجونها فكتب إلى مصر يطلب أطباء فسير إليه بطرك الإسكندرية وكان طبيباً حازماً فأخذ معه من ملوحات مصر وصار إلى بغداد فداواها بالملوحات فعوفيت وكتب له منشوراً برد كنائس الملكية التي تغلب عليها اليعقوبية فاستردها ومات البطرك وله ست وأربعون سنة.

قال وفي أيام الرشيد مات لاون بن قسطنطين ملك الروم وملك بعده نقفور وطلب الهدية (الهدنة) من الرشيد فهادنه ثلث سنين.

(124) السادس من الخلفاء العباسيين وهو السابع والعشرون الأمين أبو عبد الله وقيل بو موسى محمد بن الرشيد هرون بن المهدي بن المنصور.

وأمه زبيدة ابنة جعفر بن المنصور أبي جعفر ولم يلي الخلافة من أبويه هاشميين بعد علي وابنه الحسن غير محمد بن زبيدة وبويع له بالخلافة بطوس صبيحة الليلة التي توفي فيها والده وهو يوم السبت لثلث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وماية للهجرة والأمين ببغداد فوصل إليه الخبر بوفاة أبيه فبويع له ببغداد وسائر الأقطار وكان الرشيد قد جدد عهداً لابنه المأمون بعد الأمين وأشهد على نفسه ان جميع ما معه من مال وسلاح وغيره للمأمون وأوصى أن يكون جميع من معه من الجند مضمونين إلى المأمون بخراسان فلما مات الرشيد نادى الفضل بن الربيع في عسكر الرشيد بالرحيل إلى بغداد وخالف وصية الرشيد فعظم ذلك على المأمون وكتب كتاباً إلى الفضل بن الربيع يذكره العهود التي أخذها له الرشيد ويحذره الخبث ولم يلتفت إليه ومضى الفضل ومن معه إلى

عسكر الرشيد إلى بغداد فكان هذا الأمر ابتداء الوحشة بين الأمين والمأمون وأخذ المأمون أهل خراسان بالبيعة لأخيه الأمين بالخلافة وأقبل على العدل والإحسان للرعية واستمال الأكابر إليه وسلك الأمين ضد سيرته وتشاغل باللهو والشرب وأعرض عن النظر في مصالح دولته والاعتناء بأموره.

قال وفي سنة أربع وتسعين وماية أخذ الأمين البيعة لموسى ولده بولاية العهد (125) ولقبه الناطق بالحق وجميع العهود التي كان الرشيد كتبها بينه وبين المأمون فحرقها وكان الذي أغراه على ذلك الفضل بن الربيع وإنما فعل الفضل ذلك خوفاً أن يصير الأمر إلى المأمون فيجازيه على ما فعل ولما عقد الأمين ولاية عهده لموسى ولده جعله في حجر علي بن عيسى بن ماهان ولما بلغ ذلك المأمون قطع عن أخيه البريد وأسقط اسمه من دار الضرب والطراز وكان رافع بن الليث بن سيار عاصياً ببعض بلاد خراسان فأمنه المأمون وطيب نفسه وصار من أصحابه واستمال أيضاً هزيمة بن أعين وكان في مقابلة رافع فصار إليه وصفت خراسان جميعها للمأمون وسمى نفسه الإمام وخطب على منابر خراسان فتأكدت الوحشة بين الأمين والمأمون.

قال وفي هذه السنة عزل الأمين محمداً بن الحسن بن التحتاح عن ولاية مصر وولاها حاتم بن الهزيمة بن أعين.

قال وفي سنة خمس وتسعين وماية جهز الأمين عسكراً كثيفاً لقتال المأمون عدتهم أربعين ألفاً فلما بلغ ذلك المأمون جهز طاهر بن الحسين بن مصعب في أربعة ألف وعلى تقدمته هزيمة بن أعين فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فقتل علي بن عيسى وانهزم أصحابه وبعث طاهر برأس علي إلى المأمون وسلم يومئذ على المأمون بالخلافة وبويع له بخراسان وبلادها وبلغ ذلك الأمين فارتاع له وعظم عليه وبعث المأمون جيشاً إلى همدان مقدمها طاهر بن الحسين فحاصرها وفتحها صلحاً وانعزك أصحاب الأمين ناحية عن البلد ثم اقتتل طاهر وقائد جيش الأمين فقتل القائد وخلق كثير من أصحابه وانهزم الباقون وأقبل طاهر يطوي البلاد ويفتحها إلى أن حل بحلوان فعسكر بقرية فيها وخندق على الخندق وتحصن.

(114) (126) قال وفي هذه السنة عزل الأمين حاتم بن هزيمة بن أعين عن مصر وولاها حاير بن الأشعب.

قال وفي سنة ست وتسعين وماية جهز الأمين أربعين ألفاً لقتال طاهر بن الحسين عشرون ألفاً قائدهم أحمد بن مريد الشيباني وعشرون ألفاً قايدم (قائدهم) عبد الله بن حميد بن قحطبة فمضيا بالجيوش وصاروا خائفين فدس طاهر العيون والجواسيس حتى أوقع بينهما فاختلفا وقاتل كل واحد منهم صاحبه وتسلم طاهر حلوان وسلمها الهزيمة ومضى طاهر الأهواز وبها عامل الأمين وجيوشه واقتتلوا قتالاً شديداً وقتل من الفريقين خلق كثير.

خلع الأمين محمد بن زبيدة.

قال وفي هذه السنة وصل إلى بغداد الحسن بن علي بن عيسى بن ماهان وكان بالرقة فتلقاه أهل بغداد بالإكرام والإعظام وكان عظيم القدر في القواد فدعا الناس إلى خلع الأمين فأجابوا إلى ذلك فخلعه من الخلافة لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ست وتسعين وماية وأخذ البيعة لعبد الله المأمون وقيد الأمين وحبسه وحبس معه أمه زبيدة ثم إن الناس ماجوا واختلفوا وندم أكثر الجند على مبايعة الحسن بن علي المشار إليه على خلع الأمين فشعتوا عليه وقاتلوه وكسروه ودخلوا على الأمين ففكوا عنه قيده وأجلسوه في مجلس الخلافة وأحضروا بين يديه الحسن فعفى عنه الأمين وأمر له بمال كثير ومراكب وخيل وآلات وأمره بالمسير إلى حلوان لمقاتلة طاهر فلما قطع الجسر هرب في نفرين من مواليه فنادى الأمين الناس في طلبه فأدركوه فقاتلهم أشد قتال كل مرة يهزمهم ثم أنه تقنطر فابتدره أصحاب الأمين فقتلوه وأخذوا رأسه وأتوا به إلى الأمين.

(127) قال وفي هذه السنة أخذ طاهر بن الحسين الأهواز ثم مضى إلى واسط فأخذها ثم إلى المدائن فأخذها وبايع المأمون في كل مكان أخذه.

وفيها دعا المأمون ببلاد مصر والشام والحجاز واليمن وقدم إلى مصر عياد بن محمد خليفة عليها عوض حاتم بن الهزيمة بن أعين من قبل المأمون.

قال وفي سنة سبع وتسعين وماية كان حصار بغداد وذلك أن طاهر لما استولى على المدائن وملكها زحف إلى بغداد هو وهزيمة ابن أعين فاحتاطوا ببغداد ومحالها واشتد الحصار وترامو بالمنجنيقات وجرت بينهم وقعات كثيرة في أيام معدودة وعظم الأمر واشتد البلاء وكثر بينهم الغريق والحريق والقتال حتى خربت أكثر منازل بغداد وذهبت بهجتها ونضارتها ووثب المغتالون على أموال الناس فانتهبوها وكثر الفساد.

ودخلت سنة ثمان وتسعين وقد تضايق الأمر على محمد الأمين وفارقه أكثر أصحابه وكتب طاهر إلى وجوه أهل بغداد سراً بعد أن أعانوه ويتوعدهم إذا لم يدخلوا إلى طاعته فأجابوه إلى ذلك وصرخوا بخلع الأمين وخلافة المأمون وقاتل طاهر بنفسه فخرج الأمين والتجأ إلى مدينة أبي جعفر المنصور فحاصره طاهر بها ورماه بالمنجنيق ومنع منه كل شيء حتى الماء والدقيق وكاد محمد الأمين وأصحابه يموتون جوعاً وعطشاً.

مقتل الأمين.

ولما إشتد الأمر على الأمين وأيس من النصر وأيقن أن أمره زايل بلا محالة كاتب هزيمة بن أعين وطلب منه أن يؤمنه ليأتيه فأجابه إلى ذلك وبلغ الخبر إلى طاهر وبقية القواد وأجالوا الرأي وقالوا إن محمد (128) الأمين لا يثق إلى طاهر أبداً ولا يستأمنه وأنه يستأمن هزيمة ويثق به لأنه يأنس إليه ويدفع إلى طاهر الخاتم والقضيب والبردة

فأجاب طاهر إلى ذلك ورضي به ثم قيل لطاهر هذا مكر وخديعة من هزيمة وأن الخاتم والقضيب والبردة تحمل إلى هزيمة مع الأمين.

فلما كانت ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم خرج الأمين إلى هزيمة فلقاه هزيمة في حراقة فركب الأمين معه فيها وكان طاهر قد أكمن للأمين فلما صار الأمين في الحراقة خرج عليه كمين طاهر ورموا الحراقة بالحجارة وقصدوها بالعناد فانقلبت الحراقة وغرق منها فشق الأمين ثيابه وسبح إلى بستان فأدركه بعض أصحاب طاهر وأخذوه وحملوه على بردون وصاروا به إلى دار إبرهيم التلحي وحبسوه بها ووصل الخبر بذلك إلى طاهر فبعث إليه قريش مولاه في جماعة وأمرهم بقتله وهجموا على الأمين وبأيديهم السيوف مسللة فقام الأمين وبيده وسادة وضربه رجل منهم يقال له حمرونه بالسيف في وجهه وضربه الأمين بالوسادة وإتكأ عليه ليأخذ منه سيفه ليقاتلهم به فصاح حمرونه قتلتني فهجموا عليه وركبوه وذبحوه من قفايه وأخذوا برأسه وأتوا به طاهر فنصب برأسه من الغد للناس فرأوه وسكنت الفتنة وأخذت البيعة للمأمون ووقع الاتفاق عليه ثم بعث طاهر بن الحسن برأس الأمين وخاتم الخلافة والبردة والقضيب إلى المأمون فخر المأمون ساجداً لله تعالى على الظفر وأمر المأمون للرسول بألف ألف درهم.

وكانت مدة خلافة الأمين أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً وكان عمره تسع وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأياماً.

(129) وصفته كان سبطاً أنزع أبيض صغير العينين جميلاً طويلاً عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين شديداً في بدنه.

وسيرته كان مفرط السخاء إلا أنه كان سفاكاً للدماء ضعيف الرأي عاجزاً.

وقد روي عنه أنه الما (لما) خبر بقتل علي بن عيسى بن ماهان وهزيمة عسكره كان هو وكوثر مولاه يصطادان السمك فقال دعوني من هذا إن كوثر اصطاد سمكتين وأنا ما اصطدت شيئاً بعد.

ولعب هو وكوثر يوماً بشطرنج وطاهر إذ ذاك يحاصر بغداد وقد إشتد القتال فقال له بعض خواصه يا أمير المؤمنين ما هذا وقت اللعب قم وانظر في أمرك فقال دعني فقد لاح لي على كوثر شاه مات وفي مثله قال الشاعر.

إذا غد ملك باللهو مشتغلا

فاحكم على ملكه بالويل

والحرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة وهو

برج اللهو والطرب

وذكر إبرهيم بن المهدي أنه كان نازلاً مع محمد الأمين في مدينة المنصور في قصره بباب الذهب لما حاصره طاهر.

قال خرج ذات ليلة من القصر يريد أن يتفرج من الضيق الذي هو فيه قصار إلى أسفل من الجلد ثم أرسل إلي فجئت إليه فقال لي يا إبرهيم أما ترى طيب هذه الليلة وحسن القمر وضوءه ونحن في شاطئ دجلة فهل لك في الشرب فقلت شأنك جعلني الله فداك فدعا برطل نبيذ فشربه وسقيت مثله فابتدأت أغني ما كنت اعلم أنه يحبه فقال لي ما تقول فيمن يضرب عليك فقلت ما أحوجني إلى ذلك فدعا جارية متقدمة عنده يقال لها ضعف فتطيرت من اسمها (130) ونحن في تلك الحال فقال لها غني فغنت شعر النابغة الجعدي.

كلت لعمري كان أكثر

ناصري واسر دبا صرح بالدم.

قال فتطير منه وقال لها غني غير هذا فغنت.

أبكي على فراقهم عيني فارقها

إن التفرق على الأحباب بكاء

فقال لها لعنك الله أما تعرفين من الغناء شيئاً غير هذا فقالت يا سيدي ما تغنيت إلا بما ظننت أنك تحبه وما أردت ما تكرهه ثم غنت غيره

أما والسكوت والحرك إن المنايا

سريعة الدرك

ما اختلف الليل والنهار ولا دارات

نجوم السماء في فلك

إلا ينقل السلطان من ملك عان

يحب الدنيا

إلى ملك وملك ذا العرش دائماً

أبداً ليس بفان ولا بمشترك

فقال قومي عليك لعنة الله فقامت وكان له قدح بلور حسن الصنعة فعثرت به الجارية فكسرته وكان يحبه فقال الأمين ويحك يا إبرهيم أما ترى ما جاءت به هذه الجارية ثم ما كان من القدح والله ما أظن أمري إلا اقترب فقلت يطيل الله عمرك ويعز ملكك ويكبت عدوك فما استتم الكلام حتى سمعنا صوتاً من الدجلة قضي الأمر الذي فيه تستفتيان فقال إبرهيم أما سمعت فقلت ما سمعت شيئاً وكنت قد سمعت قال ودنوت من الشط وقلت يا سيدي ما سمعت شيئاً ثم عاودت الحديث فعاد الصوت قضي الأمر الذي فيه تستفتيان فوثب من مجلسه ذلك مغتماً ثم ركب ورجع إلى موضعه بالمدينة فما كان بعد هذا ليلة أو ليلتان حتى حدث ما حدث من قتله.

(131) قال وكان وزراءه الفضل بن الربيع ثم إسمعيل بن صبيح وغيره وقضاته إسمعيل بن حماد بن أبي حنيفة ثم أبو البحري وهب بن وهب ومحمد بن سماعه حاجبه العباس بن الفضل بن الربيع نقش خاتمه محمد واثق بالله.

قال المؤرخ الذي تحررت عليه مدة ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً أولها يوم الأحد وآخرها يوم الأحد لتتمة سبع وتسعين وماية سنة وخمسة وعشرين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وثلثماية وخمس سنين وثمانية وعشرين يوماً للعالم شمسية.

قال بن البطريق أن في أيامه مات نقفور ملك الروم وملك بعده ولده.

السابع من الخلفاء العباسيين وهو الثامن والعشرون المأمون أبو العباس وقيل بو جعفر عبد الله بن هرون الرشيد بن المهدي بن المنصور.

أمه أم ولد يقال لها مراجل بويع له البيعة الثانية صبيحة الليلة التي قتل فيها أخوه الأمين ووضعها الحرب أوزارها واجتمع الناس على المأمون وذلك لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين وماية.

قال وفي هذه السنة عزل المأمون طاهر بن الحسن عن العراق وولاها الحسن بن سهل وولى طاهر بن الحسن الجزيرة والثغور والشام وغلب الفضل ابن سهل على المأمون واستبد بالأمور جميعاً ولقبه المأمون ذا الرياستين.

قال وفيها عزل المأمون عياد بن محمد عن إمرة مصر وولاها المطلب بن عبد الله الجراعي ثم عزله وولى العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي.

قال وفي سنة تسعين وماية تحركت الطالبون في مواضع فخرج بالكوفة محمد (132) بن إبرهيم بن إسمعيل بن إبرهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويعرف بابن طباطبا ودعا إلى الرضا من آل محمد والعمل

بالكتاب والسنة وقام بتدبير حروبه أبو السرايا بن منصور وسبب هذا أنه شاع في الناس أن الفضل بن سهل قد حجب المأمون واستقل بالأمور فأنف الناس من ذلك وهاجت الفتن وخرجت الخوارج وكان أبو السرايا من أجناد هزيمة بن أعين فأخر عنه عطاؤه ففارقه غضباً عليه وصار إلى الكوفة وبايع محمداً بن طباطبا وانهزم عامل الحسن عن الكوفة فجهز إليه الحسن جيشاً فهزمه أبو السرايا ثم وقعت وقعات كثيرة كان الظفر فيها لأبي السرايا ثم مضى أبو السرايا إلى البصرة ففتحها واستولى عليها.

قال وفي هذه السنة عزل المأمون العباس بن موسى الهاشمي عن إمرة مصر وولاها مطلب بن عبد الله ثم عزله وولاها السري بن الحكم.

قال وفي سنة مايتي كان مقتل أبي سرايا وذلك أن هزيمة بن أعين خرج إليه في جيش كثيف فانهزم أبو السرايا وإلتجأ إلى الكوفة ثم خرج منها ودخلها هزيمة وأمن أهلها وانهزم أبو السرايا ومعه محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان بن طباطبا قد مات فبايع أبو السرايا محمداً هذا فقبض على أبي السرايا ومحمد بن محمد بن زيد ومن كان معهما وأتى بهما إلى الحسن ابن سهل فضرب عنق أبي السرايا وبعث محمداً بن محمد بن زيد إلى المأمون بخراسان.

وخرج باليمن إبرهيم بن موسى بن جعفر الصادق وبمكة محمد بن جعفر فلم يستتب لهما أمر.

قال وفي هذه السنة توجه هزيمة به أعين إلى خراسان فسعى في الفضل بن سهل عند المأمون (133) ويعرفه أنه يكتم عنه الأخبار ويحثه على القدوم إلى بغداد ليتوسط سلطانه ويشرف على أطرافه فقال الفضل للمأمون أن هزيمة قد أفسد عليك البلاد ودس أبا السرايا حتى فعل ما فعل وما زال يذكر المأمون مساوئ هزيمة حتى أفسد عليه قلبه فلما قدم على المأمون أمر بضربه وحبسه ودس عليه الفضل من قتله.

قال وفي سنة إحدى ومايتي بايع المأمون لعلي بن موسى بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب بولاية عهده وأنه الخليفة من بعده وسماه الرضي من آل محمد وأمر الأجناد بلباس الخضرة وطرح السواد وكتب إلى الحسن ابن سهل ليأخذ البيعة ببغداد لعلي الرضي ويأمرهم بلبس الخضرة فاختلف الناس في ذلك وامتنع جماعة منهم وقالوا لا تخرج الخلافة من ولد العباس إلى ولد علي وعزم من في بغداد من بني هاشم والقواد على خلع المأمون من الخلافة ومبايعة عمه إبرهيم بن المهدي.

قال وفي سنة اثنتين ومايتي بايعوا الجند والقواد إبرهيم بن المهدي بالخلافة ببغداد وأمه أم ولد يقال لها شكله وسموه المبارك وخلعوا المأمون وصعد إبرهيم بن المهدي المنبر وخطب للناس ووعدهم بالإحسان واستولى على بغداد والكوفة والسواد وعسكر بالميدان وحاربه الحسن ابن سهل.

قال وفي هذه السنة شخص المأمون إلى بغداد وذلك لما صح عنده ما الناس فيه من الفتن والحروب بالعراق من حين قتل الأمين وأنهم بايعوا عمه إبرهيم بن المهدي وأن الناس قد نقموا عليه أشياء منها استبداد الفضل بن سهل بالأمور دونه وأن الفضل كان يستر أمور الناس عنه ولما وصل المأمون سرحين دس إلى الفضل بن سهل من قتله بالحمام وأظهر المأمون أنه لم يكن بأمره وقتل من قتله.

(134) قال إن الفضل ابن سهل أول من كتب عنوان الكتب بالألقاب والدعا وكان الناس قبل ذلك يكتبون في العنوان من فلان بن فلان إلى فلان بن فلان.

قال وفي سنة ثلث ومايتي وصل المأمون إلى طوس معه علي بن موسى الرضي فأكل عنباً فمات منه فجأة ويقال أنه سقي سماً فمات في صفر ودفن عند قبر الرشيد هرون وأظهر المأمون الحزن عليه وكان علي بن موسى أرضى الله من الزهد والعبادة في الغاية وهو الذي امتدحه دعيل بقصيدته التي أولها

بدارس اباب حلب من تلاوة

ومنزل وحي مقفر العرصاب

ومنها أيضاً

بنات زياد في القصور مصونة

وآل رسول الله في الفلوات .

وفي هذه السنة اختلفوا الجند ببغداد على إبرهيم بن المهدي واضطرب أمره كثيراً فاختفى ولم يزل متوارياً إلى أن قدم المأمون بغداد فكانت ولايته سنة وأحد عشر شهراً وأياماً.

قال وفي سنة أربع ومايتي قدم المأمون بغداد وعليه وعلى أصحابه الثياب الخضر فتلقاه الناس ودخل بغداد واستقر بها وأقام بها أسبوعاً ثم عاد إلى لبس السواد وأمر الناس بلباسه.

قال وفي هذه السنة توفي الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه بمصر وعمره أربع وخمسين سنة.

وفيها توفي السري بن الحكم أمير مصر فوليها ولده أبو نصر محمد.

وفي سنة ست ومايتي توفي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الأموي ملك الأندلس فبويع بالخلافة بعده ولده عبد الرحمن وكانت مدة ولاية الحكم ست وعشرين سنة.

وفيها توفي أبو نصر محمد بن السري أمير مصر فوليها أخوه عبد الله بن السري باجتماع من الجند عليه.

(135) قال وفي سنة سبع ومايتي توفي طاهر بن الحسين بمرو وكان المأمون قد ولاه خراسان قبل ذلك بسنتين وكان أميراً جليلاً شجاعاً سخياً ذا رأي وحزم وسياسة وله شعر من جملته

ملكت الناس قسراً واقتداراً

وأهلكت الجبابرة الكبارا

ووجهت الخلافة نحو مروا

إلى المأمون تتبدر أسدارا

وقوله أيضاً

قتلت الخليفة في داره

وانهبت بالسيف أمواله

ويقال إن الشاعر امتدحه وهو راكب في الحراقة في دجلة

عجيب لحراقة بن الحسين كيف

تعوم ولا تغرق

وبحران من تحتها واحد وآخر من

فوقها مطبق

وأعجب من ذلك عيدانها وقدمها

كيف لا تورق

فقال طاهر أعطوه ثلثماية ألف درهم وقال لو زدتنا زدناك.

قال وفي سنة عشر ومايتي ظفر المأمون بعمه إبرهيم بن المهدي كان مختفياً فأتى به المأمون فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين قد جعلك الله فوق كل ذي ذنب فإن تعاقب فبحقك وإن تعف فبفضلك قال بل أعفو يا عمي فكبر إبرهيم ثم خر ساجداً.

وقيل إن إبرهيم كتب إلى المأمون وهو مختف بهذا الكلام وهو القدرة تذهب الخطية والندم توبة وبينهما عفو الله وهو أكبر.

وقيل لما دخل على المأمون قال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لا سلام الله عليك ولا رعاك ولا حفظك ولا كلاك فقال إبرهيم على رسلك يا أمير المؤمنين القدرة تذهب الخطية وقد أصبح ذنبي فوق كل ذي ذنب كما أصبح عفوك فوق كل ذي عفو ثم قال

(136) إن أكن مذنباً فمثلي أخطأ فدع

عنك كثرة التأنيب

قل كما قال يوسف لبني يعقوب لما

أتوه فقل لا ترتاب

وقيل أنه دخل عليه قال

ذنبي إليك عظيم وأنت أعظم منه

إن لم أكن في فعالي من الكرام

فكنه.

فقال له المأمون إني شاورت في قتلك فأشاروا بقتلك إلا إني وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل.

قال يا أمير المؤمنين المشير أشار بما جرت به العادة في السياسة إلا أنك أبيت أن تطلب النصر إلا من عودته من العفو فإن تعاقب فلك نظير وإن عفوت فلا نظير لك.

قال فأمر له المأمون بعشرة ألف دينار وقال له يا عمي صير إلى المنادمة وارجع إلى الأنس فلن ترى مني إلا ما تحب فعاد إلى منادمته وكان بعده في مجلس شرابه طاهراً ليعلم المأمون والناس أنه لم يبق له رغبة في الخلافة.
قال وفي هذه السنة ابتنى المأمون بسوران بيت الحسن ابن سهل.

وفيها شخص عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى مصر فنزل بلبيس وأقام بها.

وفي سنة إحدى عشرة ومايتي دخل عبد الله المذكور إلى مصر في شهر ربيع الأول فولاها عباد بن إبرهيم وعزل عبد الله بن السري.

قال وفي سنة اثنتي عشرة ومايتي ولى عبد الله بن طاهر الحسين إمرة مصر عيسى بن يزيد الجلودي وعزل عنها عياد.

وفيها أظهر المأمون القول بحلق القران وتفضيل علي بن أبي طالب وهو أفضل الحلق بعد رسول الله وذلك في شهر ربيع الأول.

وفي سنة ثلث عشرة ومايتي عزل المأمون عبد الله بن طاهر عن إمرة مصر وولاها أخاه المعتصم وأضاف إليه الشام أيضاً وولى ابنه العباس الجزيرة (137) والثغور والعواصم وأمر لكل واحد من العباس والمعتصم وعبد الله بن طاهر خمسماية ألف دينار وقيل أنه لم يفرق من المال مثل ذلك اليوم.

قال وفي سنة خمس عشرة ومايتي توجه المأمون من بغداد إلى غرو بلاد الروم وذلك لثلث بقين من المحرم فوصل إلى بلاد الروم في جمادى الأولى وأقام على حصن قره حتى فتحه عنوة وأمر بهدمه وفتح حصوناً غيره ثم رحل إلى دمشق.

وفي سنة ست عشرة ومايتي ورد الخبر إلى المأمون بأن ملك الروم قتل قوماً من أهل طرسوس والمصيصة قيل إنهم زهاء ألف وستماية رجل وتوجه طالباً لبلاد الروم وذلك لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى فنزل على انطاعو فخرج أهلها إليه على صالح ووجه أخاه المعتصم وافتتح ثلاثين حصناً.

ووجه يحيى بن أكثم من طوابه فأغار وقتل وأحرق ورجع إلى العسكر ثم ارتحل المأمون إلى دمشق فأقام بها ذا الحجة ثم ارتحل إلى مصر فوصل إليها ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومايتي وقاتل أهل البسما وهي من أرض مصر وسباهم وفي آخر صفر من هذه السنة ارتحل من مصر راجعاً إلى دمشق فدخلها.

فكتب إليه بعض بني أمية أن لمروان الحمار دخائر مخزونة في حبرون تحت العواميد فأمر أن يحفر ذلك الموضع فوجد فيه صناديق فيها أثاث وأمتعة ومن جملة ما وجدوا عشرة ألف قميص في عدة صناديق وروس أكمامها وسخة فسأل عن ذلك فأخبره الأصمغي أن مروان كان نهماً في أكله وكان يحب الكلاء فإذا حضر الخروف الشوا قدامه يعبر يده يأخذ الكلوة فيتسخ كم القميص فيقلعه ويلبس غيره فاستحسن ذلك من الأصمغي وأمر له بالأقمصة فأباعها بعشرة ألف دينار.

(138) قال وارتحل المأمون من دمشق قاصداً بلاد الروم فأناخ على لولوة ماية يوم ثم رحل عنها وخلف عليها عجيف فخدعه أهلها وأسروه فمكث أسيراً في أيديهم ثمانية أيام ثم أخرجوه وصار توفيل ملك الروم إلى لولوة فاحتاط بعجيف فصرف المأمون الجنود إليه فارتحل توفيل قبل موافاتهم فرجع أهل لولوة إلى عجيف بأمان.

وفيها صار المأمون إلى سلعوس.

وفي سنة ثمان عشرة ومايتي رحل المأمون من سلعوس إلى البروه.

وفيها وجه المأمون ابنه العباس إلى بلاد الروم وأمره بنزول الطوابه وبنيانها وبناها ميلاً في ميل وجعل لها ثلاث فراسخ وأربعة أبواب.

قال وفيها امتحن المأمون الناس بحلق القران فكلمن لم يقل بحلقه عاقبه أشد عقوبة وكان من الممتنعين من القول بحلق القران الإمام أحمد بن حبيب رضي الله عنه فحمل إليه مقيداً فمات المأمون قبل وصوله فلما مات المأمون امتحنه المعتصم وضربه عدة سياط.

وفيها رد المأمون رداً على ولد فاطهه.

وفيها دخل المأمون بلاد الروم من طرسوس يوم الأربعاء لثلث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة فنزل بالبدندون فمات بها يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رجب بعد العصر وقيل بعد الظهر ولما مات المأمون حمله ابنه العباس وأخوه المعتصم إلى طرسوس فدفن بها فقال بعض الشعراء

هل رأيت النجور أعنت عن المأمون

أو عن ملكه الماسوس

حلفوه بناحي طرسوس مثلما حلفوا

أباه بطوس

وكان مدة خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً وذلك سوى سنتين دعي له فيهما بمكة وأخوه محمد الأمين محصور ببغداد.

(139) وكان عمره تسع وأربعين سنة وأشهراً وأياماً.

وصفته كان ربعة أبيض يعلوه صفرة جميلة طويل اللحية وخطه الشيب وقيل كان أشقر يعلوه صفرة بجده حال أسود.

وسيرته قال كان كامل الفضل جواداً عظيم العفو حسن التدبير لم يكن في بني العباس اعلم ولا أكبر فضلاً منه وكان قد أتقن علم النجوم إتقاناً جيداً وحل الريح والريح الميموني مشهور بين أرباب هذا العلم إلى الآن وكان يقول لو علموا الناس قدر حلاوة العفو عندنا تقربوا إلينا بالذنوب انعفو عنهم.

وكان المأمون يسمى المجدود لأن الرشيد جده.

قيل إن دخل المأمون وبحضرة الرشيد جارية تغني فلحنت فأخذ المأمون خفية عند سماعه اللحن فتغير لون الجارية وفطن الرشيد فأمر أن تضرب أربعين صوطاً فضربت.

قال وزر له بعد الفضل بن سهل أخاه ثم أحمد بن أبي خالد الأحول ثم أحمد بن يوسف وقيل إن المأمون لم يستوزر بعد الفضل أحداً إنما كانوا حجاباً وكان حجابه عبد الحميد بن شبيب ثم محمد وعلي أبناء صالح مولى المنصور ثم إسمعيل بن محمد بن صالح قضاته محمد بن عمر الوافدي ثم محمد بن عمر بن عبد الرحمن المحرومي ثم بشر بن الوليد ثم يحيى بن أكثم ثم سخط عليه.

نقش خاتمه سل الله يعطيك.

قال المؤرخ الذي تحررت عليه مدة خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً أولها يوم الاثنين وآخرها يوم الأربعاء لتتمة مايتي وسبع عشرة سنة وستة أشهر وتسعة أيام للهجرة ولتمام ستة ألف وثلثماية أربع وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة أيام للعالم شمسية.

والذي ورد تواريخ النصارى أن (140) البطرك ابنا مرقص بطريرك اليعاقبة بالإسكندرية توفي في أيام المأمون في سنة إحدى عشرة ومايتين للهجرة وقدم عوضه يعقوب بطركاً لليعاقبة على الإسكندرية أقام عشر سنين وثمانية أشهر وتوفي في الرابع عشر من امشير وقيل أنه قدم في السنة السادسة عشر من خلافة المأمون وفي رياسته عمرت الديارات وعاد الرهبان إليها.

قال وكان في أيامه أرخن اسمه مقاره من نبروه سال البطرك أن يدخل بيته ويأكل خبزه وكان قد رزق ولداً فأجابه البطرك إلى ذلك وبعد أيام يسيرة مات ولد الأرخن مقاره فحمله على يديه وأحضره إلى الأب البطرك فأخذه منه وجعله في حضنه وصلى عليه وبكى فعاش الصبي وأعطاه لأبيه وقال له خذ ابنك فهو حي فوقع على الأرض خوفاً عظيماً وصدق بثلث ماله وسير إلى القدس وعمر فيها كنيسة برسم المترددين إليها من المصريين.

قال وفي ذلك الوقت حضر الأب ديونيسيوس بطرك أنطاكية إلى مصر صحبة عبد الله بن طاهر بن الحسين واجتمع بالأب البطرك ابنايعقوب بطرك اليعاقبة بالإسكندرية وأقام عنده أياماً وعاد إلى كرسيه.

وقال بن بطريق في أيام المأمون غلب قسطنطين على مملكة الروم وطرد ابن نقفور منها.

الثامن من الخلفاء العباسيين وهو التاسع والعشرون المعتصم بالله أبو إسحق محمد بن هرون الرشيد.

وأمه أم ولد يقال لها ماردہ بويع له بالخلافة بطرسوس يوم توفي أخوه المأمون وهو (141) يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومايتي.

قال وفي هذه السنة أمر المعتصم بهدم ما كان المأمون أمر ببنائه بطوابه وحمل ما كان بها من السلاح والآلات وغير ذلك مما قدر على حمله وأحرق ما لم يقدر على حمله وأمر بصرف من كان المأمون أسكنه فيها من الناس إلى بلادهم.

وفيها صار المعتصم إلى بغداد فدخلها يوم السبت مستهل رمضان وجددت له البيعة بها.

وفي هذه السنة قوي أمر الحرمية وهؤلاء فرقة من الفرق الباطنيه الملاحدة وكان كبيرهم بابك الحرمي وكان ابتداء ظهوره في خلافة المأمون فغلبوا على بلاد همدان والجبال فوجه إليهم المعتصم جيشاً كثيفاً فكسر الحرمية وقتل منهم ستين ألفاً وهرب باقيهم إلى بلاد الروم.

وفي سنة تسع عشرة ومايتي ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقون ثم خراسان يدعو إلى الرضي من آل محمد فاجتمع إليه أناس كثير ثم كانت بينه وبين عبد الله بن طاهر وقعات كثيرة وأخذ محمد وأتى به إلى المعتصم فحبسه ثم هرب من الحبس ولم يوقف له على أثر.

وفي هذه السنة توفي كندي وكان عاملاً للمعتصم على مصر فولاها المعتصم ولده المطفر بن كندي.

وفي سنة عشرين ومايتي أمر المعتصم بالله الافسين بن كاوس على الجبال وهرب بابك الحرمي وكانت قرية بابك ومدينته البدو.

وفيها كانت وقعة بني بابك والافسين بارسو قتل فيها من أصحاب بابك أكثر من ماية ألف وهرب بابك إلى نوقان ثم البدو.

وفيها توفي المطفر بن كندي أمير مصر فولاها المعتصم موسى بن أبي العباس الشيباني.

قال وفي سنة اثنتين وعشرين ومايتي فتح الافسين البدو مدينة بابك بعد (142) حصار شديد بأمان طلبه بابك فلما دخل المسلمون البلد استتر بابك ونفر يسير من أصحابه في غيضة فما زال الافسين يكشف عن موضعه حتى

عرف به فبعث إليه أمان المعتصم فحضر فأحضر جزاراً قطع يديه ورجليه ثم ذبحه وجز رأسه ووجه به إلى خراسان وكانت مدة أيامه مذ خرج إلى حين قتل عشرين سنة.

قال وفي سنة ثلث وعشرين ومايتي فتح عمورية وقيل خرج توفيل ملك الروم في ماية ألف فأغار على زبطره ففتحها وخربها وقتل أهلها وسباهم ومضى إلى ملطيه وعبرها وقتل وسبى أكثر من ألف مسلمة فبلغ ذلك المعتصم فنادى النفير وتجهز لجهاد الروم فتجهز بجهاز لم يتجهز خليفة قبله ويقال إن امرأة مسلمة أسرها الروم وححف بها فصاحت وامعتصماه فبلغ المعتصم رحمه الله فقال لبيك.

فأقبل المعتصم إلى بلاد الروم بجيوشه وفرقهم فدخل كل فريق من درب وفتحوا بلاداً كثيرة وأناخوا على عمورية فركب المعتصم المنجنيقات والعرادات فزحف عليها وفتحها ثم رحل المعتصم فدخل وادي الحور فعطش المسلمون فغلب بعض الأسرى على بعض المسلمين فقتلوا منهم جماعة فأمر المعتصم بضرب رقاب ستة ألف من زعازع الروم.

قال وفي سنة أربع وعشرين ومايتي خرج بابا بن قارن على المعتصم بطبرستان فحاربه عبد الله بن طاهر أمير خراسان فكان بينهما حروب كثيرة آخرها أن عبد الله ظفر به وبعث به إلى المعتصم فأمر المعتصم بضربه حتى مات وصلب إلى جانب بابك.

وفيها عزل المعتصم موسى بن أبي العباس الشيباني عن إمرة مصر وولاها ملك الهندي.

(143) وفي سنة خمس وعشرين ومايتي تغير المعتصم بالله على الافسين وحبسه لما بلغه عنه من الكفر والزندقة.

وفي سنة ست وعشرين ومايتي قتله وأمر بصلبه بارا (بإزاء) بابك ووجد في بيته أصناماً وكتباً تدل على الكفر فإنه كان مجوسياً ولم يتغير عن المجوسية.

وفي هذه السنة عزل مالك الهندي عن إمرة مصر وردت إلى اسباس مولى المعتصم.

وفي سنة سبع وعشرين ومايتي توفي المعتصم بالله بسر من رأى قيل إنه احتجم فحم فمات وذلك لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وكان عمره ثمان وأربعين سنة.

صفته أبيض أصهب حسن الوجه مربوع طويل اللحية شديد البدن يحمل ألف رطل ويمشي بها خطوات مما ذكر.

وسيرته كان شجاعاً غازياً مؤيداً في الحرب والجهاد في سبيل الله مكثراً من الخيل الحسان والعساكر والغلمان يقال إنه علق خمسين ألف مخلاة لنفسه وغلمانه وضبط من الجند ما لم يضبطه أحد قبله حتى ضاقت بهم بغداد وبادت العامة من مساكنهم فاشترى سر من رأى وعمرها وابتنى فيها قصراً عظيماً ونقل الجند فيها فأسكنهم إياها فكانت

سر من رأى مقاماً للخلفاء إلى أن ولي المعتضد فنزل بغداد ونزلها الخلفاء بعده وكان المعتصم أمياً لا يحسن الكتابة وقيل إنه كان يكتب ضعيفاً وكان يسمى المثمن لأن التثمن جعل له في إحدى عشرة جهة أولها أنه ثامن ولد العباس ثانيها أنه ثامن خلفائهم ثالثها أنه ولي الخلافة سنة ثمانية عشرة ومايتين للهجرة رابعها أن سني خلافتها كانت ثمان سنين خامسها أن شهور خلافته بعد سنيها كانت ثمانية سادسها أن أيام خلافته بعد سنيها وشهورها ثمانية وسابعها أن عمره ثمانية وأربعين سنة (144) ثامنها أن مولده كان في شعبان وهو ثامن شهور السنة وتاسعها أنه خلف من الأولاد ثمانية ذكور وثمان بنات وعاشرها أنه غزا ثمان غزوات وحادية عشرها أنه خلف من المال ثمانية ألف ألف دينار وثمنين ألف درهم.

ووزر له الفضل بن مروان ونكبه واستوزر محمداً بن عبد الملك الزيات قضاته أحمد بن أبي داود قاضي القضاة وشعيب بن سهل ومحمد بن سماعه وعبد الله بن غالب وأبو جعفر بن عيسى بن حسن البصري من قضاته حجابه محمد بن حماد ثم وصيف مولاه نقش خاتمه ثقة أبي إسحق ابن الرشيد الله وبه يؤمن.

قال المؤرخ أن خلافته كان أولها يوم الخميس وآخرها يوم الخميس لتتمة مايتي سنة وست وعشرين سنة وسبعة وسبعين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وثلثماية وثلاث وثلثين سنة وماية وثلاثين يوماً للعالم شمسية.

والذي ورد تواريخ النصارى من الحواديث في أيامه أن البطرك يعقوب بطريرك اليعاقبة بالإسكندرية مات في سنة اثنتين وعشرين ومايتي للهجرة السنة الخامسة من خلافة المعتصم وقدم عوضه سيمان بطريرك في السنة المذكورة وأقام سنة واحدة وتوفي في ثالث بابه وكانت البيعة في هدوء وسلامة ومات بمرض النقرس.

وقيل في سير البطاركة أن مدته سبعة شهور وستة عشر يوماً وخلا الكرسي بعده بغير بطرك سنة واحدة وسبعة وعشرين يوماً.

وفي سنة ثلاث وعشرين ومايتي السنة السادسة من خلافة المعتصم قدم ابنا يوساب بطركاً لليعاقبة بالإسكندرية وكانت تقدمته بدير أبي مقار بوادي هبيب يوم السبت الحادي والعشرين من هتور سنة خمسماية سبع وأربعين لدقلاديانوس وقيل أنه قدم في أيام المأمون بن الرشيد وأنه أقام ثمان عشرة سنة وتنيح يوم الأحد ثالث وعشرين بابه سنة سبع وستين وخمسماية لدقلاديانوس.

(145) وكان في أيامه في الحبشة مطران اسمه يعقوب واتفق خروج ملكها إلى الحرب فنفتة (فنفته) امرأة الملك وأقاموا عوضه إسقفاً فامتنع عنهم المطر وضربوا بالوباء وانكسر الملك ووصل المطران إلى مصر فلما عاد الملك من الحرب أنكر على زوجته وأرسل إلى البطرك واستغفر منه وسأله أن يسير المطران فأرسله إليهم فقبلوه بفرح عظيم.

قال وفي أيام رئاسته هيأ البطرك أساقفة وسيرهم إلى إفريقية والخمس المدن الغربية والقيروان وبعد وفاته خلا الكرسي ثلاثين يوماً.

قال وفي السنة الخامسة عشر من بطركيته مات ديونيسيوس بطرك أنطاكية وصيروا عوضه ابنا يوحنا وكتب سنوديقا بالأمانة فأرسله إلى البطرك على العادة.

قال وفي أيام المعتصم مات ملك الروم وملك بعده توقيل على الروم.

التاسع من الخلفاء العباسيين وهو الثلاثون من ملوك المسلمين الواثق بالله أبو جعفر هرون ابن أبي إسحق المعتصم بن هرون الرشيد.

وأمه أم ولد يقال لها فراطيس بويع له بالخلافة بسر من رأى يوم توفي والده المعتصم لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومايتي ونفذت البيعة إلى بغداد واستقر الأمر بها.

قال وفي سنة ثمان وعشرين ومايتي نكب الواثق بالله دواوينه وكتابه وأخذ منهم أموالاً عظيمة.

وفي سنة تسع وعشرين ومايتي عزل علي ابن يحيى عن إمرة مصر وولاها عيسى ابن منصور.

(146) وفي سنة ثلاثين ومايتي توفي عبد الله بن طاهر بن الحسين وكان أميراً جليلاً فاضلاً عظيم القدر كريماً شجاعاً وولي خراسان ومصر والشام وقصدوه العلماء الشعراء وأهل الأدب فأجازهم وأجزل صلاتهم ويقال أنه إذا توفي والده طاهر بن الحسين دخل عليه بعض الشعراء فأنشده.

لولا التسلي بعبد الله ما برحت

تبكي علي الدهر منا العيون

دماً.

ما مات من كان عبد الله

أولده ولا تضعضع ركنا منه

وانهدما.

قال وفي سنة إحدى وثلاثين ومايتي للهجرة توفي الواثق لست بقين من ذي الحجة وصلى عليه المتوكل وكان سبب موته أنه كان مؤثر النكاح فقال لطبيبه أصنع لي دواء للباه فقال له يا أمير المؤمنين لا تهرم بدنك بالجماع فقال لا

بد منه قال عليك بلحم السبع يؤخذ منه وزن ثلاثة دراهم لا غير فأمر بذبح سبع وطبخ له بالخل الخمر وجعل ينتقل منه على شرابه فما كان قليلاً حتى مات فلما حضره الموت أنشد.

الموت فيه الخلق سرك لا سوقة منهم

يبقي ولا ملك

ثم أمر بالبسط وطويت ثم لصق جسده بالأرض وجعل يقول يا من لا يزول نلكه إرحم من زال ملكه وكان مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام وقيل أنه لما توفي واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل جاء جردان من بسطان هناك فأكل عينية ولم يعلموا به حتى غسلوه.

وصفته كان أبيض حسن الحمرة في عينه اليمنى نكتة بياض مربوعاً عريض الصدر كث اللحية وسيرته كان كريماً شجاعاً يحب الشعر ويجيز عليه وكان في أكثر أموره يبتدئ فيها بالمأمون وأخذ الناس بالقول بحلق (147) الفران وعاقب من لم يقل بحلقه حتى أفسد قلوبهم وكان يقول الشعر الجيد ويحسن صناعة الغنى وله أصوات مشهورة وكان يهوى خادماً له فسمعه يوماً يقول لخادم آخر أنا غضبان على عيدي فأنشد.

يا ذا الذي بعباني طل مفتخراً

هل أنت إلا مليك جاز

ادقدرا.

لولا الهوى لحارينا على قدر فان

افق مرة منه فسوف ترى

وكان وزيره محمد بن عبد الملك الزيات وقاضيه أحمد بن داود الابادي حاجبه انباح ثم وصيف مولاه ثم أحمد بن عمار نقش خاتمه الله ثقة الواثق.

قال المؤرخ مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر ويوم واحد أولها يوم الجمعة وآخرها يوم الأربعاء لتمام مايتي وثلثين سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وثلثماية وثمان وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً وسبعة عشر يوماً شمسية للعالم.

قال وفي أيامه مات توفيل ملك الروم وملك بعده ابنه ميخائيل على الروم.

العاشر من الخلفاء العباسيين وهو الحادي والثلثون من ملوك المسلمين المتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن إبي إسحق المعتصم بن هرون الرشيد.

وأمه أم ولد تركية يقال لها سجاع بويع له بسر من رأى يوم توفي أخوه الواثق لست بقين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين ومايتي.

قال ولما توفي الواثق أجمع رأي أحمد بن أبي داود ومحمد (148) بن عبد الملك الزيات الوزير ووصيف التركي وجماعة على أن يولوا الخلافة محمداً بن الواثق وهو المهتدي فأحضروه وهو صبي صغير وألبسوه ملابس الخلافة فاستصغروه فقال لهم وصيف أما تتقون الله تولون مثل هذا الخلافة ثم تناضروا فأحضر القاضي أحمد بن أبي داود جعفر بن المعتصم فألبسه الطويلة وقبل بين عينيه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ولقبه المتوكل فاتفقوا وبايعوه الناس.

قال وفي سنة اثنتين وثلاثين ومايتي جعل المتوكل إمرة مصر لانباح ثم بعد ذلك ردت إلى المستنصر بن المتوكل.

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومايتي غضب المتوكل على وزيره محمد بن عبد الملك الزيات وحبسه ووكل به من يساهره ويمنعه النوم ففعل به ذلك أياماً ثم ترك لينام فنام يوماً وليلة ثم سوهر بعد ذلك وسخن له تنوراً من حديد في داخله مسامير حتى صار جمراً ثم عذب به إلى أن مات وقيل أنه ضرب على بطنه خمسين صوطاً وعلى ظهره مثلها ومات تحت الضرب وكان السبب أنه أسدى إلى المتوكل قبيحاً في حياة الواثق فقابله على ذلك وكان الوزير هذا عالماً باللغة وبالنحو والشعر والترسل والكتابة لكنه كان أحمق متكبراً شديد العجب كثير الظلم قليل الرحمة قليل الحياء بخيلاً بجاهه وماله لم يعرف له إحسان على أحد وكان يقول الرحمة خور في الطبيعة والسخا حمق وله شعر في جملته وهو في الحبس هي.

السبيل ىمن يوماً إلى يوم كأنه ما

تريك العين في النوم.

لا ىعجبان رويداً أنها دول دنيا

تنقل من قوم إلى قوم

إن المنايا وإن أصبحت ذا فرح تحوم

حولك حوما أيما حوم.

(149) قال وفي سنة خمس وثلاثين ومايتي عقد المتوكل البيعة بولاية عهده لابنه محمد المستنصر بالله ثم بعده لابنه المعتز بالله ثم بعده لابنه إبرهيم المؤيد بالله وذلك يوم السبت لليلتين بقين من ذي الحجة وعقد لكل واحد منهم لوائين أحدهما أسود وهو لواء العهد والآخر أبيض وهو لواء العمل وضم إلى ابنه المستنصر إفريقية والمغرب كله من عريش مصر إلى حيث بلغ سلطانه من المغرب وجند قنسرين والعواصم والشام والجزيرة وديار بكر وديار ربيعة والموصل وهبب والعايات والخابور وقرقيسيا وتكريت وكور دجلة والحرمين واليمن والحضرموت واليمامة والبحرين والسند وما ولاها والأهواز والسقالات وسر من رأى والكوفة وماسيدان والهجران وشهرزور وقم وقاسان والجبال والضياع المنسوبة إليها وصدقات المغرب بالبصرة.

وضم إلى ابنه المعتز بالله كور خوراسان وما يضاف إليها وطبرستان والري وكور فارس وأرمينية وأذربيجان وضم إليه في سنة أربعين ومايتي خزن الأموال في جميع الآفاق ودور الضرب وأمر بضرب اسمه على الدراهم.

وضم إلى ابنه المؤيد بالله جند دمشق وحمص والأردن وفلسطين فقال إبرهيم بن العباس بمدحهم.

أصبحت عرى الإسلام وهي منوطة

بالنصر والاعرار والتأييد.

بخليفة من هاشم وثلاثة كفوا

الخلافة من ولاة عهود.

قمر تولت حوله أقماره يكيفن مطلع

سعده بسعود.

كيفهم الابا وأكسفت لهم فسعوا

بإكرام نفس وجدود.

قال وفي سنة سبع وثلاثين ومايتي ولى المتوكل علي الله محمداً بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الشرطة وأعمال السواد وخلافته ببغداد.

(150) وفي سنة ثمان وثلاثين ومايتي توفي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي ملك الأندلس فكانت مدة خلافته إحدى وثلاثين سنة وخمسة أشهر وبويع لولده محمد بالخلافة.

وفي سنة إحدى وأربعين ومايتي غارت الروم على عين قرية وأسرت من بها من الشرط مع نسائهم وذراريهم.

وفيها كانت وقعات بين المسلمين والروم.

وفي سنة اثنتين وأربعين ومايتي خرجت الروم من ناحية شميشاط حتى قاربوا آمد ثم خرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا عدة قرى وأسروا نحو من عشرة ألف إنسان وانصرفوا إلى بلادهم.

وفيها كانت زلازل هائلة بقومس ورساتيقها وذلك في شعبان فهدمت الدور ومات فيها من الناس نحو من خمسة وأربعين ألفاً وكان أكثر ذلك بالدامعات وكان بفارس وخراسان والشام في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة وكان باليمن أيضاً مثل ذلك مع خسف كان بها.

قال وفي سنة ثلاث وأربعين ومايتي صار المتوكل إلى دمشق لعشر بقين من ذي الحجة.

وفي سنة أربع وأربعين ومايتي عزم المتوكل على المقام بالدمشق وتحويل خزائن المال إليها وأمر بالبناء بها في صفر فتحرك الأتراك في أرزاقهم فأمر لهم بما أرضاهم ثم انثنى عزم المتوكل عن دمشق ورجع إلى سر من رأى وكانت مدة مقامه بدمشق شهرين وأياماً فدخل سر من رأى يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة.

وفي سنة خمس وأربعين ومايتي زلزلت بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون والمنازل والقناطر وزلزل عسكر المتوكل ببغداد وزلزلت المدائن وبالس والرقة وحران ورأس العين وحمص ودمشق والرها وطرسوس والمصيصة وأدنا وسواحل الشام ورجفت اللاذقية فما بقي فيها منزل وإلا أفلت من أهلها.

(151) إلا اليسير وذهبت جبلة بأهلها وفيها غارت مسانيف عين مكة حتى بلغت القربة الماء ماية درهم.

قال وفي هذه السنة كانت زلزلة عظيمة بأنطاكية ورجفة قتلت خلقاً كثيراً وسقط فيها على ما ذكر ألف وخمسماية دار وسقط من سورها نيف وتسعين برجاً وسمعوا أصواتاً هائلة مرجفة من كوى المنازل وهرب أهلها إلى الصحارى وتقطع جبلها الأقرع وسقط في البحر فهاج البحر في ذلك وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن وغار فيها نهر على فرسخ لا يدرى أين ذهب. ذكر هذا كتاب الطبري والعمدة عليه.

قال وفي هذه السنة انتهى إلى المتوكل أن المقياس بمصر قد فسد فأمر أن يعمل مقياس في الجزيرة وعمل وسمى المقياس الجديد.

قال وفي سنة ست وأربعين ومايتي غزا عمر بن عبيد الأقطع الصايفة فأخرج منها سبعين ألف رأس وغزا الفضل بن فارن البحر في عشرين مركباً فافتتح حصن أنطاكية وغزا علي بن يحيى الأرسي فأخرج خمسة ألف رأس ومن الدواب نحو من عشرة ألف.

وفيها تحول المتوكل إلى مدينته التي بناها بالماخورة فنزلها.

وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم ففدي بألفي وثلثماية سبعة وستين نفساً.

وفيها ورد الخبر أن ناحية بلح مطرت دماً عبيطاً.

وفي سنة سبع وأربعين ومايتي كان مقتل المتوكل وكان من حديث ذلك أن المتوكل عزم أن يصلي بالناس آخر جمعة في شهر رمضان بسر من رأى فشاع الخبر بذلك فاجتمع الناس واحتشدوا وأحضر بنوا هاشم وغيرهم فقال له الفتح بن خاقان وعبد الله بن يحيى يا أمير المؤمنين الناس قد اجتمعوا وكثروا من أهل بيتك وغيرهم فبعضهم ظالم وبعضهم مظلوم وبعضهم طالب حاجة.

152) مات في أيام المتوكل في سنة اثنتين وأربعين ومايتي وخلا الكرسي بعده ثلاثين يوماً وقدم عوضه ابناخاييل وقيل إنه كان قساً بدير أبي يحنس وكانت تقدمته في رابع عشر هتور في السنة العاشرة من خلافة المتوكل وأقام سنة واحدة وخمسة أشهر ومات في ثاني وعشرين برموده سنة سبع وستين وخمسماية لدفلاديانوس ودفن بدير أبي مقار وهو أول من دفن بالدير المذكور من البطاركة وخلا الكرسي بعده أحد وثمانين يوماً.

وفي سنة أربع وأربعين ومايتي للهجرة للسنة الثانية عشر من خلافة المتوكل قدم قسما بطركاً لليعاقبة بالإسكندرية وكان شماساً بدير أبي مقار في اليوم الرابع عشر من ابيب سنة سبع وستين وخمسماية لدقلاديانوس.

وفي أيامه بنيت أسوار تنيس ودمياط وإسكندرية والبرلس والاشموم والطينة ورشيد ونستروه وأقام سبع سنين وخمسة أشهر ومات في حادي وعشرين هتور سنة خمس وسبعين وخمسماية للشهدا ودفن بدموس ولما قدم كتب سنوديقا لبطرك أنطاكية بالأمانة وهو الأب يوحنا وأرسله إليه على العادة وورد جوابه بالاتفاق والمحبة وخلا الكرسي بعده أحد وخمسين يوماً.

قال وفي أيام المتوكل مات ميخائيل بن توفيل ملك الروم وملك بعده ابنه توفيل بن ميخائيل فأمر بأن يمحوا الصور من الكنائس وأن لا يبقى في كنيسة صورة البتة وسببه أن بلغه أن في بعض الكنائس التي على اسم السيدة مرتمريم يظهر في صورتها في يوم عيدها لبن ينقط من ثديها فكشف عن القضية فوجد القائم قد تصنع في هذا لأنه كان يكتسب من ذلك مالاً جزيلاً من الحجاج إلى الكنيسة سيما من النسوان فضرب عنق القائم وأبطل الصور فأرسل البطرك إليه يقول له أن موسى النبي نقش صورة الشاروبيم على قبة الزمان وكذلك (153) سليمان بن داود لما عمر الهيكل بأورشليم صور الشاروبيم من ذهب قال والمشهور أن كتاب الملك إذا ورد إلى بعض عماله مختوماً

بخاتمه ويقال له هذا من الملك يقف عليه ويقبله ويضعه على رأسه وعينيه تعظيماً للملك لكون اسمه وخاتمه عليه ونحن إنما نقبل الصورة لأجل من صورت على اسمه لا لأجل الأصباغ فلما سمع الملك هذا القول الذي أشار به البطرك أمر بتصوير الصور على العادة.

الحادي عشر من الخلفاء العباسيين وهو الثاني والثلاثون المستنصر بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد.

وأمه أم ولد رومية يقال لها حبشة بويع له بالخلافة البيعة خاصة ليلة قتل والده المتوكل وبويع له من الغد البيعة العامة يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومايتي فقصرت مدته ولم يطل عمره وكان الناس يقولون أن مدة ولايته بعد قتل أبيه ستة أشهر كمدة شيرويه بن كسرى ابروير قاتل أبيه فكان الأمر كذلك.

وقد ذكر أنه لما ولي المستنصر الخلافة بسط له بساط فيه صورة نقش مثال فرش عليه راكب وعلى رأسه تاج تحيط به دائرة كبيرة جداً فيها مكتوب بالفارسية فأحضر المستنصر من قرأها فتغير وجه الفارسي فقال له المستنصر ما هو فقال بعض حماقات الفرس فقال أخبرني به فقال لا معنى له قال لا بد أن تخبرني به قال يقول أنا شيرويه بن (154) كسرى قتلت أبي ولم اتمتع بالملك إلا ستة أشهر فتغير وجه المستنصر وقام من مجلسه ولم يملك إلا ستة أشهر.

قال وفي سنة ثمان وأربعين ومايتي خلع المستنصر أخويه المعتز والمؤيد من ولاية عهده وألزمهما أن خلعا أنفسهما وأشهد عليهما بذلك وكتب المستنصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو صاحب شرط بغداد فخبره أن المعتز والمؤيد سألاه أن يأذن لهما في خلع أنفسهما من ولاية العهد التي قلدهما المتوكل وأنهما كانا صغيرين عاجزين لم يبلغا الحكم ولا جرت عليهما أحكام الإسلام وأنهما أخلعا أنفسهما طائعين غير مكرهين على ذلك.

وكان الذي حمل المستنصر على خلع أخويه وصيف ونوغا وسائر من أعان على قتل المتوكل وخافوا أن يصير الأمر لهما فيقتلوهم بأبيهما.

قال وفي هذه السنة توفي المستنصر بالله فيقال أن الطفوري سمه وقيل أنه قطر في أذنه دهناً فتورم رأسه فمات وكانت وفاته لخمس بقين من ربيع الأول وكانت خلافته ستة أشهر إلا أياماً وكان عمره خمساً وعشرين سنة.

صفته كان ربعاً أبيض أعين أقنى مسمناً مهيباً سيرته كان ذا شهامة وإقدام غير أنه كان بخيلاً وله شعر من جملته

متى برقع الأيام من قد وصعنه وبتقاد

لي دهراً على حموح

أعلل نفسي بالرجاء وأنني لا غدو علي

ما ساني وأروح.

وذكر بشر الخادم قال كان المستنصر يوماً من أيام خلافته نائماً فانتبه وهو يبكي وينتحب قال فأهبته أن أسأله عن السبب ووقفت وراء الباب وإذا عبد الله بن عمرو الباريار قد وافى فسمع نحيبه وشهيقه فقال ويحك ما له يا بشر فاعلمته أنه كان نائماً فانتبه باكياً فدخل عليه وقال لا أبكى (155) الله لك عيناً يا أمير المؤمنين ما بالك تبكي فقال له إدن يا عبد الله فدنا منه فقال له كنت نائماً فرأيت المتوكل يقول لي ويحك يا محمد قتلتني وظلمتني وغصبتني خلافتي والله لا تمتعت بها بعدي إلا أياماً يسيرة ثم مصيرك إلى النار قال فانتبهت لا أملك نفسي من كثرة جزعي فقال له عبد الله هذه أضغاث أحلام لما في نفسك من هذا الأمر فدع عنك باللهو والطرب وأدع بالنبيذ ولا تعنى بالرؤيا.

قال ففعل ذلك وما زال منكسراً حتى مات قال إنه لما اشتدت عليه خرجت أمه وسألته عن حاله فقال والله ذهبت مني الدنيا والآخرة.

أولاده أربعة ذكور ووزراءه الخصيب وأحمد ولده بعده قاضيه جعفر العباسي حجابه وصيف ونوغا وابن الرومال وابن اونامن.

نقش خاتمه يؤتى الحذر من مال منه.

قال المؤرخ أن مدة خلافته ماية ثمانية وسبعين يوماً أولها يوم الخميس وآخرها يوم السبت لتتمة مايتي سبع وأربعين سنة للهجرة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ولتمام ستة ألف وثلثماية ثلاثة وخمسين سنة وتسعة أشهر واثني عشر يوماً شمسية للعالم.

الثاني عشر من الخلفاء العباسيين وهو الثالث والثلاثون المستعين بالله أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم بن هرون الرشيد.

وأمه أو ولد يقال لها محارف.

قيل لما توفي المستنصر اجتمع نوغا الكبير ونوغا الصغير واوتامس وأحمد بن الخصيب وجماعة من الموالي وأجالوا الرأي في من يولون الخلافة وكرهوا

(156) أن يتولاها أحد من ولد المتوكل خوفاً من أن يقتلهم لقتل المتوكل فاجتمع رأيهم على أحمد بن محمد بن المعتصم فبايعوه بالخلافة وقت العشاء الأخير من ليلة الاثنين لست خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومايتي للهجرة وعمره ثمان وعشرين سنة ولقب المستعين بالله واستوزر اتامس واستكتب أحمد بن الخصيب وركب من الغد إلى دار العامة بزي الخلافة واصطف الناس صفين وإذا صيحة عظيمة وجاء خمسون فارساً وقدر ألف رجل من العوام والسوقة شاهرين السيوف وهم يصيحون يا منصور يا معتز وشدوا على الناس وجرى قتال عظيم ثم انهزمت المعتربه (المعتزية) وسكنت الغوغاء واستقرت الخلافة للمستعين وأمر بحبس المعتز والمؤيد ابني المتوكل.

قال وفي سنة تسع وأربعين ومايتي وثب الأتراك على اتامس وكان غالباً على أمر المستعين كله فقتلوه وقتلوا كاتبه سجاع بن الهتيم وانتهبوا دار اتامس وأخذوا منها أموالاً جزيلة وكان الذي دبر الحيلة في قتله وصيف ونوغا لما كان يسدده من الأمور ويستاديه من الأموال واضطربت بذلك أمور الترك واختلف أهواؤهم.

قال وفي سنة خمسين ومايتي خرج يحيى بن عمر بن حسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة وانضاف إليه خلق كثير فوجه إليه محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين جماعة فتقاتلوا فقتل يحيى وانهزم أصحابه وأتي برأسه إلى محمد فوجه به إلى المستعين ونصب بسر من رأى وجعل في صندوق بيت السلاح.

وفي سنة إحدى وخمسين ومايتي وثب وصيف ونوغا في جماعة من الموالي على ياعر وقتلوه لأنه كان قد استولى على دار الخلافة وعزم على قتل (157) المستعين ووصيف ونوغا فلما قتل شعث أصحابه ووقعت الفتنة بسبب قتله وهرب المستعين إلى بغداد خوفاً على نفسه ومعه وصيف ونوغا فلحقوه جماعة من القواد وسألوه أن يرجع إلى قصره بسر من رأى فأبى فرجعوا إلى سر من رأى فأخرجوا المعتز من محبسه وبايعوه بالخلافة ولأخيه المؤيد بولاية عهده وكان انحدار المستعين إلى بغداد في المحرم.

قال ولما تم الأمر للمعتز بالله بسر من رأى جهز أخاه أحمد بن المتوكل لقتال ابن عمه المستعين وذلك لسبع بقين من المحرم فسار إلى بغداد في خمسة ألف فارس من الأتراك والفراعنه وألفين من المغاربة وتحصن المستعين ببغداد وحفر لها خندقاً من الجانب الشرقي ونصب المناجنيق وبين العيون في الطرقات ونازله أحمد بن المتوكل وحاصره حصاراً شديداً وجرت وقعات متعددة في أيام كثيرة وكان القائم بأمر المستعين في تلك الحروب كلها محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وآخر الأمر أن ابن طاهر ينكر للمستعين لأنه بلغه أن المستعين أمر نوغا ووصيف بقتله فصالح ابن طاهر أحمد بن المتوكل ووافقه على خلع المستعين على شرائط وتقريرات جرت بينهما وسير تلك الشرائط إلى المعتز بالله فأمضاها وكتب بها خطه وذلك بعد أن كلف ابن طاهر المستعين أن أشهد عليه أنه صير أمره إليه وشهد عليه بذلك أكابر بغداد وقضاتها.

قال وفي هذه السنة غلب على طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسمعيل من ولد علي بن أبي طالب وجرت بينه وبين سليمان بن عبد الله عامل محمد بن عبد الله بن طاهر حروب آخرها أن سليمان غلب على طبرستان وهرب الحسن إلى الديلم.

وفيها خرج ببلاد الديلم طالبي يدعى (158) الحسن ابن أحمد الكوكب بن إسمعيل بن إبرهيم من ولد علي بن أبي طالب فهرب منه أصحاب السلطان واستولى على منازلهم ثم صار إلى المدينة فهرب منه عاملها ثم سار منه إلى مكة فمنعه أهلها من دخولها فحاصرها حصاراً شديداً حتى مات أهلها جوعاً وعطشاً ثم رحل عنها بعد سبعة وخمسين يوماً إلى جدة فحبس عن أهل مكة الميره وقطع السايله ثم اعترض الناس يوم الوقفة بعرفات فقتل خلقاً كثيراً وسلب الناس فهربوا ولم تتم وقفتهم ووقف هو وأصحابه ومات في سنة اثنتين وخمسين ومايتي.

وفي هذه السنة كان مخلع المستعين بالله قال أنه أشهد على نفسه أنه أخلع نفسه من الخلافة وأنه قد أحل الناس من بيعته ودعى للمعتز بالله ببغداد يوم الجمعة لأربع خلون من المحرم ونقل المستعين إلى قصر الحسن بن وهب ووكل به من يجفظه.

ثم أحدر المستعين إلى واسط ووكل به أحمد بن طولون ودس إليه المعتز بالله سعيد الحاجب فقتله بالقادسية وأحز رأسه وقيل أن أحمد بن طولون باشر قتله في شوال من هذه السنة وأتى برأسه إلى المعتز بالله بن عمه وهو يلعب بالشطرنج فقبل له هذه رأس المخلوع فقال دعوه هناك حتى أفرغ من لعب الشطرنج فلما فرغ يلعب نظره وأمر بدفنه وكانت خلافته سنتين وتسعة أشهر وأياماً وعمره إحدى وثلاثين سنة.

سيرته كان فيه لين وانقياد لاتباعه ممهلاً أموره شديد الخوف على نفسه.

وكان وزراءه أحمد بن الخصيب ثم نكبه واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن سجاع بن القاسم حجابه اتامس ثم وصيف ثم نوغا قضاته أحمد بن أبي الشوارب الأموي ومحمد بن وزير الواسطي.

قال المؤرخ خلع لتمام مايتي إحدى وخمسين سنة (159) وأربعة أيام للهجرة ولتمام ستة ألف وثلثماية سبع وخمسين سنة وخمسة أشهر شمسية للعالم.

والذي ورد تواريخ النصارى أنه قدم لليعاقبة بطرك على الإسكندرية في أيام المستعين في سنة اثنتين وخمسين ومايتي للهجرة اسمه سانيتيو أقام إحدى عشرة سنة وتنيح.

الثالث عشر من الخلفاء العباسيين وهو الرابع والثلاثون المعتز بالله أبو عبد الله وقيل محمد بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد.

وأمه أم ولد يقال لها فتيحة أجمع الناس على بيعته لما خلع المستعين وذلك لأربع خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومايتي.

قال وفي هذه السنة حبس المعتز أخاه المؤيد وخلعه من ولاية عهده وضيق عليه ثم بلغه أن الأتراك أرادوا إخراجه من محبسه فأمر المعتز فلفه في لحاف سمور ومسك بطرفيه حتى مات ثم أخرجه إلى القضاة والأكابر ولا أثر فيه ولا جرح وقال لهم أنه مات حتف أنفه.

وفي هذه السنة عزل يزيد بن عبد الله عن إمرة مصر وكان قد تولاها في أيام المتوكل سنة إحدى وأربعين ومايتي ولما عزل يزيد ولاها المعتز مزاحم بن خاقان.

وفي سنة ثلاث وخمسين ومايتي وثب الأتراك على وصيف فقتلوه بسبب أرزاقهم.

وفيها بعث المعتز بالله أحمد بن المتوكل إلى واسط ثم رده إلى الجانب الشرقي من بغداد فنزل به.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن طاهر ببغداد في ليلة الرابعة عشر من ذي القعدة وكان القمر قد كسف في تلك الليلة.

(160) قال وفي سنة أربع وخمسين ومايتي قتل نوغا الصغير بسر من رأى بأمر المعتز بالله ونصب رأسه بسر من رأى ثم ببغداد.

وفيها توفي أبو الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو العاشر من الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد الشيعة إياهم.

وفيها توفي مزاحم بن خاقان فولي مصر ابنه محمد ثم مات فوليها أحمد بن طولون في شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومايتي.

وخلع المعتز دبر عليه حاجبه صالح بن وصيف قيل جاء إليه ومعه جماعة فدخلوا عليه وجروا برجليه إلى باب الحجرة وأقاموا في الشمس وكان يرفع قدماً ويحط أخرى وجعلوا يلطمونه ويقولون اخلعها فأجابهم إلى خلع نفسه فأدخلوه حجرة وبعثوا إلى ابن أبي الشوارب والقاضي وجماعة من الشهود وأحضروهم وأشهدوهم أنه خلع نفسه وكان ذلك يوم السبت لليليتن خلتا من شهر رجب ثم سلم المعتز لمن يعذبه فمنع الطعام والشراب ثلاثة أيام وأدخل به سرداباً وأطبقوا عليه بابه فأصبح ميتاً وذلك لليلتين خلتا من شعبان.

وكانت خلافته من حين بويع له بسر من رأى أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ومن حين خلع المستعين وبويع البيعة العامة ثلاث سنين وسبعة أشهر إلا أياماً وصلى عليه المهتدي بالله.

وزراءه محمد بن جعفر ثم عيسى بن فرحناه ثم أبو محمد جعفر بن إسرائيل الأنباري قاضيه أحمد بن الحسن بن أبي الشوارب حاجبه صالح بن وصيف كان غالباً على أمره وهو الذي عمل على خلعه وقتله وكان المعتز مؤثر اللذات مشتغلاً بها معرضاً عن تدبير الملك بسببها والنظر في مصالحه.

قال المؤرخ مدة خلافته ثلاث سنين وستة أشهر وعشرين يوماً أولها يوم السبت وآخرها يوم الاثنين لتتمة مايتي أربع وخمسين سنة وستة أشهر وأربعة وعشرين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف (161) وثلثماية وستين وعشرة أشهر وسبعة عشر يوماً شمسية للعالم.

والذي ورد تواريخ النصارى أن البطرك اوسانيوس قدم في أول سنة من خلافة المعتز بالله في ثالث عشر طوبه سنة خمس وسبعين وخمسماية للشهدا وهي السنة الثانية والخمسين ومايتي للهجرة وكان اقنوما بدير أبي مقار وأقام إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات.

حاشية.

تضمن سير البطاركة أن اسمه سانيتيو وأنه قدم في سنة اثنتين وخمسين ومايتي للهجرة من السنة التي خلع فيها المستعين فتولى فيها المعتز بالله.

وفي أيامه رجع أقواماً كانوا ينكرون آلام السيد المسيح من زمان الفرق فقبلهم وعمدهم وكرز في كنائسهم وكتب إلى بطرك أنطاكية فعرفه بذلك ففرح برجوعهم.

قال وعمل هذا البطرك مجاري تحت الأرض بمدينة الإسكندرية يعبر الماء الحلو فيها من خليج إسكندرية إلى الادر بها.

وفي رئاسته كان أحمد بن طولون عاملاً على مصر.

قال وفي أيام المعتز بالله مات توفيل بن ميخائيل ملك الروم وملك بعده ابنه ميخائيل على الروم وقال بن بطريق أنه كان من جملة قواده قائد يحبه ويؤثره على جميع أصحابه اسمه بسيل فخرج ميخائيل الملك يتنزه في الجزيرة التي بظاهر القسطنطينية في البحر الذي يدعى بنطس فقتله بسيل القائد وغلب على الملك وتملك على الروم ولم يكن من بيت الملك لأن جنسه صقلابي واعتذر أنه قتله لأمور ردية جرت منه من جملتها أنه عشق امرأة فأمر باسيل أن يتزوجها ولا يطأها ويكون ميخائيل الملك يضاجعها بحكم أنه لا يقدر يتزوج امرأة أخرى في حياة زوجته قال واستقبحت هذا الأمر فقتلته.

(162) فأقام باسيل ملكاً على الروم مدة خلافة المعتز والمهتدي وبعض خلافة المتمعد.

الرابع عشر من الخلفاء العباسيين وهو الخامس والثلاثون المهتدي بالله أبو عبد الله قيل محمد بن الواثق بالله بن المعتصم بن هرون الرشيد.

وأمه رومية اسمها قرب.

قال لما قبض الأتراك على المعتز أحضروا محمداً بن الواثق وبايعوه بالخلافة وكان المعتز أول من بايعه ولقبه المهتدي بالله وذلك لثلاث خلون من شهر رجب سنة خمس وخمسين ومايتي ولما بويع بالخلافة منع الشرب وأطرح الغنى والملاهي وأمر بنفي الفيال وطرد السباع وكلاب الصيد التي كانت في دار الخلافة وأزال المظالم وألزم نفسه الإشراف على الدواوين والحسبانات والجلوس للناس في كل اثنين وخميس والكتاب بين يديه.

قال وفي هذه السنة ظهر الحبيب صاحب الريح بالبصرة وهو رجل ادعى أنه علي بن محمد بن أحمد من ولد علي بن أبي طالب وكذب وقيل أن اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم من بني عبد القيس فجمع الريح الذين كانوا برسم السباع وكان مبدأ ظهوره في سنة تسع وأربعين ومايتي وكان مشعبداً عياراً منجماً فاسد العقيدة فاستغوى جماعة من ذوي الجهل من الريح والغلمان وعبر دجلة ثم مضى إلى البحرين ودعى إلى نفسه أنه من ولد علي بن أبي طالب ومعه خلق كثير ثم انتقل إلى حي بني تميم ولم يزل ينتقل من حي إلى حي ويقوى أمره إلى سنة سبعين ومايتي وسنذكر في كل سنة ما جرى له فيها من الحواديث إن شاء الله تعالى.

(163) فلما قوي أمره في تلك السنة وغاب البلاد وقويت في النفوس هيبته وكان لا يلتقيه أحد إلا كان الظفر له.

قال وفي سنة ست وخمسين ومايتي قدم موسى بن نوغا من سر من رأى وكان بالري وطبرستان لمحاربة العلوي الخارج بتلك البلاد فلما قدم من سر من رأى اختفى منه صالح بن وصيف واشتد طلب موسى بن نوغا إلى أن ظفر به فقتله وطيف برأسه من الغد ونودي هذا جزاء من قتل مولاه وأمر بقتله وفعل ذلك ثلاثة أيام.

قال وفي هذه السنة كان مقتل المهتدي بالله وذلك أن موسى بن نوغا وبانكيال اتفقا على قتله فأشار موسى بن نوغا بانكيال بالمضي إلى المهتدي ويظهر له أنه على طاعته ويدبر على قتله فمضى بانكيال إلى المهتدي فاعتقله فحاشت الموالي واحتاطوا بالقصر وطالبوا المهتدي بإطلاق بانكيال فقطع رأسه ورماها لهم فحاشت الأتراك ووقعت الحروب بينهم وبين المغاربة فقتل من الفريقين أربعة ألف واجتمعت الأتراك في عشرة ألف وقدمت عليها طغربا أخا بانكيال وخرج المهتدي والمصحف في عنقه يدعو إلى نصر المغاربة والفراعنة وبعض العامة فحمل عليهم طغربا والأتراك فهزموهم ومضى المهتدي منهزماً والسيف في يده وقد جرح جرحين فدخل دار محمد بن مرداد فدخلوا عليه

وأخذوه أسيراً وحمله أحمد بن خاقان على دابة فأردف خلفه سايساً وأدخله إلى داره وجعلوا يصفعونه ويبصقون في وجهه ويقولون اخلعها فامتنع فوطئ رجل على انثييه حتى قتله وذلك لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رجب وبايعوا

أحمد بن المتوكل ولقبوه المعتمد على الله (164) وأحضروا شهوداً شاهدوا المهتدي وأنه مات سليماً وليس به إلا جرحاً يوم الوقعة وقيل أنه بن عم بانكيال قتله بخنجر وشرب من دمه وصلى عليه القاضي جعفر بن عبد الله الهاشمي ودفن بسر من رأى فكانت مدة خلافته أحد عشر شهراً وأياماً وكان عمره يناهز أربعين سنة.

صفته مربوعاً حسن الوجه أسمر رقيقاً أشهل العينين عظيم البطن طويل اللحية أجلح.

وسيرته ورعاً صالحاً جميل الطوية مرضي السيرة محمد المذهب يكاد يكون في بني هاشم مثل عمر بن عبد العزيز.

وزراءه أبو أيوب بن أحمد قاضيه الحسن بن أبي الشوارب حجابه صالح بن وصيف وبانكيال وموسى بن نوغا.

نقش خاتمه من تعدى الحق ضاع مذهبه.

قال المؤرخ كان أول خلافته يوم الثلاثاء وآخرها يوم الثلاثاء لتتمة مايتي خمس وخمسين سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وثلثماية إحدى وستين سنة وتسعة أشهر وستة وعشرين يوماً شمسية للعالم.

الخامس عشر من الخلفاء العباسيين وهو السادس والثلاثون المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد.

وأمه أم ولد يقال لها فينان بويع له بالخلافة يوم قتل بن عمه المهتدي بسر من رأى لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ست وخمسين ومايتي.

وفي هذه السنة قوي أمر الحبيب صاحب الريح وأكثر من القتل والقتال والنهب فخرج له جعلان فلقيه فهزم جعلان ومن معه وأخذ الريح أربعة (165) وعشرين مركباً من مراكب البصر واحتاطوا حولها وقتلوا كلمن كان فيها ثم سار الحبيب إلى الابله فهجمها وقتل خلقاً عظيماً بها واستولى عليها ثم سار إلى عبادان فسلم أهلها الحصن إليه وأخذ منهم أموالاً كثيرة ثم سار إلى الأهواز فأخذها واجتمع معه ثمانون ألفاً من الخلق فخاف منه أهل البصرة وانتقل جماعة وتفرقوا في عدة أماكن.

قال وفي سنة سبع وخمسين ومايتي أتى الحبيب صاحب الريح سعيد بن جعفر بن دينان ومن معه على عزه فظفر بهم وقتل منهم خلقاً كثيراً فجهز إليه المعتمد جيوشاً كثيرة في عدة دفعات وكان بينهم وقعات كثيرة وكان الظفر فيها لصاحب الريح ثم حاصر البصرة حصاراً شديداً وأضر بأهلها الجوع وانقطاع الميرة فدخلها وقتل من أهلها عشرين ألفاً واستولى عليها.

وفي سنة ثمان وخمسين ومايتي جهز إليه المعتمد محمد المولد فخرج إليه الحبيب وجرى بينهم قتال كثير فانهزم محمد المذكور واستباح الحبيب عسكره.

وفي هذه السنة جعل المعتمد أخاه أبا أحمد بن المتوكل ولي عهده وضم إليه ولاية المشرق وديار ربيعة والموصل والعواصم وديار مصر وخلع عليه ولقبه الموفق بالله وجعل ولي عهده ابنه جعفر بن المعتمد ولقبه المفوض إلى الله وجعل إليه ولاية المغرب وجهز الموفق بالله لقتال الحبيب ومعه مفلح في عسكر عظيم فالتقوا مع الحبيب وجرت حروب شديدة أصاب مفلح فيها سهماً فقتله وانهزم أصحابه وانجاز الموفق وأصحابه إلى جهة فتثبتوا فيها وكان الحبيب كذاباً ممحرقاً وكان يوهم أصحابه أنه يعلم المغيبات ويفعل ما ليس في قدرة البشر ثم كانت وقعة بين يحيى بن محمد (166) الأزرق قائد الحبيب وجرح جراحات مثخنة صعبة منعته من الهرب فأسر وأتي به إلى سر من رأى فضرب مايتي صوط وقطعت يداه ورجلاه ثم قطع بالسيوف وأحرق.

وكانت وقعات بين الموفق بالله والحبيب كانوا فيها متكافئين ثم انجاز الموفق بالله وأصحابه إلى واسط لمرض حدث لأصحابه إلى حين انصلحوا.

قال وفي سنة تسع وخمسين ومايتي دخل يعقوب بن الليث الصفار نيسابور وكان قد تغلب بتلك الناحية وحبس محمد ابن طاهر بن الحسين وأهل بيته وقبض نعمهم ثم سار خلف الحسن بن زيد العلوي المقدم ذكره بعد وقعات جرت بينهم ودخل يعقوب طبرستان واستولى عليها.

وفيها عاد الموفق بالله إلى بغداد واستولى على قتال الحبيب محمد المولد.

وفيها هجم أصحاب الحبيب الأهواز فقتلوا فيها خمسين ألفاً وأخربوا أسوارها فجهز المعتمد بالله عبد الرحمن بن مفلح إلى الأهواز وإسحق بن دراج إلى البصرة وإبرهيم بن سيما إلى داورد لحرب الحبيب فجرت بينهم وقعات كثيرة.

وفي سنة ستين ومايتي قاتل الحبيب صاحب الريح.

وفيها كانت وقعات بين أمراء المعتمد وبين الحبيب قتل فيها خلق كثير.

قال وفي سنة إحدى وستين ومايتي كانت وقعات بين الحبيب وبين محمد من واصل قتل عامل المعتمد على فارس وغلب عليها فضم المعتمد فارس والأهواز والبصرة والبحرين إلى موسى بن نوغا مع ما كان معه من عمل المشرق فجهز موسى بن نوغا عبد الرحمن بن مفلح إلى الأهواز وولاه إياها وضم إليه طيسم التركي وكان محمد بن واصل مقيماً بالأهواز على حرب الحبيب فلما اتصل به ذلك زحف إلى عبد الرحمن والتقيا برامهرمز فظفر ابن واصل بابن مفلح

(169) وأسره فبعث المعتمد إلى بن واصل في إطلاق بن مفلح وتوجه إلى اصطخر لحرب موسى بن نوغا فلما رأى موسى شدة الأمر وكثرة المتغلبين على المشرق سأل الإعفاء من أعمال المشرق فأعفي وعزل نوابه عنها وقدم إلى سر من رأى.

وفيها كانت وقعة بين محمد بن واصل ويعقوب بن الليث فهزم ابن واصل وأخذ يعقوب قلعة له وكان فيها أربعون ألف ألف درهم.

قال وفي سنة اثنتين وستين ومايتي خرج المعتمد على الله لقتال بن الليث وسببه أن ابن الليث كان قد تجبر وعصى وشق الأرض حتى أتى واسط فدخلها في جمادى الآخرة فلما صار المعتمد ببغداد ارتحل منها إلى شيت وانتهض خلف بن الليث وولي عهده الموفق بالله فالتقيا في شهر رجب فانهزم أصحاب بن الليث واستباح الموفق عسكره وخلص محمداً بن زاهر وكان مثقلاً بالحديد وتوجه الموفق في أثر يعقوب بن الليث الصفار ولم يكن ليعقوب همه إلا النجاة بنفسه.

وفيها كانت بين الحبيب صاحب الريح وبين المعتمد حروب كان الظفر فيها للحبيب.

وفي سنة ثلاث وستين ومايتي كانت وقعة بين أصحاب الحبيب وأحمد بن ليبونه بسر من رأى ثم بالأهواز كان الظفر فيها لأحمد وقتل من أصحاب صاحب الريح جماعة ثم إنهم كمنوا فلما كروا راجعين خرج عليهم أصحاب الحبيب فلم يسلم منهم أحد وبعثوا برؤوسهم إلى الحبيب وهرب أحمد بن ليبونه.

وفي سنة أربع وستين ومايتي دخل أصحاب الحبيب واسط وانهزم أهلها وأحرقها الريح بالنار وغنموا أموالاً كثيرة لا تحصى ثم كانت حروب كثيرة بينهم وبين أصحاب المعتمد.

وفي سنة خمس وستين ومايتي حاصر صاحب مصر أحمد بن طولون أنطاكية وفيها سيما الطويل فلم يزل بها حتى (170) فتحها وقتل سيما.

وفيها صارت جماعة من أصحاب الحبيب في بلث سمريه إلى جبل فأغاروا عليها وأخذوا أربع سفن مملوءة طعاماً ثم دخلوا إلى النعمانية فأحرقوا سوقها وأكثر منازل أهلها وسبوا ثم ساروا إلى جرجرايا فسبوا ونهبوا وأحرقوا.

وفي سنة ست وستين ومايتي دخل أصحاب الحبيب رامهرمز فأحرقوا جامعها وقتلوا ما لا يحصى وأكثروا من السبي والنهب.

وفي سنة سبع وستين ومايتي ندب الموفق بالله ولده أبا العباس المعتضد بالله لحرب الحبيب بأصحابه فخرج في عشرة ألف فارس وراجل وواصلهم كانوا في أكثر من ماية ألف فانهزموا من مواضعهم التي كانوا استولوا عليها وغنم من أموالهم ما لا يحصى واستنقذ من النساء المسلمات التي كن في أسره خمسة ألف امرأة وردهن إلى أهاليهن سوى من ظفر بهن من الريحيات ثم وصل إلى بلد الحبيب الذي بناه وسماه المبيعة فأخذ جميع ما فيها ثم هدم سورها ثم ظم خنادقها وأحرق ما كان فيها من السفن ثم تبعهم الموفق بالله إلى مدينة كانوا قد بنوها وحصنوها بخمس خنادق أمام كل سور خندق وهجمها وهزمهم منها وأخذ منها من الأموال ما لا يحصى ثم تبعهم في البلاد وقتل من أكابرهم مثل ابن السعرابي وابن جامع وغيرهما من القواد ثم تبع الموفق بالله الحبيب صاحب الريح إلى مدينته المسماة بالمحبارة وكان عدو الله الحبيب قد حصنها بالخنادق بالعدد والسلاح والأبواب وهو فيها في ثلثماية ألف فلما رأى الموفق حصانة البلد علم أنها لا تنفتح في مدة قريبة فابتنى مدينة بازائها سماها الموفقية ودعا التجار إليها وبنى بها الجامع وضرب الدنانير والدراهم فيها وأقام على مصابرة الحبيب (171) وبذل الأموال فهرب جماعة من أصحابه إليه فلما كان ذو الحجة ثلم أصحاب الموفق في سور مدينة الحبيب ثلماً ودخلوا فيها وقتلوا أصحاب الحبيب فوقع فيهم القتل والنهب إلى شهر شعبان فوثقوا عليهم طويلاً ودافعوا عن نفوسهم إلى أن حملوا عليهم جيش الموفق فسكروهم عن النهر وهزموهم وصار جماعة من قواد الحبيب إلى الموفق.

وفي سنة ثمان وستين ومايتي زحف الموفق إلى مدينة الحبيب فثلم في سورها ثلماً كثيرة ودخل إلى المدينة من جميع الثلم فانهزم الحبيب وأصحابه وانضموا إلى مكان في المدينة عصوا فيه وقاتلهم الموفق في دفعات كثيرة وكان الظفر فيها كلها للموفق.

وفي هذه السنة أظهر لولو الخلاف على مولاه أحمد بن طولون صاحب مصر.

وفي سنة تسع وستين ومايتي جرت حروب بين الموفق بالله وبين الحبيب صاحب الريح فأصاب الموفق سهم في صدره فامتنع بسببه مدة من القتال ثم برأ وأعاد القتال وزحف الموفق إلى مدينة الحبيب وهدم سورها وقتل جماعة وأسر جماعة وأستأمن جماعة.

وفيها كتب لولو مولى أحمد بن طولون إلى الموفق يستأذنه في المصير إليه ومقاومة مولاه وشرط لنفسه شروطاً فأجاب الموفق إليها فتوجه لولو إليه.

وفي هذه السنة أمر الموفق بالله بلعنة أحمد بن طولون على المنابر والسبب في ذلك أن المتعمد (المعتمد) على الله ولى أخاه الموفق بالله ولاية عهده فاستولى عليه الموفق ولم يبق للمعتمد معه إلا مجرد الاسم والدعاء على المنابر وضرب اسمه على الدنانير والدراهم فأما تدبير الملك فهو للموفق دونه فلما كان في هذه السنة توجه المعتمد على

الله يريد مصر ليكون عند أحمد بن طولون مبايناً لأخيه الموفق وذلك بعد مكاتبات جرت بين المعتمد (172) على الله وبين أحمد بن طولون في ذلك فلما بلغ الموفق ذلك وهو في قتال الحبيب صاحب الريح أنفذ ورد المعتمد على الله كرهاً إلى سر من رأى وولى إسحق بن كنداح أعمال ابن طولون جميعها وقلده سيفين وسماه ذا السيفين ولم يقدر على ذلك فلما بلغ ابن طولون ذلك وكان بدمشق كتب إلى مصر أن الموفق بالله قد نكث بيعة المعتمد وأمر جميع الفقهاء والأشراف بمسيرهم إلى دمشق فصاروا إليه واتفقوا على خلع الموفق وأفتو بذلك الابكار بن عبد الله قاضي مصر فإنه قال لأحمد بن طولون أنت أوردت علينا كتاباً من المعتمد بأن الموفق ولي عهده فأورد الآن كتاباً بانخلاعه فقال هو الآن مغلوب مقهور وأنا أحبسك حتى ترد كتابه لا طلقتك فقيده وحبسه واسترجع منه ما كان دفعه إليه من جوائزه فوجدها في منزله نحو اتيمها ستة عشر كيساً فيها ستة عشر ألف دينار فبلغ الموفق ذلك فأمر بلعنة أحمد بن طولون على المنابر فلعن ببغداد وسائر العراق.

قال وفي سنة سبعين ومايتي كان مقتل الحبيب صاحب الريح وذلك أنه لما استولى الموفق على مدينته وأخرب قصره وهدمه واحتاط على أهله وعائلته ووجه بهم إلى سر من رأى هرب عدو الله بنفسه وخاصته فظفر به وقتله ونصب رأسه على قناة وطيف به في البلاد ثم بعث به الموفق مع ابنه المعتضد بالله إلى مدينة السلام وطيف بها ونصب على باب الجسر وكان هذا الفتح من أعظم الفتوحات وأجلها وكان مقتله يوم السبت لليلتين خلتا من صفر وكان خروج الحبيب لأربع بقين من رمضان سنة خمس وخمسين ومايتي فكان مدة سلطانه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام ولما قتل الحبيب تلقب الموفق (173) الناصر لدين الله مضافاً للقبه الأول.

قال وفي هذه السنة كانت وفاة أحمد بن طولون وذلك لعشر بقين من ذي الحجة وقيل لعشر خلون من ذي القعدة وقيل أنه لما حس بوفاته رفع يديه إلى السماء وقال يا رب ارحم من جهل مقدار نفسه وانظره حلمك عنه وقضى نحبه وخلف ثلاثة وثلاثين ولداً ذكوراً.

سيرته كان كثير البر والصدقات فقيل أن صدقاته في كل شهر ثلاثة ألف دينار وكان راتب مطبخه في كل يوم ألف دينار وكان يجري على أهل المساجد في كل شهر ألف دينار وحمل إلى بغداد في مدة ولايته مصر ما فرق على الصالحين والعلماء وتصدق به على الضعفاء والمساكين ألفي ألف ومايتي ألف دينار وترك في خزانته عشرة ألف ألف دينار وكان له سبعة ألف مملوك وسبعة ألف فرس وثمانية ألف بغل وجمل برسم خاصة ثلثمية فرس للحرب وكان خراج مصر في أيامه ثلثماية ألف ألف دينار.

إلا أنه كان ظالماً سفاكاً للدماء فيقال إن عدة من قتله ومن مات في محبسه ثمانية عشر ألفاً ولما توفي أحمد بن طولون فاستولى ولده حمارويه على ما كان بيد والده من مصر والشام وذلك لعشر بقين من ذي الحجة سنة سبعين ومايتي.

قال وفي سنة إحدى وسبعين ومايتي توفت توران ابنة الحسن ابن سهل زوجة المأمون وكان عمرها أربع وثمانين سنة.

وفي سنة ثلث وسبعين ومايتي توفي محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ملك الأندلس الأموي فبويه بالخلافة بعده ولده المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم.

قال وفي سنة ثمان وسبعين ومايتي كانت وفاة الموفق بالله يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر وسيرته كان ميمون النية صاحب رأي وتدبير وسياسة (174) وحزم وشهامة وكان شجاعاً وسمحاً وكان يقول والله إني أرى جلساي بالعين التي أرى بها إخوتي والله لو تهيأ لي لنقلت أسماهم من الندمان والجلساء إلى الإخوان والأصدقاء ولما مات الموفق بالله قام بتدبير الملك بعده ولده المعتضد بالله أبو العباس أحمد وخلع عليه عمه المعتمد على الله وولاه عهده بعد أن خلع ولده جعفر من ولاية عهده وغلب المعتضد بالله على عمه المعتمد كما كان أبوه الموفق غالباً عليه.

وفي هذه السنة كان ابتداء أمر القرامطة وهم طائفة من الباطنية الملاحدة وكان ابتداء أمرهم أن رجلاً من ناحية السواد كان يظهر الزهد والتقشف ويزعم أن الله تعالى أفرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة فاشتهر ذلك عنه ثم اعلم من كان معه أنه يدعو إلى إمام من أهل البيت ثم أقام بقرية واستغوى أهلها ويأخذ من كل واحد منهم ديناراً ويوهمهم أنه يأخذه للإمام ثم بعد ذلك مضى إلى جميع القرى المجاورة له ثم أخذ له اثني عشر نفساً وأمرهم أن يدعوا الناس إلى دينه فاشتغل أكثر أهل السواد عن أعمالهم بما أفرضه عليهم من الصلوات وكان للهيضم في تلك الناحية ضياع فوقف على نقص أكرته في العمارة فعرف بمدينتهم واهتمامهم إلى هذا الرجل فقبض عليه وحبسه في بيت وقفله ووضع مفتاحه تحت رأسه واشتغل بالشرب وكانت جارية الهيضم سمعته يحلف ليقتلنه (ليقتله) ورقت له فلما نام الهيضم أخذت المفتاح من تحت رأسه وفتحت الباب وأخرجته وأغلقت الباب كما كان وردت المفتاح إلى موضعه فلما أصبح الهيضم أخذ المفتاح يفتح الباب فلما يجده وشاع الخبر بذلك فتيقن الناس أنه قد رفع ثم ظهر لهم في موضع آخر بعد مدة فسألوه عن قضيته فقال (175) لا يمكن أحد ينالني بشر فعظم في أعينهم وخاف على نفسه وخرج إلى الشام ولم يعرف له خبر وقيل إن اسمه قرمط ولهذا سموا القرامطة ثم فشا القرامطة وكثروا بسواد الكوفة ووقف أحمد بن محمد الطائي على أمرهم فوصف على كل واحد منهم ديناراً.

وفي سنة تسع وسبعين ومايتي كانت وفاة المعتمد على الله وذلك لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رجب وكان سببه أنه شرب على الشط شرباً كثيراً فمات وكانت مدة خلافته ثلاث وعشرين سنة وثلاثة أيام ببغداد وحمل إلى سر من رأى ودفن بها وكان عمره خمسين سنة وصفته كان أسمر رقيق السمرة حسن الوجه كبير الهامة تام القامة طويل اللحية بجبهته أثر جدري وكان قد كثر الشيب في رأسه ولحيته.

وسيرته كان خليعاً محباً للهو والطرب مقبلاً على اللذات واستغل بذلك عن تدبير رعاياه والنظر في أمر مملكته فغلب على الأمر كله أخوه الموفق بالله وقام بتدبير المملكة أحسن قيام وبعده ولده المعتضد وقد ذكرنا ذلك ولم يكن للمعتمد معهما إلا مجرد اسم الخلافة ويقال أنه كان يستدعي الشيء فلا يجاب إليه فقال في ذلك شعراً.

أليس من العجايب أن مثلي يرى

ما قل ممتنعاً عليه.

ويؤخذ باسمه الدنيا جميعاً

وما من ذاك شيء في يديه.

ووزراءه عبد الله بن خاقان ثم سليمان بن وهب ثم الحسن بن مخلد ثلاث دفعات ثم ساعد بن مخلد ثم أبو الصقر بن إسمعيل بن مليك.

قضاته الحسن بن سهل بن أبي الشوارب ثم أخوه أحمد بن علي.

حجابه موسى بن نوغا ثم جعفر بن نوغا الحميسري.

نقش خاتمه السعيد من وعظ بغيره.

(176) قال المؤرخ خلافته انقضت لتمام مايتي ثمان وسبعين سنة وستة أشهر وثمانية عشر يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وثلثماية أربع وثمانين سنة وتسعة وأربعين يوماً شمسية للعالم.

والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في أيام المعتمد على الله أن باسيل ملك الروم مات في سنة تسع وخمسين ومايتي للهجرة وملك بعده ابنه لاون وكان حكيماً فيلسوفاً.

قال وفي السنة الثامنة من خلافة المعتمد وقيل السابعة وهي سنة ثلاث وستين ومايتي للهجرة قدم الأب ميخائيل بطريركاً على الإسكندرية للقبط اليعاقبة في أيام أحمد بن طولون أقام بطريركاً خمس وعشرين سنة وتنيح في حادي وعشرين امشير وقيل في العشرين من برمهات وصادره أحمد بن طولون في عشرين ألف دينار وأباع للمصادرة رباع الكنائس بالإسكندرية وأرض الحبش بمصر والكنيسة المجاورة للمعلقة بقصر الشمع بمدينة مصر لليهود وقرر الدياربة على كل نصراني قيراط في السنة وقام بالنصف من المقرر عليه ومات أحمد بن طولون قبل يأخذ النصف الأخير.

وفي بطريركيته قتل حمارويه بن أحمد بن طولون في سادس وعشرين طوبه سنة ستماية واثني عشر لدقلاديانوس ومات البطريرك وأقام الكرسي بغير بطرك أربع عشرة سنة.

السادس عشر من الخلفاء العباسيين وهو السابع والثلاثون المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة بن المتوكل.

وأمه ولد اسمها ضرار بويع له بالخلافة يوم توفي عمه المعتمد وذلك لإحدى عشرة ليلة عقبت من شهر رجب سنة (177) تسع وسبعين ومايتي للهجرة واستوزر عبد الله بن سليمان بن وهب.

وفي هذه السنة تزوج المعتضد قطر الندا ابنه حمارية ابن أحمد بن طولون صاحب مصر وكان من حديث ذلك أن حمدان وهو ابن حمدون بن الحارث العدوي التعلبي وكان أميراً من أمراء العرب بديار ربيعة وما والاها وكان له أولاد وهم الحسين وعبد الله وداود فوصل الحسين بن حمدان في هذه السنة إلى خدمة المعتضد بالله فجعله أمير العساكر واستمر في خدمته وكان حمدون أبوه بيده قلعة ماردين فاستوحش منه المعتضد فخرج من بغداد إلى الموصل فأخذ ماردين فلما علم حمدان مقصد المعتضد له ترك ولده بماردين وهرب إلى مكان يقال له الحسينية وهي قلعة عظيمة حصينة وبالقلعة رجل يقال له شداد في عشرة ألف رجل فنازل المعتضد بالله ماردين وحاصرها يوماً واحداً ثم أتى إلى باب القلعة بنفسه وصاح يا ابن حمدان فأجابه فقال افتح الباب ففتحه فقعد المعتضد في الباب وأمر بنقل ما في القلعة من أثاث وأموال ثم أمر فهدمت القلعة ثم بعث في طلب حمدان من الحسينية جماعة فهدموا القلعة وظفروا بحمدان فأتوا به إلى المعتضد ولما توفي المعتضد وولي ولده المكتفي اتصل بخدمته أبو الهيجة عبد الله بن حمدان وهو ولد سيف الدولة وذلك في سنة ثمانين ومايتي للهجرة وجعله رأس العساكر وسنذكر جميع أمورهم في مواضعه إن شاء الله تعالى.

وفي سنة اثنتين وثمانين ومايتي وصلت قطر الندا ابنة حمارويه بن أحمد بن طولون إلى بغداد ودخل بها المعتضد بالله لخمس بقين من شهر ربيع الآخر.

وفي هذه السنة كانت مقتل حمارية المذكور وذلك أنه وثب به بعض خواصه فذبحه في فراشه في ثلاث خلون

(178) من ذي الحجة فاقعد الجند بعده ولده جيش بن حمارية فوثب عليه جماعة من الجند وقالوا لا نرضى إلا بعمك فقتل عمه ورمى رأسه إليهم.

وفي سنة ثلاث وثمانين ومايتي وثب الجند على جيش بن حماروية فقتلوه فقتلوا أمه وانتهبوا داره وأخربوها وقام بالأمرة بمصر والشام بعده أخوه هرون بن حمارويه والتزم أن يحمل إلى أمير المؤمنين المعتضد بالله من مصر في كل سنة ألف ألف دينار.

وفي سنة ست وثمانين ومايتي نزل المعتضد بالله على آمد فحاصرها وفيها أحمد بن محمد بن شيح فأغلقوا أبوابها ومانعا ونصبوا عليها المناجنيق مدة وطلب أحمد الأمان منه فأمنه وخلع عليه وتسلمها المعتضد بالله.

قال وفي هذه السنة كتب هرون بن حمارية أمير مصر والشام إلى المعتضد بأن يتسلم أعمال قنسرين والعواصم وأن يحمل إليه في كل سنة أربعماية ألف دينار وخمسين ألف دينار ويسأل تجديد الولاية على مصر والشام فأجابه المعتضد إلى ذلك وبعث إليه العهد والخلع وتسلم بولاية الخليفة قنسرين والعواصم.

قال وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يقال له أبو سعيد الحماني واجتمع إليه خلق كثير واشتدت شوكته ونازل هجر وهي مدينة البحر ومنزل سلطانها فلما لم يقدر عليها نزل بالإحساء وبينهما ميلان ثم اقطع أراضي هجر والإحساء وحاصر أهل هجز حصاراً شديداً عشرين شهراً حتى أكلوا الكلاب الميتة ثم فتحها وقتل من فيها وأخذ ما بها من الأموال.

وفي سنة سبع وثمانين ومايتي للهجرة جهز المعتضد بالله العباس بن عمر لقتال القرمطي فالتقاه فأسره القرمطي ونحو من سبعماية رجل من أصحابه وقتل جماعة وهرب ولم يفلت منهم إلا االقليل.

(179) وفي سنة تسع وثمانين ومايتي توفي أمير المؤمنين المعتضد بالله ببغداد وذلك يوم الاثنين لسبع بقين من ربيع الآخر وقيل أنه مات من كثرة الجماع وقيل أن إسمعيل بن مليك سقاه سماً وصلى عليه أبو عمر القاضي وكانت مدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام وكان عمره ست وأربعين سنة.

صفته نحيف الجسم أسمر معتدل القامة قد وخطه الشيب خفيف العارضين في مقدم لحيته طول يخضب بالسواد.

سيرته ذكياً فطناً حسن السياسة جيد الرأي ثاقب الرأي سريع النهضة عند الحوادث منفرداً بالأمور بتجربة وحيلة فيقال أنه لم يكن في بني العباس مثله بعد منصور في حسن الاصطناع بتدبير المملكة والقيام بها ووضع عن الناس البقايا وأسقط المكوس التي كانت تؤخذ بالحرمين.

وقيل احتاج المعتضد في تجهيز جيش إلى مال عجز عنه بيت المال فأخبر أن في بغداد مجوسياً له مال عظيم فأحضره ليقترض منه مالاً فقال له مالي بين يديك فخذ منه مهما أردت فقال له المعتضد كيف وثقت أن أرد عليك

فقال له يا أمير المؤمنين الله تعالى أمنك على عباده وبلاده فتؤدي الأمانة وتحكم بالحق فأخافك على مالي قال فدمعت عينا المعتضد قال انصرف والله لا نقترض منك شيء ومتى كان لك حاجة فحاجتنا مرفوع لك.

وقيل كان سفاكاً للدماء والقتل على الذنب اليسير وكان إذا غضب على أحد من غلمانه حفر له حفرة ودلاه على رأسه فيها وضم بالتراب عليه.

وزراءه أبو الصقر بن إسمعيل بن مليك ثم قبض عليه واستوزر عبد الله بن سليمان بن وهب ثم أبو العاس أحمد بن محمد ثم أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز السلوى ثم يوسف بن يعقوب.

(180) حاجبه صالح.

نقش خاتمه الاضطرار يزيل الاختيار.

قال المؤرخ أن مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وتسعة وعشرين يوماً أولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم الاثنين لتتمة مايتين ثمان وثمانين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف ثلثماية ثلاث وتسعين سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام شمسية للعالم.

والذي ورد تواريخ النصارى أن زوجة لاون ملك الروم توفت في سنة إحدى وثمانين ومايتي للهجرة فأراد التزويج بغيرها فمنعه نيقولاوس بطريرك القسطنطينية وقال له إنك شماس إن تزوجت لا تعد تدخل الهيكل وقال لاون إنما أردت التويج ليكون لي ولد يرث الملك بعدي فلم يمكنه وكتب إلى البطاركة بجميع ممالك النصارى يعلمهم بذلك فورد الجواب بأن يتزوج فتزوج ورزق ولداً وسماه قسطنطين ونفى نيقولاوس بطريرك القسطنطينية وصير عوضه بطركاً.

قال وفي سنة اثنتي وثمانين ومايتي خرج حمارويه بن أحمد بن طولون من مصر إلى الشام فأقام بدمشق وبنى له قصراً تحت دير مسران على نهر لوزا وفيه قتل والذي تولى قتله ستة خدم وهم طاهر سابور لولو نطيق شفيع الرأي الداوادي وقتلت الخدم الستة وحملت رؤوسهم إلى مصر وصلبت أجسادهم بدمشق وحمل حمارويه إلى مصر ودفن في الجبل المقطم.

قال وفي سنة أربع وثمانين ومايتي ليلة الخميس ثامن وعشرين ربيع الأول حدث بمصر ريح شديدة صعبة هدمت المنازل وطرحت على الناس رملاً أحمر وكان يرى في السماء أربعة أعمدة نار فلم يزل هذا إلى الصباح ثم انكسرت الريح وصار الجو والأرض والأشجار وكلما يرى أحمر ثم صار أصفر إلى نصف النهار ثم صار أسود إلى نصف النهار الثاني ثم انحلت السواد.

(181) قال وفي سنة ست وثمانين ومايتي حدث في مصر رجفة يوم الأربعاء لسبع خلون من ذي القعدة من نصف الليل إلى الصباح واضطربت الكواكب التي يقال لها الشهب اضطراباً شديداً وكانت الشهب تنتقل شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ولم يكن لأحد طاقة أن ينظر إلى السماء لأجل ذلك.

السابع عشر من الخلفاء العباسيين وهو الثامن والثلاثون المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل.

وأمه أم ولد يقال لها خاضع وقيل جيحك بويع له بالخلافة يوم توفي والده لسبع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومايتي وهو يومئذ بالرقة فأخذ له وزيره القسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب البيعة ببغداد وبعث إلى المكتفي كتاباً بالتهنئة فقدم المكتفي بغداد في جمادى الأولى وجددت له البيعة واستوثق له الأمر وكان القسم بن عبد الله الوزير في حياة المعتضد قد عزم على صرف الخلافة من ولد المعتضد وكان بدير المعتضدي عالماً بذلك فخاف القسم منه أن يطلع المكتفي على ذلك فيقتله فعمل القسم في هلاك بدير وكان مقيماً في الجبل فسعى له في الوحشة بينه وبين المكتفي وحمله على أن يفسد أصحاب بدير عليه فبعث إليهم المكتفي مالاً كثيراً ففرق فيهم ففارق بدير منهم جماعة وتوجه بدير إلى واسط وخرج المكتفي إلى محاربته بعسكر سهر ديال وبعث القسم الحارم القاضي إلى بدير بكتاب أمان من المكتفي واطمأن بدير (182) وأمر غلمانه بنزع السلاح وتوجه سائراً إلى بغداد فبعث القسم من قتل بدير وأتاه برأسه وعاد المكتفي.

قال وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يقال له يحيى بن ركروبه بن مهرونه فانضمت إليه جماعة كبيرة فقصده شكر الديلمي وولى المكتفي بناحية الرصافة فقتله وأحرق مسجد الرصافة وصار هو وأصحابه إلى الشام ووالياها طغج بن حنف من قبل هرون بن حمارويه بن أحمد بن طولون فجهز إليه طغج جيوشاً فهزمهم في وقعات متعددة ثم حاصر دمشق فبعث هرون إلى طغج مدداً له بدر الكبير مولى بن طولون فأجمع هو وطغج على محاربة القرمطي فقاتلوه قريباً من دمشق فقتل يحيى القرمطي فولت القرامطة أميرهم أخاه الحسين بن زكرونه وعمره اثنتين وعشرين سنة وزعم أنه أحمد بن محمد بن إسمعيل بن جعفر الصادق وأظهر شامة في وجهه زعم أنها تشبه شامة أبيه وجاء إلى حمس وحاصرها وفتحها ثم مضى إلى دمشق فصالحه أهلها على مال حملوه إليه ثم عاد إلى حمص ثم إلى حماة والمعرة وقتل من أهل البلاد ما لا يحصى كثرة ثم عاد إلى بعلبك فقتل أكثر أهلها ثم سار إلى سلمية فحاربه أهلها ومانعوه ثم صالحوه فأعطاهم الأمان ففتحوا له أبوابها فدخلها وقتل جميع من بها حتى صبيان والبهائم وخرج بها عين بطرق ثم سار إلى القرى فقتل وسبى وأحرق وأخرب الشام جميعه.

وفي سنة تسعين ومايتي جهز المكتفي بالله الأعز لحرب القرمطي وكان الأعز وأصحابه قد نزلوا سيردون من الحسر ونزعوا ثيابهم فأدركوا المطوق قائد جيش القرمطي في عشرة ألف فقتل منهم خلقاً كثيراً وأفلت الأعز في نفر

يسير من أصحابه إلى حلب (183) ثم زحف المطوق إلى حلب فحاربه الأعز بمن بقي معه وبأهل البلد حتى ردوه وبلغ المكتفي ذلك فخرج إلى الرقة وسرح الجيوش لقتال القرمطي جيشاً بعد جيش.

وفي سنة إحدى وتسعين ومايتي كان وقعة بين أصحاب المكتفي والقرمطي فانهزم أصحاب القرمطي وأسر منهم جماعة كبيرة فحملوا إلى بغداد وقطعت أيديهم وأرجلهم ثم ضربت أعناقهم.

قال وفي سنة اثنتين وتسعين ومايتي قتل هرون بن حمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر فقام بالأمر بعده سنان بن أحمد بن طولون.

وفي هذه السنة سير المكتفي محمداً بن سليمان الكاتب في جيش كثيف إلى مصر ففتحها واحتوى على أموال بني طولون وأسباهم وبعث بذلك إلى المكتفي في صفر في هذه السنة.

قال وفي سنة ثلاث وتسعين ومايتي سير المكتفي فانك المعتضدي وبدير الحمامي إلى مصر لمحاربة محمد بن علي لحلمح الذي قد تغلب على مصر واستغوى جماعة وخرج على السلطان فكثر جمعة فكان بينهم حروب قتل فيها خلق كثير من أصحاب الحليح بالفسطاط وظفر به وحمل معه إلى المكتفي فقيدهم وحبسهم وولى المكتفي مراة مصر عيسى بن محمد البوسري.

وفي هذه السنة ظهر زكرونه بن مهرونه القرمطي والد ذي السياسة فانضمت إليه جماعة من العرب وسار بهم إلى بصرى وأدرعات فقتل أهلها واستصفى أموالهم وسار على دمشق وعاملها كيغلع من قبل المكتفي إلا أنه كان غائباً عنها بمصر لمحاربة الحليح المقدم ذكره وكان نائباً عنه بها صالح بن الفضل فقتلت القرامطة صالح وهزموه الجند بدمشق ولم يمكنهم أخذها لكثرة أهلها (184) فقصد زكرونه وأصحابه طبرية فلقيهم يوسف بن إبرهيم عامل الأردن فجهز لهم المكتفي جيشاً من العراق وجيشاً من الشام فهزموهم وأدخلوهم البرية وتبعوهم إلى موضع يعرف بالصوان فقاتلوهم فانهزم أصحاب المكتفي أقبح هزيمة واستباحت القرامطة عسكرهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً.

قال وفي سنة أربع وتسعين ومايتي أعرض زكرونه الحاج قتل الرجال وأسر النساء واستباح كلما كان في القافلة.

وانهض المكتفي بالله جماعة من القواد لحرب القرامطة فكان الظفر لأصحاب المكتفي وأستأسروا زكرونه وجماعة من أهل بيته واحتووا على جميع ما في عسكره وبعد خمسة أيام مات زكرونه لأن الذي استأسره ضربه على دماغه فمات من ذلك ورمى ما في باطنه وحمل إلى بغداد فأدخل وعلى رأسه الريش وامرأته بين يديه يومئذ والأسرى معهما ثم قتلوا عن اجرهم (آخرهم).

قال وفي سنة خمس وتسعين ومايتي توفي أمير المؤمنين المكتفي بالله ببغداد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة فكانت مدة خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوماً وكان عمره إحدى وثلاثين سنة وشهوراً.

صفته كان قصير أحسن الوجه رقيق السمرة أعين وافر اللحية.

سيرته حسن العقيدة كارهاً لسفك الدماء سمحاً فكانت أمواله جمة وعساكره كثيرة إليه وسلك طريق أبيه.

وكان المكتفي مائلاً إلى ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وزيره القسم بن عبد الله بن سليمان بن واهب ثم توفي فوزر له العباس بن الحسن بن ليوب.

قضاته أبو حارم يوسف بن يعقوب ثم أبو عمر ثم علي بن أبي الشوارب.

حاجبه حفيف السمرقندي.

نقش خاتمه بالله علي بن أحمد يثق.

(185) قال المؤرخ وكانت وفاته يوم السبت لتمام مايتي أربع وتسعين سنة وأحد عشر شهراً وثمانية أيام للهجرة ولتتمة ستة ألف وثلثماية تسع وتسعين سنة وأحد عشر شهراً وعشرين يوماً للعالم شمسية.

والذي ورد تواريخ النصارى أن مدينة صلوقيه من بلاد الروم فتحت في شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومايتي ودخلوا بالسبي إلى مصر في رجب من هذه السنة.

وفيها خرج بالمغرب رجل يقال له أبو عبد الله المحتسب فهزم جيوش ابن الأغلب وقتل أصحابه وملك المغرب وانهزم منه زيادة.

وفي هذه السنة بلغ نيل مصر ثلاثة عشرة ذراعاً وإصبعين لا غير وخرج الناس على اختلاف مذاهبهم واستسقوا ولم يزداد شيء عن ذلك.

الثامن عشر من الخلفاء العباسيين وهو التاسع والثلاثون المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل.

وأمه أم ولد يقال لها سعف بويع له بالخلافة ببغداد يوم توفي أخوه المكتفي لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومايتي وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة وشهوراً ولم يتولى الخلافة قبله من هو أصغر سناً منه.

وفي هذه السنة توفي المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي ملك الأندلس فبويع بالخلافة بعده ابنه عبد الله بن المنذر.

قال وفي سنة ست وتسعين ومايتي كان خلع المقتدر وتبعه عبد الله بن المعتز ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد يقال لها حبان وكان من حديث ذلك أن الجند وثبوا على العباس ابن (186) الحسن وزير المقتدر فقتلوه وأحضروا عبد الله بن المعتز فبايعوه بالخلافة بعد أن شرط عليهم أن لا يكون في ذلك حرب ولا سفك دم ولقبوه المرتضى بالله فلما بويع كتب إلى المقتدر بالله بلزوم دار ابن طاهر بوالدته وجواريه وخدمه وأمر ابن المعتز الحسين بن عمر صاحب الشرطة أن يصير إلى دار المقتدر فخرج إليهم الغلمان ورموهم بالنشاب وجرت بينهم حروب شديدة آخرها أن أصحاب المقتدر ظهروا عليهم وانهزم ابن المعتز وتفرقوا أصحابه واستتر ابن المعتز عند ابن الحصاص ولم يتم له الأمر غير يوم وليلة وعاد المقتدر بالله إلى خلافته وقتل ابن المعتز خنقاً وأظهروا أنه مات حتف أنفه وأخرج ميتاً من دار السلطان يوم الخميس ثاني ربيع الآخر وسلم إلى أهله ودفن بإزاء داره وعمره خمسين سنة وكانت البيعة يوم السبت لعشر بقين من ربيع الأول.

سيرته كان شاعراً فاضلاً فصيحاً وهو صاحب التشبيهات التي أبدع فيها ولم يتقدمه من سبق فيها عبارة ويقال أنه لما اختفى حين طلب للقتل رأى طائراً فقال

يا نفس صبراً لعل الخير عقباك

حابك من بعد طول الأمر

دنياك.

مرت بنا سحراً طيراً فقلت لها

طوباك

يا ليتني إياك طوباك

إن كان قصدك شرقاً فالسلام

علي

وادي الصراة أبلغي إن كان

مبراك

من موتق بالمنايا لا فكاك

له تبكي الدماء على ألف له

باكي

ورب امنة خانت شبيتها ورب

مطلقة من بين أشراك.

(187) أظنه أخر الأيام من عمري

وبوسك (يوشك) اليوم أن يبكي لي

الباكي

ولما قدموه لموضع قتله قال

فقل للشامتين بنا رويدا

أمامكم المصائب والخطوب.

ومن جملة شعر عبد الله بن المعتز البديع قوله في الخمر

معتقة ضاع المراح لرأسها أكاليل

در ما لمنظومه سلك

جرت حركات الريح فوق سكونها

فدابت كدوب التبر احلصه

السبك.

ولما قتل المعتز قتل معه وزيره داود بن الحراح وصودر بن الحصاص الذي ستره على جملة ستة عشر ألف ألف دينار.

قال وفي سنة سبع وتسعين ومايتي توفي عيسى بن محمد البوسري أمير مصر في عاشر شعبان فولى المقتدر بالله إمرة مصر يكين الحرري.

قال وفي سنة ثمان وتسعين ومايتي كان ابتداء الدولة الفاطمية كان أولهم محمد المهدي وكان ظهوره بسجلماسه من أعمال القيروان بالمغرب في هذه السنة وسلم عليه فيها أمير المؤمنين ثم مضى إلى رقاده وكان يزعم أنه من ولد علي بن أبي طالب ونسبه مطعون فيه وسيأتي ذكر هذا بعد إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة بنى المهدية واستقر بها وملك إفريقية وسقلية وأعمال المغرب وكان مولده بسلمية وقيل بالعراق سنة تسع وثمانين ومايتي ودخل إلى المغرب ودعى إلى نفسه وجرت له حروب كثيرة مع بني الأغلب إلى أن أخرجهم سنة اثنتي وثلثماية توفي فيها وصار الأمر إلى ابنه القائم ولما مات القائم ولي ابنه المنصور ومات المنصور وولى ابنه المعز لدين الله ففتح مصر واستولى عليها وهو اول خلفاء مصر الفاطميين وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

(188) قال وفي سنة ثلثماية توفي عبد الله بن عبد الله بن طاهر وكان أميراً جليلاً شجاعاً كريماً فصيحاً.

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي ملك الأندلس فبويع بالخلافة بعده أخوه الناصر لدين الله عبد الرحمن بن المنذر وهو أول من سلم عليه منهم بأمير المؤمنين ولم يبلغني خبر أحد منهم بعد عبد الرحمن وكان زوال دولتهم بعد سنة اربعماية للهجرة.

قال وفي سنة إحدى وثلثماية كان مقتل أبي سعيد الحماني القرمطي وكنا قد ذكرنا استيلاه على هجر ومحاربته لجيش المعتضد بالله وكسره لهم فلما كانت هذه السنة قتله خادم له وهو بالحمام فولت القرامطة أمرهم إلى سعيد ولده فقرض لحم الخادم الذي قتل أباه بالمقاريض حتى مات.

وفي سنة اثنتي وثلثماية قدم حباسه في جماعة من المغاربة إلى الإسكندرية فغلبوا عليها وشخص مونس الخادم من بغداد إلى مصر لمحاربة حباسه فانهزم هو وأصحابه وقتل من أصحاب المقتدر بالله سبعة ألف رجل ودخل من بقي من أصحاب المقتدر إلى الإسكندرية.

وفيها عزل مونس الخادم يكين عن إمرة مصر.

وفي سنة ثلاث وثلثماية قدم دكا الأعور إلى مصر والياً عليها من قبل المقتدر بالله عوض يكين الحرري.

قال وفي سنة تسع وثلثماية أمر المقتدر بالله بقتل الحسين بن منصور الحلاج فقتل وصلب ببغداد لأن الفقهاء أفتوا بقتله لأشياء سمعت منه منها قوله

مزجت روحك في روحي كمزج

الخمر بالماء الزلال

فمتى مسك شيء فإذا أنت أنا في

كل حال

سبحان من أظهر ناسوته سرسنا

لاهوته الباقب

(189) حتى بدا في خلقه ظاهراً في صورة

الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه كلطخة الحاجب

للحاجب

وقوله أيضاً

حبلت روحك في روحي كما

يحبل العنبر بالمسك الفيك

فإذا أمسك شيء فإذا أنت أنا لا

نفترق

فقلت ظاهر هذا الشعر يشعر بالحلول والاتحاد وإثبات وصف الإلهية للبشر لكن الله تعالى عالم بهذا الرجل فلعله قصد غير ما ظهر من لفظه. ويروى أنه لما قدم للقتل قال

نديمي غير منصوب إلى شيء من

الحيف

سقاني مثل ما يشرب فعل الضيف

بالضيف

فلما دارت الكاسات دعا بالنطع

والسيف

كذا من يشرب الراح مع التنين

في الصيف

قال وفي هذه السنة عزل يكين الحرري عن إمرة مصر وولى أبو فانس خمسة أيام ثم عزل ثم تولى يكين أياماً يسيرة ثم عزل ووليها هلال بن يزيد.

وفي سنة عشر وثلثماية توفي أبو جعفر محمد بن حرير بن مؤيد الطبري صاحب التاريخ وكان إماماً عالماً كبير القدر رحمه الله.

وفي سنة إحدى عشرة وثلثماية عزل المقتدر بالله هلال بن يزيد عن إمرة مصر وولاها أحمد بن كيغلغ ثم عزله وولى يكين الحرري ولم يزل والياً عليها إلى أن قتل المقتدر بالله.

وفي هذه السنة اشتدت شوكة أبي طاهر القرمطي فإن أبا سعيد أباه كان أوصى بأن يسلم الأمر إلى ابنه سعيد إلى أن يكبر أبو طاهر فدعا إلى نفسه فاجتمع إليه خلق كثير وفسوا محاريف اعتقدوها معجزات (190) فأوهم أنه يعلم الغيب ولما كثر جمعه قصد البصرة في ألف وسبع ماية ففتحها وقتل من ظفر به من أهلها وأحرق المسجد الجامع وأقام فيها سبعة عشر يوماً ثم رحل عنها بعد أن استصفى ما كان بها من الأموال.

وفي سنة اثنتي عشرة وثلثماية اعترض أبو طاهر القرمطي الحاج في رجوعهم بالنهر فقتل منهم مقتلة عظيمة وكان صاحب بدرفه الحاج الأمير أبو الهيجا عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة وكان عمل الموصل وديار ربيعة والدينور والجبال من بلاد فارس والكوفة إليه فتقاتلا قتالاً عظيماً فكانت الكسرة للقرامطة فأسروا أبا الهيجا وجماعة من أصحاب المقتدر واستولوا على أموال الحاج جميعاً وأسروا أكثر النساء والأطفال.

ثم سار أبو طاهر إلى هجر وترك باقي الحاج بغير زاد ولا راحلة فمات أكثر الحاج بالعطش والجفا وكان سن أبي طاهر يومئذ تسع عشرة سنة وحصل لأبي طاهر من الأموال ما يناهز ألف ألف دينار ومن الأمتعة والطيب مثلها وأستأسروا من الرجال ألفي ومايتي وعشرين رجلاً ومن النساء خمسين امرأة.

قال وفي هذه السنة أطلق أبو طاهر القرمطي الأمير أبا الهيجا عبد الله بن حمدان وجماعة من الأسرى وقدم رسوله إلى بغداد فسأل المقتدر الإفراج له عن البصرة والأهواز فلم يجب إلى ذلك وأكرم رسوله وأخلع عليه.

وفي سنة ثلاث عشرة وثلثماية قدم أبو طاهر القرمطي إلى الكوفة فنهب وقتل وسبى فكان من جماعة ما أخذ من الثياب الوسي أربعة ألف ثوب من الرتب ثلثماية راوية وأشياء لا تحصى.

وفي سنة أربع عشرة وثلثماية أخذت الروم ملطية عنوة فقتلوا أهلها وسبوا وأقاموا بها أياماً.

وفي سنة خمس عشرة وثلثماية كان ابتداء ظهور الديلم وكان أول (191) ملوكهم رجل اسمه وهشودان بن المرزبان وكان مقر ملكه شهرستان فلما مات ملك ابنه حسان وجرت له حروب مع الحسين بن علي الفاطمي الملقب بناصر الحق ثم وثب على حسان أخوه علي ابن وهشودان فقتله ثم وثب صهر لحسان يقال له محمد بن مسافر على علي بن وهشوادن فقتله قلما ملك حارت محمد بن مسافر قابل أخيه فقبل حر وفيروز وملك بعده ولده مهدي فقاتله محمد بن مسافر فهزمه واستولى محمد بن مسافر على ملك الديلم وأما مهدي فإنه التجأ إلى أسفار سيرته ثم خاف منه أسفار ثم غلب أسفار على قزوين وعسف أهلها عسفاً كثيراً وجرت له حروب مع القاسم ابن الحسين العلوي الداعي ومعه كان بن مالي ثم قصد أسفار جرجان فغلب عليها وجعل قائد جيشه رجلاً يقال له مرداويج بن رماز ابن مردان شاه فجرت بينه وبين الداعي العلوي حروب فقتل الداعي وقوي مرداويج وعظم أمره ثم جهز أسفار لمحاربته محمداً بن مسافر المقدم ذكره فحاصره مرداويج في قلعته مدة فبعث إليه محمد بن مسافر وهو محصور يشير إليه بأن يغلب على ملك أسفار فغلب واستولى على ما كان بيده وهو أعمال الري وقزوين وأبهر وجرجان وطبرستان ثم سار مرداويج إلى همدان ففتحها واستباح دماء أهلها وفروج نسائهم وقتل من كان بها فيقال إنه أمر بحمل من قتل بها في الديلم وكانت ثلاثين ألف نكبة وجاء الخبر بذلك إلى بغداد فجهز المقتدر بالله لقتاله جيشاً عظيماً مع هرون بن عرب فالتقيا بين همدان وقزوين فانهزم جيش المقتدر وكل ذلك في سنة تسع عشرة وثلثماية ثم غلب مرداويج على أصفهان ثم فسدت الحال بين مهكان بن مالي وبين مرادويج (192) بعد مهادنة كانت بينهما وجرى بينهما حروب وكان عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه يومئذ من جملة أصحاب مهكان وكانت تلك الحروب سنة إحدى وعشرين وثلثماية واثنتي وعشرين وكان الظفر فيها لمرداويج فملك آمد وطبرستان وعظمت مملكته وأقام بها مطهر أطاعه عامل الخليفة بخراسان ثم اتفق أن مهكان انهزم من مرداويج في بعض حروبه فانجاز عماد الدولة بن بويه إلى مردويج فأكرمه وولاه المرج أقام بها مدة على أجمل سيرة حتى قويت حاله ثم وقعت وحشة بينه وبين مرداويج بعد مدة فرحل بجيش كثيف إلى أصبهان فأخذها فبعث مردويج لحربه أخاه وسمكين ولم يكن لعماد الدولة بحربه طاقة فرحل عن أصبهان إلى أرجان فملكها وملك جميع فارس.

وهذه الحوادث وقع أكثرها بعد هذه السنة إنما ذكرناها لأجل سياقة الحديث لئلا ينتثر وسنذكر إن شاء الله بقية أخبار ملوكهم إلى نهايتها.

وفي هذه السنة سير المقتدر بالله يوسف بن أبي النباح إلى محاربة أبي طاهر بن أبي سعيد القرمطي فأسر يوسف وانهزم أصحابه وقتل منهم خلق كثير واستولى القرمطي على الكوفة وخاف أهل بغداد منه ولم يشكوا أن يقصدها ويملكها فأشار علي بن عيسى الوزير على المقتدر بإنفاق الأموال واستخدام العساكر فأنفق من بيت المال ثلثماية

ألف دينار وأخذ من والدته خمسماية ألف دينار وجهز لحرب القرمطي عشرة ألف فارس ثم عادوا من غير حرب وبلغ أبو طاهر الأنبار ثم عاد عنها فتصدق المقتدر والسيدة أمه وعلي بن عيسى الوزير بخمسين ألف دينار شكراً لله تعالى ثم قصد القرمطي هيت وعاد منصرفاً عنها فتصدق المقتدر بماية ألف درهم.

(193) قال وفي سنة ست عشرة وثلثماية هجم القرمطي الرحبه ووضع السيف في أهلها وطلب أهل قرقيسيا منه الأمان فأمنهم ثم عاد إلى مدينته هجر وبنى بها داراً سماها الهجرة وتسمى بالمهدي وعظم أمره وكثر تباعه.

وفي سنة سبع عشرة وثلثماية كان خلع المقتدر وتبعه القاهر بالله وذلك أن مونس الخادم مولى المعتضد الملقب بالمظفر نقل إليه أن المقتدر قد عزم على اعتقاله وكان هذا مونس مقدم جيش المقتدر وله مماليك كثيرة فلما بلغ المقتدر ما نقل إلى مونس حلف على بطلان ذلك وبقي في قلب مونس ما سمعه فلما كان يوم الجمعة رابع عشر المحرم وافى مونس دار الخلافة في اثني عشر فارساً ودخل على المقتدر وقبض عليه وعلى والدته وحملهما إلى داره ونهب الجند دار الخلافة فلما كانت ليلة السبت نصف المحرم أحضر محمداً ابن المعتضد بالله ولقب القاهر بالله وسلم عليه الجند بالخلافة واستوزر أبا علي بن مقله واستحجب باروك وقيل استحجب أبا الهيجا عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة ونهب دار المقتدر وأخذ لوالدته ستماية ألف دينار وخلع المقتدر نفسه من الخلافة وأشهد عليه بذلك ونفذت الكتب إلى الآفاق بخلافة القاهر فلما كان يوم الأحد ثاني يوم خلافته شعث الجند عليه يطلبون أرزاقهم وهجموا على باروك صاحب الشرطة فقتلوه ونادوا يا المقتدر يا منصور فانهزم الوزير بن مقله والحجاب والجسم وجاء المقتدر بالله فجلس وأحضر أخاه القاهر بالله وأجلسه بين يديه وقبل جبهته قال يا أخي لا ذنب لك فجعل القاهر يقول الله الله في نفسي يا أمير المؤمنين فحلف له المقتدر بالله لا جرى عليك مني سوء أبداً وعاد بن مقله فكتب إلى الآفاق بخلافة المقتدر.

(194) وفي هذه السنة قتل عبد الله بن حمدان رماه رجل من الجند بسهم فذبحه.

وفي هذه السنة هجم أبو طاهر القرمطي صاحب هجر مكة يوم التروية فقتل الحاج في المسجد الحرام وقلع الحجر الأسود وقلع قبة زمزم وغزا الكعبة ثم رجع إلى بلده ومعه الحجر الأسود فبقي الحجر الأسود في أيديهم اثنتي وعشرين سنة إلا شهراً ثم ردوه على يدين سير لخمس خلون من ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلثماية وكان يحكم قد بدل لهم في رده خمسة ألف دينار فلم يفعلوا وقالوا إنا أخذناه بلا أمر ولا نرده بأمر.

وفي هذه السنة فوض المقتدر بالله ديار بكر وآمد وميافارقين إلى ناصر الدولة أبي محمد بن أبي الهيجا بن حمدان وقرر عليه ما لا يحمله في كل سنة وقيل كان ذلك سنة ثمان عشرة وثلثماية.

قال وفي سنة عشرين وثلثماية كان مقتل المقتدر بالله وذلك أن المظفر مونس بلغه أن المقتدر قد دبر على حبسه وغضب وصعد إلى الموصل فملكها ثم جيش الجيوش وأقبل إلى بغداد فخرج المقتدر بالله لقتاله فوقع الحرب بينه وبين أصحاب مونس فاحتاط به جماعة من البربر فقتله رجل منهم وأخذ رأسه وسلبه ثيابه ومضى برأسه إلى مونس ومر بمقتدر رجل من الأكراد فستر سوته بخيش ثم حفر له ودفنه وكان مقتله في الساعة الرابعة من يوم الأربعاء لليلة بقيت من شوال فكانت خلافته أربع وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً من جملتها يومان وثلاثة ليالي خلع فيها مرتين الأولى نوبة بويع لابن المعتز والثانية نوبة القاهر وقد ذكرناهما وكان عمره ثمان وثلاثين سنة وشهراً وخمسة أيام.

صفته كان ربع القامة جميل الوجه أبيض بحمرة حسن الخلقة والعين مدور الوجه كثير الشيب في (195) رأسه ولحيته وكان كريماً كثير الصوم والصدقة ولي الخلافة وهو صغير السن فدبر الأمور الكبار والكتاب والأمراء والوزراء وغلب أمره النساء والجواري حتى أن جارية له كان اسمها يمك تجلس للمظالم ويحضرها القضاة والفقهاء.

وكانت في أيامه أمور لم يكن مثلها منها أنه ولي خمس وعشرين سنة لم يكن لمن قبله ومنها أنه استوزر اثني عشر وزيراً ومنها أن الحج بطل في أيامه من حين دخل أبو طاهر مكة وقلع الحجر الأسود.

ويقال إن المقتدر يرزق نيف وسبعين ألف ألف دينار وذلك أكثر مما جمعه الرشيد وبذل للناس من جواهر الخلافة ودخائرها ما لم تسمح به نفس أحد من الخلفاء ممن تقدمه وطمع فيه خزانه ففرق جواهر كثيرة وأكثر ذلك فرقه على الجواري وفرق من الطيب والغاليه نيف وستين حبا على الجواري وغيرهن.

وزراءه العباس بن الحسن وعلي بن الفرات ثلاث وقعات ومحمد بن عبد الله بن خاقان وعلي بن عيسى وقعتين وحامد بن العباس والقسم الخقاني وأحمد بن عبد الله بن سليمان بن وهب والفضل بن جعفر بن القران

قضاته يوسف بن يعقوب ثم ابنه محمد ثم عبد الله بن أبي الشوارب ثم ابنه محمد بن أحمد بن إسحق البهلول ثم عمر بن محمد بن يوسف ثم الحسن بن علي ثم عمر بن الحسن بن أبي الشوارب

حجابه سوس مولى المكتفي ونصر القسوري وياقوب المعتضدي وإبراهيم بن محمد بن رايق.

نقش خاتمه الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء.

قال المؤرخ وكان انقضاء مملكته لتتمة ثلثماية وتسع عشرة سنة وتسعة شهور وثمانية وعشرين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وأربع ماية وعشرين سنة وأربعة وستين يوماً شمسية للعالم.

(196) والذي ورد تواريخ النصارى في خلافة المقتدر بالله أن كنيستهم التي تسمى القمشا بالإسكندرية وهي الهيكل الذي بنته اكلا وبطره على امم رجل احترقت يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثلثماية للهجرة.

وفي سنة إحدى وثلثماية قدم البطرك ابنا غبريال في السنة السابعة من خلافة المقتدر أقام إحدى عشرة سنة وتنيح في حادي وعشرين امشير وقيل أنه أحدث الديارية على الرجال والنساء.

قال وفي سنة إحدى عشرة وثلثماية قدم قسما بطركاً لليعاقبة على الإسكندرية أقام اثنتي عشرة سنة ومات.

قال وفي سنة تسع وثلثماية مرض لاون ملك الروم وأشرف على الموت فأحضر نيقولاوس البطرك الذي كان نفاه عن كرسيه وأعاده إلى كرسيه وتحلل منه وعزل اوثيميوس الذي جعله عوضه فمضى إلى بعض الدياره أقام سنتين ومات وبعد ذلك مات لاون ملك الروم وملك بعده أخوه الاسكندروس على الروم سبع سنين ومات.

قال وفي هذه السنة ثار المسلمون بدمشق وأحرقوا كنيسة مريم وكانت كبيرة حسنة ونهبوا منها أواني ذهب وفضة ونحاس وآلات بجملة عظيمة ونهبوا دير النسا الذي إلى جانب الكنيسة وشعثوا كنائس اليعاقبة والنساطرة يوم السبت نصف رجب سنة اثنتي عشرة وثلثماية.

حاشية.

قال المؤرخ وقع مثال هذه الواقعة في أواخر رمضان سنة ثمان وخمسين وستماية عند هروب التتر من دمشق بعد كسرتهم بعين حالود في أيام الملك المظفر وقتل كيبوغا مقدمهم.

وفي سنة ثلاث عشرة وثلثماية كتب الوزير عبد الله بن محمد بن خاقان إلى علي بن عيسى وكان بمكة بأن يسير إلى مصر ويشكف (يكشف) أحوالها فدخل الفسطاط مستهل رجب سنة ثلاث عشرة وثلاثماية (197) فكشف أحوال البلد وأخذ الرهبان والأساقفة والضعفاء بأداء الجزية فأخذت منهم وخرج قوم من الديارات إلى العراق واستغاثوا إلى المقتدر بالله فكتب أن لا يؤخذ من الرهبان والأساقفة والضعفاء جزية ويجري على العهد الذي قرره صاحب الدعوة.

وفي هذه السنة ظهر بمصر كوكب عظيم له شعاع وشرار يتبعه شهاب كبير هائل بالجو شديد الحمرة وأخذ من جهة الشمال إلى نحو الشرق يكون تقدير طوله قريباً من ثلاثين رمحاً وعرضه قريباً من رمحين معوج كالحية وكان ذلك من غروب الشمس يوم الأربعاء لخمس بقين من جمادى الآخرة أقام ثلاث ساعات وانطفأ.

حاشية.

قال المؤرخ إن وقع مثل ذلك في أمر الكوكب الذي طلع في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستماية وظهر كوكب عظيم له شعاع وشرار يتبعه ثلاثة شهب وكان ذلك الرابعة من الليل وكان يضيء مثل النهار.

قال وفي سنة أربع عشرة وثلثماية مسك شيوخ الدروب فاعلاً في وسطه رجل عليه تكة حرير قيمتها عشرة دنانير فقرروه فأقر أنه جاسوس وأخبر أن العدو واصلين في ألف قطعة مقاتلة وللوقت أحضر النائب المهندسين فأشاروا بسد الأرمسية بين إسكندرية ودمياط ورشيد فعملت أبراج قائمة على بكرات حديد ترجف فعمل البرج الأول وشرعوا في الثاني وإذا الهواء رمي مركباً من مراكب الروم فطلع منه رجلان وأخبرا أن الملك سير بعض قرايبه جاسوساً إلى مصر من مدة سنة فعلم أنه ذلك الرجل الذي كان في الفاعل وذكر أن الهواء طلع على مراكب الروم وانكسر منها أكثر من ثلثماية قطعة وهلك كلمن فيها فرجع البقية إلى بلادهم واستمروا على الاهتمام بعمارة الأبراج فقوي الهواء على الأول فأفسخه (198) وأسقطه فبطلوا عمل الأبراج وكتب النائب بمصر إلى الشام ويستدعي الجيوش إلى مصر.

وفي سنة سبع عشرة وثلثماية وقع بمصر من الجراد ما لا يوصف كثرته حتى أنه منع شعاع الشمس أن تقع على الأرض وأكل الكروم والفواكه والغلال.

وفي سنة تسع عشرة وثلثماية مات الإسكندروس ملك الروم وملك بعده قسطنطين بن لاون وهو بن ثلاث وعشرة سنة وكانت أمه تدبر المملكة واسمها اوغسطه وسير ملك البرغر إلى قسطنطين ملك الروم يخطب أخته لابنه فلم يجبه إلى ذلك فوقع بين الروم وبين البرغر حروب كثيرة فنظر نيقولاوس البطرك أفصال الحروب وخاف أن يتفانوا فأشار أن يكون رمانس مقدم العسكر مع قسطنطين ملك الروم في تدبير المملكة وأن يتزوج قسطنطين ابنة رومانس ويكون آخر سطفورس معهم أيضاً في تدبير المملكة ففعلوا ذلك وأزوج رومانوس ابنته الأخرى أخت التي تزوجها قسطنطين ملك البرغر وهدئ الحرب بينهم.

التاسع عشر من الخلفاء وهو الأربعون القاهر بالله أبو المنصور محمد بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل.

وأمه أم ولد يقال لها فنون بويع له بالخلافة ببغداد لليلة بقيت من شوال سنة عشرين وثلثماية.

وفي سنة إحدى وعشرين وثلثماية قبض القاهر بالله على ابن أخيه أحمد بن المكتفي وأقيم في بيت وسد عليه بالأجر والجبس فمات غماً.

وفيها توفت أم المقتدر بالله وكان القاهر قد (199) طلبها بالأموال فلما تقر له إلا بماية ألف دينار فضربها بيده وعذبها بأنواع العذاب وعلقها منكسة حتى كان مجرى بولها على جميع جسدها وهي تقول له أنا أمك في كتاب الله وأنا خلصتك من ابني في الدفعة الأولى وتعاقبني هذه العقوبة ولم يبق عندي مال فأشهد عليها القاهر ببيع ملكها شاهدين ثم ماتت عقيب ذلك.

وفي هذه السنة قبض القاهر بالله على الأمير علي بن يليق ومونس المطفر فقتلهم لأنه بلغه عنهم تدبيرهم في القبض عليه.

وفي هذه السنة توفي يكين الحرري أمير مصر فولاها القاهر أبا بكر محمد بن طعج المعروف بالإخشيد ثم عزله وولاها أحمد بن كيغلغ.

قال وفي سنة اثنتي وعشرين وثلثماية كان خلع القاهر وذلك أن الجند شغبوا عليه وركبوا إلى داره فهجموا عليه من سائر الأبواب فهرب القاهر إلى سطح حمام واستتر فيه فطفروا به وقبضوا عليه وحبس ووكل به من يحفظه ونهبت بغداد يومئذ ولما كان يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى خلع من الخلافة وشملت عيناه فعمي وارتكب منه أمر عظيم لم يسمع بمثله فكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وسبعة أيام وبويع بالخلافة لأحمد بن المقتدر بالله ولقب الراضي بالله وأول من سلم عليه بالخلافة القاهر ولم يزل القاهر مقيماً في دار السلطان إلى أن أخرجه المتقي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلثماية ورده إلى داره وأقام مدة وخرج إلى الجامع يوم الجمعة وقام يعرف الناس بنفسه وطلب منهم صدقة فأقام إليه بن أبي موسى الهاشمي وأعطاه ألف درهم وحكى بعضهم قال كنت في جامع المنصور في يوم جمعة وإذا بإنسان عليه جبة عباني قد ذهب وجهها وبقيت بطانتها وبعض القطن (200) وهو يقول أيها الناس تصدقوا علي بالأمس كنت خليفتكم وأنا اليوم من فقرائكم قال وكانت وفاته في أيام المطيع لله ليلة الجمعة لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع ثلاثين وثلثماية ودفن في دار بن طاهر وكان عمره اثنتي وخمسين سنة.

وسيرته كان ظالماً سيء الرأي أهوج سفاكاً للدماء قبيح السياسة محباً لجمع المال.

وزراءه علي بن مقلة ثم محمد بن القسم بن عبد الله ثم أحمد بن عبد الله الحصني.

حجابه علي بن يليق ثم سلامة الطولوني.

قال المؤرخ مدة خلافته سنة واحدة وستة أشهر وخمسة أيام أولها يوم الخميس وآخرها يوم الأربعاء لتتمة ثلثماية وإحدى وعشرين سنة وماية وثلاثة وعشرين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وأربعماية وخمس وعشرين سنة ومايتي وثمانية وثلاثين يوماً شمسية للعالم.

(201) العشرون من الخلفاء العباسيين وهو الحادي والأربعين الراضي بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل.

وأمه أم ولد يقال لها طلوم بويع له بالخلافة في اليوم الذي خلع عمه القاهر ذلك لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتي وعشرين وثلثماية واستوزر أبا علي بن مقلة وأطلق كلمن كان في حبس القاهر.

قال وفي هذه السنة توفي المهدي أبو محمد عبد الله الفاطمي المتغلب بالقيروان وقد ذكرنا ابتداء أمره وكان وفاته لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول وكانت مدة خلافته أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام وعمره ثلاثين سنة ولما توفي المهدي بويع بالخلافة بالمهدية ولده القائم بأمر الله أبو عبد الله القسم بن المهدي وهو جد المعز لدين الله صاحب مصر.

(202) ابتداء دولة بني بويه.

كان بويه صياداً ضعيفاً من الديلم ويكنى أبا شجاع وتشبه (نسبه) مما ذكر ينتهي إلى سابور ذي الأكتاف الملقب كرمان شاه بن سابور بن اردشير ملك الفرس وبين بويه هذا وبين حيورمرت الذي هو عند الفرس آدم عليه السلام تسعة وتسعين جيلاً وكان لبويه ثلاث أولاد أبو الحسن علي وأبو علي الحسن وأبو الحسن أحمد فخدموا أجناداً وترقت حالهم إلى ما كان وكنا ذكرنا مردوايج ملك الديلم وما انتهى إليه أمره وانضمام عماد الدولة أبي الحسن علي بن بويه إليه ثم خروجه بعد ذلك عليه ثم أن عماد الدولة بعد ذلك ملك همدان وأصبهان وقوي أمره ثم سار إلى كازرون بلد سابور فملكها وقوي أمره وقويت شوكته وكنا قد ذكرنا في سنة خمس عشرة وثلثماية مسيره وسمكين أخي مردوايج إلى أصفهان وترحيله عماد الدولة بن بويه عنها وبعد ذلك ورد كتاب من القاهر بتقليد مردويج على الري ومرقب وزنجان وأبهر على أن يفرح له عن أصبهان فأجاب إلى ذلك مردويج وأمر أخاه بالرحيل عن أصبهان فبينما مردوايج على ذلك إذ ورد عليه الخبر بخلع القاهر وخلافة الراضي فرد أخاه إلى أصفهان وجهز أخاه وسمكين إلى الري والأهواز وفارس ثم أنه عزم على مناجزة عماد الدولة بن بويه فرأى قومه وكثرة جيوشه فأحجم عن ذلك وصالحه على أنه يخطب له جميع أعماله بشرط أنه يسير إليه رهينة تكون عنده.

قال وفي سنة ثلاث وعشرين وثلثماية كان مقتل مردوايج ملك الديلم وذلك أنه وثب عليه جماعة من غلمانه في الحمام فقتلوه على غفلة من أهله ثم هربوا فلم يطفروا بهم وخلص الله المسلمين من مرداويج لأنه كان ظالماً شجاعاً مقداماً سميحاً (203) للحرمات مبطناً لمذهب المجوس كما ذكروا والله أعلم.

قال وفي هذه السنة خرج أبو طاهر القرمطي صاحب هجر على الحاج فقتل منهم مقتلة عظيمة ونهبهم وعاد سالماً.

وفي هذه السنة سلم الأمير ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان إلى أخيه سيف الدولة أبو الحسن على ميافارقين وديار بكر.

وفي هذه السنة قدم الإخشيد بن طعج إلى مصر وكان مغلباً على الشام فدخلها في رمضان وغلب عليها واجتمعت له مصر والشام.

قال وفي سنة أربع وعشرين وثلثماية استدعى الراضي بالله الأمير محمداً بن رايق الذي كان بواسط مغلباً عليها لأن الضرورات ألجأته إلى ذلك لاضطراب الأمر عليه ولضعف من يلي الوزارة عن القيام بها فقدم بن رايق بغداد وجعله الراضي بالله أمير الأمراء وفوض عليه تدبير المملكة وأمر أن يخطب له على المنابر وخلع عليه وأعطاه اللواء وكان قدومه لخمس بقين من ذي الحجة واستكتب أحمد بن علي ونظر فيما كان الوزراء ينظرون فيه ومن ذلك اليوم بطل أمر الوزارة ببغداد ولم يبق إلا اسمها والحكم للأمراء المتغلبين وبقي الأمر كذاك إلى أن انقرضت الدولتان البويهية والسلجوقية ببغداد.

ودخلت سنة خمس وعشرين وثلثماية والدنيا في يد المتغلبين وهم ملوك الأرض وكل من في يده بلد ملكه ومنع عنه.

البصرة وواسط والأهواز في يد أبي عبد الله البريدي وأخوته وفارس في يد عماد الدولة بن بويه الديلمي ووسمكين أخي مردويج والموصل وديار ربيعة وديار بكر في يد بني حمدان ومصر والشام في يد الإخشيد محمد بن طعج والمغرب وإفريقية في يد القائم بن المهدي (204) والأندلس في يد بني أمية وخراسان في يد نصر بن أحمد الساماني واليمامة والبحرين وهجر في يد طاهر القرمطي وطرسبتان وجرجان في يد الديلم ولم يبق في يد الخليفة وابن رايق غير بغداد وبطلت دواوين المملكة بالحصر ونقص لذلك قدر الخلافة وضعف ملكها وعمر الخراب لذلك وصارت الأموال تحمل إلى خزائن الأمراء فيأمرون فيها ويطلقون النفقات السلطانية على حكم اختيارهم وعطلت بيوت الأموال.

وفي هذه السنة انحدر الراضي إلى واسط وتبعه الأمير محمد بن رايق لقتال أبي عبد الله البريدي ثم وقع الصلح بينهما على ثلثماية ألف وستين ألف دينار يحملها في كل شهر ثلاثين ألف دينار وأن يسلم الجيش الذي معه إلى من يؤمر بتسليمه إليه ثم عاد الراضي وبن رايق إلى بغداد ثم توجه إبو عبد الله البريدي إلى البصرة فملكها واستولى عليها.

وفي هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطي إلى الكوفة ووقع الاتفاق بينه وبين رايق على أن يحمل إلى القرمطي كل سنة من بغداد ماية وعشرين ألف دينار.

وفيها سير أبو بكر بن رايق يحكم التركي في جيش كثيف لقتال البريدي فهرب البريدي واستولى بن رايق على البصرة والأهواز فصار البريدي إلى عماد الدولة مستصرخاً فبعث معه عماد الدولة أخاه معين الدولة أحمد بن بويه لفتح الأهواز فحصنها بن رايق وضمها ليحكم بشرط أن يحمل إليه كل سنة ثمانية وثلاثين ألف دينار.

وفي سنة ست وعشرين وثلثماية غلب الأمير معين الدولة بن بويه على الأهواز وبقيت البصرة بيد البريدي واستقر يحكم بواسط وجمع بن رايق أطرافه ببغداد.

(205) وفي هذه السنة أمر الراضي بقطع يد الوزير أبي علي بن مقلة ولسانه وسببه أنه راسل الراضي على القبض على بن رايق واستدعى يحكم التركي فأحضرت القضاة واستفتوا فيه فأفتوا بقطع يده لسعيه في الفساد في الأرض فقطعت يده اليمنى وبعد أيام قطع لسانه وبقي مدة طويلة معتقلاً في موضع غامض في دار السلطان ويقال أنه لحقه ذرب ولا خادم له وكان يستقي الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفمه ومات في شوال سنة تسع وعشرين وثلثماية ودفن في دار السلطان ثم نبش ودفع إلى أهله فدفنه ابنه أبو الحسن في داره ثم نبشته زوجته ودفنته في دارها فدفن ثلاث دفعات بعد موته.

ويقال أنه ضرب بن مقلة ابن سيبود القاري سبع درر في أيام وزارته لأجل قراءة أنكرت عليه فدعا عليه بقطع اليد وكان كذلك ويقال أنه لما قطعت يده قال يد خدمت بها الخلفاء ثلاث مرات وكتبت بها القرآن تقطع كما تقطع يد اللصوص وابن مقلة هذا هو صاحب الخط المشهور وهو أول من نقل الخط الكوفي المولد الطريقة العربية الحسنة ومعانيها وجاء بعده ابن البواب فزاد في تعريبه وبلغ الغاية فيه ولأبي علي بن مقلة شعر جيد من جملته.

إذا أتى الموت لميقاته فعد عن قول

الأطباء

وإن مضى من أنت صب به فالصبر

من فعل الألباء

ما مر بشيء من بني آدم أمر من فقد

الأحباء

وفي هذه السنة قصد يحكم التركي بغداد فقاتله أبو بكر بن محمد بن رايق وانهزم بن رايق وأخذ يحكم بغداد وكانت مدة إمارة بن رايق سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً ولما دخل يحكم بغداد خلع عليه الراضي (206) وسماه أمير

الأمراء واستمر له الأمر واستكتب يحكم محمد بن يحيى بن شيرزاد تدبير الأحوال فقام مقام الوزراء من غير تسمية الوزارة.

قال وفي هذه السنة كانت هدية بين المسلمين والروم وحصلت المفاداة فخاص من الفريقين خلق عظيم من الأسر.

وفي سنة سبع وعشرين وثلثماية خرج الراضي والأمير يحكم وأصحابه واقتتل هو وناصر الدولة فانهزم ناصر الدولة وتبعه يحكم إلى الموصل ثم بلغ نصيبين ومضى ناصر الدولة على وجهه إلى آمد وسار الراضي حتى وصل الموصل ونزلها فظهر بو بكر بن رايق ببغداد وكان مستتراً بها فصالح يحكم ناصر الدولة بن حمدان على أن يحمل إليه ناصر الدولة خمسماية ألف دينار وعاد الراضي ويحكم إلى بغداد وجرى بينهم وبين بن رايق مراسلات آخرها أن الصلح وقع على أن يعطي بن رايق طريق الفرات وجند قنسرين والعواصم.

وفي هذه السنة حج الناس من طريق الفرات وكان الحج قد بطل بسبب القرامطة من سنة تسع عشرة وثلثماية فنزل أبو طاهر القرمطي في هذا السنة بدرفه الحاج على خمسة وعشرين ألف دينار فأجيب إلى ذلك.

وفي سنة ثمان وعشرين وثلثماية سار الأمير الإخشيد أبو بكر بن رايق إلى حمص فملكها ثم إلى دمشق ثم إلى الرملة ثم إلى عريش مصر فلقيه الأمير الإخشيد محمد بن طغج صاحب مصر والشام فتحاربوا يوم الأربعاء نصف رمضان فانهزم الإخشيد واشتغل الناس في النهب فخرج عليهم كمين الإخشيد فأوقع بينهم وهزمهم وقتل منهم جماعة وأفلت بن رايق في سبعين رجلاً وصار إلى دمشق وكانت وقعة بين بن رايق وبين أبي نصر أخي الإخشيد باللجون في ذي القعدة فانهزم أبو نصر وقتل أكثر أصحابه (207) ثم وقع الصلح بين بن رايق والإخشيد على أن يسلم بن رايق الإخشيد الرملة ويكون باقي الشام لابن رايق ويحمل إليه الإخشيد كل سنة ماية ألف وأربعين ألف دينار.

وفي سنة تسع وعشرين وثلثماية توفي الراضي بالله بعلة الاستسقاء وكان أقوى سبب علته كثرة النكاح وكانت وفاته ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول فكانت مدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وكان عمره اثني وثلاثين سنة وشهوراً.

سيرته سمحاً جواداً ديناً شاعراً كثير الفصاحة يحب معادتة العلماء ومخالطتهم ذا فضائل جمة ومن جملة شعره

لا تعد لي كرمي على الأشراف ربح

المحامد متجر الأشراف

أجرى كأني للخلائق سابقاً

وأشيد ما قد وثقوا الأسلاف

إني من القوم الذين ألفهم معتاده

الإيلاف والإخلاف

ومن شعره أيضاً وهو معنى بديع إلى الغاية

يصفر وجهي إذا تأمله طرفي فيحمر

خده خجلاً

حتى كان الذي بوجنته من دم

جسمي إليه قد نقلا

وكان أولياءه مستندين بأمور المملكة وهو يضرب بينهم بسهم وختم الراضي الخلفا في أمور عدة منها أنه آخر خليفة له شعر مدون وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة وآخر خليفة جالس الجلساء ونادم الندماء وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وخدمه ومطابخه على ترتيب الخلفاء المتقدمين واعلم أن من ولي الخلافة بعد الراضي إلى زمن المقتفي لم يكن لهم بالعراق وغيرها إلا مجرد الاسم والتدبير للملوك المتغلبين.

ووزراءه أبو علي بن مقلة ثم قبض عليه وفعل به ما تقدم (208) ذكره وتغلب بن رايق ثم يحكم التركي وصار إليهما تدبير الملك وبطلت الوزارة ولم يبق إلا اسمها من يومئذ

حجابه محمد بن ياقوت ثم دكا مولاه.

قال المؤرخ مدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام أولها يوم الخميس وآخرها يوم السبت لتتمة ثلثماية وثمان وعشرين سنة وخمسة وسبعين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وأربعماية اثني وثلثين سنة وماية وثلاثة عشر يوماً شمسية للعالم.

والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في أيام الراضي أنه حدث في مصر زلزلة عظيمة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة وفي هذا اليوم اضطربت الكواكب التي تسمى الشهب اضطراباً شديداً من نصف الليل إلى الصباح.

حاشية

وقع مثل ذلك في مملكة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل يذكر في موضعه بعد ذلك.

قال وفي سنة ثلاث وعشرين وثلثماية في خلافة الراضي بالله قدم لليعاقبة بطرك على الإسكندرية يسمى مقاري أقام عشرين سنة وتنيح.

وفي سنة خمس وعشرين وثلثماية ثار المسلمون ببيت المقدس ودخلوا كنيسة القيامة وأحرقوها وأخربوا ونهبوا ما قدروا عليه.

وفي سنة ثمان وعشرين وثلثماية مات سعيد بن بطريق صاحب التاريخ وكان بطرك الملكية على الإسكندرية يوم الاثنين سلخ رجب منها أقام في البطركية سبع سنين وستة أشهر وكان في أيامه شقاق كثيرة وشر متصل بينه وبين شعبه وأدى ذلك إلى أن سير محمد بن طغج صاحب مصر قائداً من قواده يكنى بأبي الحسن وضم إليه جماعة من الجند إلى مدينة تنيس فختم على كنائسهم وما بها من الآلات والضياعات كانت كثيراً جداً (209) حتى إن ذهبها وفضتها وزنت بالقبان لكثرتها وعبأ القائد جميعها في الأقفاص وتوجه بها إلى مصر إلى الإخشيد فمضى أسقف تنيس إلى جماعة الكتاب فتوسطوا الحال مع الإخشيد على خمسة ألف دينار ويعاد إليهم موجودهم فأجاب إلى ذلك وأباعوا من الوقوف والعقارات التي للكنائس بقيمة المبلغ وحملوه إليه وبلغ الإخشيد أن الأسقف أباع الأملاك بدون قيمتها وكان ظالماً فأرسل إلى تنيس وطالب المشترين بتفاوت الثمن وأخذ منهم جملة أخرى فلما علموا أن شقاقهم أوجب هذا اصطلحوا واجتمعوا في كنيسة واحدة.

وفي هذه السنة ثار المسلمون بعسقلان على كنيسة بها كبيرة تعرف بكنيسة مريم الخضرا فهدموها ونهبوا جميع ما فيها وعاضدوهم اليهود على ذلك وكان اليهود على ذلك وكان اليهود يشعلون النار في الأحطاب ويجرونها بالبكرات إلى السقوف حتى احترقت جميعها وهرب الأسقف إلى الرملة وأقام بها إلى أن مات.

الحادي والعشرين من الخلفاء العباسيين وهو الثاني والأربعون المقتفي بالله أبو إسحق إبرهيم بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل.

وأمه أم ولد يقال لها حلوت بويع بالخلافة يوم توفي أخوه الراضي بالله لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثماية وتدبير المملكة يومئذ ليحكم التركي وليس للمقتفي إلا اسم الخلافة.

وفي هذه السنة خرج يحكم إلى الصيد فلقي قوماً من الأكراد ماشيين (210) فشره إلى أموالهم مستهيناً بهم وكانوا في عدد يسير فهربوا بين يديه فتبعهم فدار رجل من خلف فطعنه بالرمح ولا يعرفه فقتله وذلك لسبع بقين من شهر رجب فكانت مدة إمارته سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام ولما توفي يحكم فوض المقتفي تدبير المملكة إلى كوتلين ثم كتب المقتفي إلى أبي بكر بن رايق وهو بالشام يستدعيه فقدم إلى بغداد وفوض إليه تدبير المملكة وكانت مدة إمارة كوتلين ثمانين يوماً.

وفي سنة ثلاثين وثلثماية عزم البريديون على قصد دار الخلافة والاستيلاء على بغداد وهؤلاء قوم كان أبوهم صاحب البريد وقد تقدم ذكر أبي عبد الله البريدي الذي تغلب على البصرة والأهواز في خلافة الراضي فخاف منهم المقتفي وخرج هارباً إلى الموصل فتلقاه الأمير سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان إلى تكريت وكان مع المقتفي أبو بكر بن رايق وأبو الحسن بن علي بن مقلة فحملهم سيف الدولة إلى الموصل وخدمهم وأهدى لهم الألطاف والأموال والدواب وقام ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الله بن حمدان لخدمة المقتفي بالله أحسن قيام ولقبه المقتفي ناصر الدولة ولم يكن لقبه قبل ذلك فقال بعض الشعراء

من كان شرفه فيما مضى لقباء

فناصر الدولة ممن شرف اللقباء

دعوك ناصرهم لما نصرتهم

وأعجز العجم ما حاولت والغرباء

ثم بعث ناصر الدولة أخاه أبا الحسن علي إلى البريديين فهزمهم عن بغداد ففتحها ثم خرج إليهم وقد جمعوا جمعاً عظيماً فقاتلهم وكسرهم وهزمهم أقبح هزيمة وأسر منهم ما ينيف عن ألفين من الديلم فأحسن إليهم وبعث بهم إلى أخيه ناصر الدولة ..... علي (211) أبي بكر بن رايق فقتله واعتذر إلى المقتفي أنني ما قتلته إلا لما علمت أنه لا يبقي عليك فقبل عذره وعاد المقتفي إلى بغداد ومعه الأمير ناصر الدولة بن حمدان وقد فوض إليه تدبير المملكة وعاد أبو الحسن علي منصوراً فلقبه المقتفي سيف الدولة فقال بعض الشعراء

إن الخليفة لم يسمك سيفه حتى بلاك

فكنت حد الصارم

فإذا سوح كنت درة تاجه وإذا

تختم كنت فص الخاتم

وفي هذه السنة أزوج المقتفي ولده المنصور لابنة ناصر الدولة بن حمدان على صداق ماية ألف دينار وخمسماية ألف درهم فتمكن ناصر الدولة لذلك وضيق على المقتفي في نفقاته وانتزع ضياعه وضياع والدته وصارت أمور الخلافة فيها إليه فعظم ذلك على الأتراك وتنكروا له ووقعت بينهم وبين ناصر الدولة وحشة عظيمة.

وفي سنة اثنين وثلاثين وثلثماية رحل ناصر الدولة وأخوه سيف الدولة من بغداد إلى الموصل وغلب على الأمر ببغداد بوزون التركي وفوض إليه المقتفي تدبير الممالك وسماه أمير الأمراء.

قال وفي هذه السنة كانت وفاة أبي طاهر القرمطي وخلف ثلاثة أخوة أبا القاسم سعيد وهو كبيرهم بعد أبي طاهر وأبا العباس وكان ضعيف البدن كثير الأمراض وأبا يعقوب يوسف وكان مقبلاً على اللعب إلا أنهم كانوا على كلمة واحدة وكان لأبي طاهر وزير من بني شنبر ثم من بعده وزر لأخوة الثلاثة سبعة من بني شنبر كلهم على تدبير دعوتهم.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلثماية خلع المقتفي لأنه كان فوض تدبير الممالك لبوزون التركي (212) ثم وقعت بينه وبين المقتفي وحشة فخرج المقتفي من بغداد إلى الموصل مغاضباً له وطالباً من الأنصار نصرته عليه واستدعى بني حمدان من أماكنهم لحرب بوزون فاجتمعوا وجيشوا الجيوش وقصدوا بغداد وخرج بوزون التركي والتقى بني حمدان فانهزم بنوا حمدان وانكسروا وأخذ ناصر الدولة وسيف الدولة المقتفي معهم إلى الموصل فأقام معهما وخلع عليهما ثم عاد المقتفي إلى الرقة وكاتبه بوزون في العود إلى بغداد فامتنع ثم ظهر له من بني حمدان تضجر منه فبعث إلى بوزون يطلب الصلح فقابله بوزون بأتم رغبة فبعث المقتفي من يستخلفه وقدم الإخشيد صاحب مصر في المحرم من هذه السنة إلى الرقة وسأل المقتفي أن يسير معه إلى مصر فأبى فأشار عليه بالمقام مكانه ويمده بالمال فأتى إلى بغداد فاستقبله بوزون وقبل الأرض بين يديه وركب وسار معه ونزل هو وحريمه في مضارب بوزون وأنفذ بوزون فأحضر عبد الله المكتفي فبايع له بالخلافة ولقبه المكتفي بالله وسلم له ابن عمه المقتفي فأخرجه وشمل عينيه وشهد على نفسه بالخلع وذلك يوم السبت لعشر بقين من صفر فكانت مدة خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً ولم يزل باقياً إلى شعبان سنة سبع وخمسين وثلثماية توفي فيها وعمره ستين سنة.

سيرته كان رجلاً صالحاً إلا أنه كان مغلوباً على أمره من أول دولته استبدا الأمراء بتدير الخليفة وغلبوا على الأمر كله ولم يبق للخليفة إلا الاسم ونقش اسمه على الدراهم والدنانير والدعاء على المنابر وكل أقليم فيه ملك يستند بتدبيره.

حجابه سلامه (213) مولى حماروية ثم بدر الجرسني ثم أحمد بن خاقان.

قال المؤرخ أن انقضاء خلافته كان يوم السبت لتتمة ثلثماية اثنتي وثلاثين سنة وخمسين يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وأربعماية ست وثلاثين سنة وخمسة وأربعين يوماً شمسية للعالم.

والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في أيامه من جملتها ما حدث في شهور سنة تسع وعشرين وثلثماية من الغلاء إلى أن عدم الناس القوت جملة ولحق الناس من الجوع شدائد عظيمة وتبعه وباء ولم يزل الأمر كذلك إلى أن دخلت سنة ثلاثين وثلثماية.

قال وحدث أيضاً ببغداد مثل ذلك وأكل الناس بها النخالة والحشائش وكثر الموت وصار يدفن جماعة في قبر واحد بغير صلاة ولا غسل ورخص العقار والقماش حتى ابتاع ما قيمته دينار بدرهم واحد.

وفي هذه السنة وهي سنة تسع وعشرين وثلثماية غزا الروس القسطنطينية وقاتلهم الروم وطردوهم وانهزموا إلى بلادهم.

وفي سنة إحدى وثلاثين وثلثماية وافت جيوش الروم إلى ديار بكر وأخربوا وأحرقوا وقتلوا وسبوا خلقاً كثيراً وفتحوا ارزن ودارا وأحرقوا عامة بلادها وبلغوا نصيبين والتمسوا من الرها المنديل الذي كان السيد المسيح مسح بها وجهه الكريم وسيره إلى الأبجر ملك الرها الأسود وبدل الروم لهم بها إطلاق جميع الأسرى المسلمين الذي في أيديهم وكاتبوا المقتفي في ذلك فأمر الوزير أن يجمع القضاة ووجوه الدولة ويسمع ما عندهم في ذلك فمنهم من قال إن أعطاه للروم عصاصة في حق الإسلام فمنهم من قال إن استنفاد المسلمين الأسرى من يد الروم بهذا المنديل مصلحة فاتفق رأيهم على إعطائهم المنديل وخلاص الأسرى ففعلوا ذلك (214) فأخذ الروم المنديل وأطلقوا جميع الأسرى المسلمين وكانوا خلقاً كثيراً وحملوا الروم المنديل إلى القسطنطينية ودخلوا به إليها في اليوم الخامس عشر من آب وخرج البطرك والملوك والبطاريق والكهنة واستقبلوه بالأناجيل والشموع وجعلوه في الكنيسة العظمى اجيا صافياً وهو إلى الآن بها.

وفي سنة اثني وثلاثين وثلثماية خرجت الروم دفعة أخرى ودخلوا رأس العين يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول من هذه السنة وأقاموا بها يومين وقتلوا ونهبوا وسبوا منها ألف نفس وانصرفوا إلى بلادهم.

الثاني والعشرين من الخلفاء العباسيين وهو الثالث والأربعين المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بن المعتضد بن الموفق.

أمه أم ولد يقال لها غصن بويع له بالخلافة يوم خلع بن عمه المقتفي وذلك يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثماية للهجرة ولما ولي الخلافة خلع على بوزون التركي وفوض إليه تدبير الممالك ولقب المستكفي نفسه إمام الحق وضرب ذلك على الدنانير والدراهم وخطب له على المنابر.

وفي هذه السنة سار الأمير سيف الدولة علي بن حمدان إلى حلب فملكها في شهر ربيع الأول وكان متوليها رجل يقال له بانس المونسي من قبل الإخشيد محمد بن طغج صاحب مصر والشام ولما ملك سيف الدولة .....

بابرهيم العقلي في جماعة من أصحابه فأدركوه في قرية تسمى بداريج بين سرمين والمعرة ونهبوا عياله وكلمن معه وهرب بنفسه.

(215) وكان سيف الدولة قبل تملكه حلب بيده ميافارقين وديار بكر أنعم عليه بذلك ناصر الدولة أخوه في سنة ثلاث وعشرين وثلثماية وقد ذكرناه أولاً.

ثم إن سيف الدولة سار إلى دمشق وهي بيد نواب الإخشيد فملكها واستولى عليها وركب يوماً إلى الغوطة ومعه الشريف العفيفي يسايره فقال سيف الدولة للشريف ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد فقال له الشريف العفيفي إنها لأقوام كثيرة فقال سيف الدولة إن أخذتها النواب واستولى عليها الدواوين لتبرز عنها أهلها وأسرها الشريف العفيفي في نفسه وعرف بها أهل دمشق فكاتبوا الإخشيد ليأتي إليهم فسار من مصر في جيش عظيم وعلى تقدمته كافور الإخشيدي فوافى كافور دمشق وخرج سيف الدولة للقائه وخيم كل واحد منهم بإزاء صاحبه وجاء يوم الجمعة فقال أصحاب سيف الدولة هذا يوم لا يحل فيه القتال وتفرقوا في الضياع يطلبون العلوفة لدوابهم فخلا معسكر سيف الدولة من أكثر أصحابه وعلم كافور بذلك فركب للبس سيف الدولة فلم يشعر سيف الدولة إلا واوايل العسكر المصري قد خالطه فركب في عسكر قليل من أصحابه فانهزم أقبح هزيمة واستولى كافور الإخشيدي على جميع أثقاله وأمواله ووصل سيف الدولة إلى حمص فنزلها وتبعه كافور الإخشيدي بالجيوش فرحل سيف الدولة إلى الرستن وعبر صوب حماة وتبعه كافور إلى الرستن فرجع سيف الدولة إليه ليقاتله فالتقوا عند عقبة الرستن فانهزم كافور الإخشيدي وازدحم أصحابه على جسر الرستن فسقط منهم جماعة في النهر المعروف بالعاصي فغرقوا وأسر منهم سيف الدولة نحو من أربعة ألف نفس واحتوى على جميع (216) أثقال كافور الإخشيدي ومضى كافور منهزماً إلى حمص ثم إلى دمشق وأطلق سيف الدولة جميع الأسرى ورجع إلى حلب فلما بلغ الإخشيد أن سيف الدولة بن حمدان قد كسر عسكره وهزمه سار بجموعه حتى أتى إلى المعرة فبعث سيف الدولة سواده وأمواله وأهله إلى الجزيرة وخرج إلى لقاء الإخشيد على قنسرين وجعل الإخشيد يطارده وطبوله وبوقاته في مقدمته وانتقى من عسكره قريباً من عشرة ألف وسماهم الصابرية ووقف بهم في الساقة فحمل سيف الدولة على مقدمة الإخشيد فانهزمت المقدمة والمطارد فملكها واستولى على جملة من سوادهم ودخل الإخشيد الصابرية التي معه فاستخلص سواده وانفصل الفريقان وعاد سيف الدولة إلى حلب ثم مضى إلى منبج وقطع الجسر ومضى إلى الجزيرة ومضى الإخشيد إلى الرقة فتوجه سيف الدولة إلى الرقة ونزل في مقابلة الإخشيد والفرات بينهما وجرى بينهما مراسلات آخرها ان تقرر الأمر بينهما على أن يكون لسيف الدولة حلب وحمص وما بينهما ويكون للأخشيد من حدود حمص إلى أقصى الغرب وحفروا بين جوشنة واللبوة خندقاً وجعلوه فاصلاً بين المملكتين وتزوج سيف الدولة بنت الإخشيد ثم سار الإخشيد إلى مصر وعاد سيف الدولة إلى حلب.

قال وفي سنة أربع وثلاثين وثلثماية كان استلاء معز الدولة بن بويه على بغداد وكنا ذكرنا أمر بني بويه في حوادث سنة اثني وعشرين وثلثماية وما كان من استلائهم على بلاد فارس ثم إن ذكرنا إن معز الدولة أحمد بن بويه غلب على الأهواز في سنة ست وعشرين وثلثماية ولما كانت هذه السنة قدم معز الدولة إلى بغداد فاستتر المكتفي بالله خوفاً منه (217) وانهزم أكثر الأتراك إلى جهة الموصل ثم بعث المكتفي بالله إلى معز الدولة ألطافاً وهدايا ووصل معز الدولة ووقف بين يديه طويلاً ثم أخذ منه البيعة له واستحلفه بأعظم الأيمان وخلع عليه وطوقه وسوره وفوض إليه ما وراء بابه وعقد له لواء وضرب السكة باسمه وأمر أن يخطب له على المنابر ولقبه معز الدولة ولقب أخاه الحسن أبا علي عماد الدولة وهو أكبرهم ولقب أبا علي ركن الدولة وهو أوسطهم وكان معز الدولة أصغرهم سناً.

قال وفي هذه السنة خلع المستكفي وذلك أن معز الدولة دبر على هلاكه فدخل على المستكفي وقبل الأرض بين يديه وطرح له كرسي وجلس عليه وتقدم رجلان من الديلم فمدا أيديهما إلى المستكفي فظن أنهما يريدان يقبلان يده فناولهما يده فجذباه من السرير ووضعا عمامته في عنقد وحمل إلى دار معز الدولة راحلاً فاعتقله وشمل عينيه وخلعه ونهب دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة فكانت مدة خلافته سنة واحدة وأربعة أشهر ويومين وتوفي في دار السلطان سنة ثمان وثلاثين وثلثماية وعمره أربعين سنة وأشهر ونقضت خلافته لتمام ثلثماية ثلاثة وثلاثين سنة وخمسة أشهر وعشرين يوماً للهجرة ولتتمة ستة ألف وأربع ماية سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام شمسية للعالم.

قال المؤرخ والذي ورد تواريخ النصارى إن قسطنطين واصطفان ولدي رمانوس ملك الروم خلعا أباهما من المملكة يوم الاثنين السادس عشر من كانون الأول سنة ألف ومايتي ستة وخمسين للإسكندر موافق لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلثماية للهجرة (218) ثم أخرجاه وسيراه في مركب إلى الجزيرة المعروفة بالابروي

ورهباه فيها وكانت مملكته ستة وعشرين سنة وكان شيخاً كبيراً وصير قسطنطين وأخوه صهرهما برداس القفاس دمستقاً وهو قائد الجيوش والعساكر وبعد أحد وأربعين يوماً من مملكهما احتال صهرهما الدمستق عليهما وقبضهما ونفاهما إلى بعض الجزائر في السابع والعشرين من كانون الثاني الموافق للسابع من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثلثماية وكانت مدة مقامهما بعد نفي أبيهما أحد وأربعين يوماً واستولى الدمستق على المملكة وتسمى قسطنطين فاجتمع البطرك توفيلس بالبطريك بوافيس البراكموس واتفقا على خلع قسطنطين الدمستق وإعادة رومانوس الشيخ المنفي إلى المملكة وكانا يتوقعان وقتاً لذلك فاتصل الخبر بقسطنطين الملك فنفى البطرك وضرب من وافق على ذلك ضرباً شديداً وحلق شعورهم ونفاهم عن المدينة.

وفي كانون الأول سنة ألف ومايتي تسعة وخمسين للإسكندر عمل قوم على إخراج الاصطفان من الجزيرة التي هو منفي فيها وإعادته إلى الملك فانتهى ذلك إلى قسطنطين الملك فقبض عليهم وقطع أذان بعض وضرب بعضاً وأشهرهم في المدينة وأما قسطنطين بن رومانس الملك المنفي فإنه عزم على العصيان بالجزيرة التي كان منفياً فيها والتمس من المتوكل به الموافقة على ذلك فقتلوه ومات رومانش الشيخ بالجزيرة في خامس وعشرين تموز سنة ألف ومايتي تسعة وخمسين للإسكندر الموافق للرابع عشر من المحرم سنة سبع وثلاثين وثلثماية.

(219) الثالث والعشرين من الخلفاء العباسيين وهو الرابع والأربعين المطيع لله أبو القاسم وقيل أبو العباس الفضل بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل.

وأمه أم ولد يقال لها مسعلة بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المستكفي وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثماية وتدبير الممالك إلى الأمير معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي.

وفي هذه السنة قصد الأمير ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان بغداد لمحاربة الأمير معز الدولة بن بويه فجرت بينهما حروب آخرها أن ناصر الدولة دخل بغداد وملك الجانب الشرقي وملك معز الدولة الجانب الغربي ثم تحاربا فانهزم ناصر الدولة واستتب الأمر لمعز الدولة بن بويه.

وفي هذه السنة توفي بوزون خالع المقتفي وذلك لثمان بقين من المحرم قبل دخول معز الدولة بغداد.

وفي هذه السنة توفي الإخشيد أبو بكر بن طغج صاحب مصر والشام لثمان بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثماية وكانت وفاته بدمشق

وسيرته كان ملكاً شجاعاً مقدماً متيقظاً في حروبه وكان الراضي بالله لقبه الإخشيد وإنما لقبه بذلك لأنه فرغاني وكلمن ملك فرغانه لقب بالإخشيد كما يسمى ملك الروم قيصر وملك الفرس كسرى ويقال كانت عدة عسكره أربعماية ألف وكان له ثمانية ألف مملوك كل ألف منهم ملازمون خدمته ويحرسونه يوماً وليلة ومع ذلك ما كان ينام الليل في موضع واحد وإذا كان في الخيام (220) لا ينام في خيمته بل يخرج في الليل وينام في خيمة أخرى بحيث لا يعلم به أحد من خواصه كل ذلك خوفاً على نفسه ولما توفي الإخشيد تولى الملك بعده أبو حور محمد ولده وتفسير أبو حور محمود وقام بالملك وتدبيره كافور الحصني خادم أبيه فإنه كان مستولي عليه وعلى تدبير المملكة وكان كافور شديد السواد بصاصاً وكان الإخشيد قد اشتراه بثمانية عشر دينار فقدر الله تعالى ملكه الديار المصرية ودمشق وبلادها وهو الذي امتدحه أبو الطيب المتنبي بالقصائد المشهورة التي من جملتها القصيدة التي أولها

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

وحب المنايا أن تكون أمانيا

ويقول فيها

قواصد كافور نوارل غيره ومن

ورد البحر استقل السواقيا

وفي هذه السنة توفي القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن المهدي صاحب القيروان وذلك في آخر شوال فكانت مدة مملكته اثني عشر سنة وسبعة أشهر وكان عمره ثمان وخمسين سنة وبويع بالخلافة لولده المنصور بالله أبي طاهر إسمعيل وكان خطيباً فصيحاً يخترع الخطبة لوقته وكان مولده بالمهدية سنة إحدى وثلاثين وثلثماية.

قال وفي سنة خمس وثلاثين وثلثماية ورد الخبر أن الأمير ركن الدولة أبو الحسن علي بن بويه قصد الري وملكها وملك الجبل بأسره.

وفيها سار الأمير سيف الدولة بن حمدان إلى حصن زياد وغزا الروم وأحرق وقتل وسبى فخرج إليه الدمستق فالتقاه سيف الدولة فانهزم الدمستق وقتل من أصحابه نحو من عشرين ألفاً وأسر نحو من ألفين وعاد سيف الدولة سالماً.

وفي سنة ست وثلاثين وثلثماية سار الأمير سيف الدولة إلى حصن برزية حتى يفتحه فبقي عليه إلى أن دخلت سنة سبع (221) وثلاثين وثلثماية وفتحه بالأمان وهدم السور وأقام الدمستق لاون بن برداس القفاص على الجدب إلى أن فتحه وأخرب سوره ورحل عنه.

وفيها ظهر بحلب رجل من القرامطة يقال له المترفع ودعا إلى نفسه فتبعه قبائل من العرب ومضى إلى حمص فخرج إليه أبو اويل بن داود بن حمدان وكان بن عمه سيف الدولة قد ولاه حمص فأسره المترفع وانهزم أصحابه وبلغ سيف الدولة ذلك فسار من حلب إليه فلحقه بنواحي دمشق فقتل سيف الدولة المترفع وأصحابه ولم ينج منهم إلا من سبق واستنفد أبا اويل ابن عمه وعاد إلى حلب في عشرة أيام ورأس القرمطي معه على رمح فقال في ذلك أبو فراس بن حمدان

وانفد من مسن الحديد ونقله أبا

اويل والدم احدع صاغر

وعاد وراس القرمطي أمامه له جسد

من اكعب الرفع صاهر

قلت وهذا المعنى بديع مفرط في الحسن وسمعت لبعض الشعراء في معناه

وعاد لكنه رأس بلا جسد يمشي

ولكن على ساق بلا قدم

إذا يراى على الحطي أسفر في حال

العبوس له بعراعر بسم

وفي هذه السنة قصد الأمير معز الدولة أحمد بن بويه الموصل فسار إليه سيف الدولة بن حمدان فوقع الصلح بينهما وعاد معز الدولة إلى بغداد.

وفي سنة ثمان وثلاثين وثلثماية كانت وفاة عماد الدولة بن بويه وذلك بشيراز وكانت مدة مملكته بها ستة عشر سنة وعمره سبع وخمسين سنة وهو أكبر بني بويه وهو أول من ملك من أهل بيته ولم يخلف ولداً وكان ملكاً شجاعاً عاقلاً محترماً عظيم القدر وكان الخليفة يخاطبه في كتبه بأمير الأمراء ولما توفي كتب المطيع لله إلى ابن أخيه الأمير عضد الدولة أبي شجاع (222) فتأخر وأتى الأمير ركن الدولة كتاباً لقبه فيه عضد الدولة وورثه ما كان بيد عماد الدولة من الممالك.

وفي سنة تسع وثلاثين وثلثماية ردت القرامطة الحجر الأسود إلى موضعه فكان مدة أخذه ورده اثني وعشرين سنة.

وفي هذه السنة كانت وقعة الملفات وذلك أن سيف الدولة بن حمدان غزا الروم فأقام شهرين يقتل ويسبي ويحرق وسار إلى الدمستق فالتقاه بالملقات وهو موضع وراء خرسنة فتقاتلوا فهزم الروم وقتل منهم نحو من ثلاثين ألفاً وأسر من البطارقة نحو من ألفين.

وفيها كانت وقعة المصيصة وذلك أن سيف الدولة بن حمدان سار إلى الدرب المعروف بدرب مقطع الأظفار ويسمى درب الكيكرون فوجد الدمستق عليه فتقاتلوا فهرب سيف الدولة في نفر يسير من أصحابه ولما أصبح الصبح ساق الدمستق على من وجده من العامة فقتل منهم خمسة ألف رجل وأسر نحو من ثلاثة ألف وانهزم الباقون.

وفي سنة إحدى وأربعين وثلثماية توفي المنصور بالله أبو طاهر إسمعيل بن المهدي صاحب القيروان وذلك في آخر شوال فكانت مدة ملكه سبع سنين وستة عشر يوماً وعمره تسع وثلاثين سنة وبويع بالخلافة بالمهدية ولده المعز لدين الله أبو تميم معبد بن إسمعيل بن محمد بن المهدي وهو أول خلفاء مصر وسنذكر دخوله إليها إن شاء الله تعالى وكان المعز عالي الهمة شريف النفس قد درج بلاد المغرب وذلت له القبائل.

وفي سنة سبع وأربعين وثلثماية قصد الأمير معز الدولة بن بويه الموصل فملكها ومضى ناصر الدولة بن حمدان منهزماً إلى نصيبين ثم إلى حلب (223) وملك مقر الدولة ديار ربيعة جميعها وهي الموصل الجزيرة ونصيبين وسنجار والرحبة ورأس العين والخابور وأقام بها إلى سنة ثمان وأربعين وثلثماية ثم تقرر الصلح بينه وبين ناصر الدولة وعاد معز الدولة إلى بغداد ورجع ناصر الدولة إلى بلاده.

قال وفي سنة ثمان وأربعين وثلثماية أسر الروم أبا فراس الحرت بن سعيد بن حمدان وهو بن عم الأمير سيف الدولة وكان منقطعاً بمنبج فغارت الروم على منبج في ألف فارس مقدمهم تودرس بن أخت ملكهم فصادفوا الأمير أبا فراس يتصيد في سبعين فارساً فوثبوا عليهم وقاتلهم حتى أثخن بالجراح فأسروه ومضوا به إلى القسطنطينية فبقي أسيراً مدة ثم أطلق بعد ذلك وسيرد خبره أخيراً.

وفي سنة تسع وأربعين وثلثماية توفي أبو حور بن الإخشيد صاحب مصر فملكها بعده أخوه علي والأمر كله إلى كافور خادم أبيهما.

وفي سنة إحدى وخمسين وثلثماية أخذت الروم حلب وذلك أن الدمستق قصدها في مايتي ألف من الروم منهم ثلاثون ألفاً بالجواشن ومنهم ثلاثون ألفاً ضياع القدم ومعهم أربعة ألف بغل عليهما حسك الحديد كان الدمستق يضعها حول عسكره فجرد لهم سيف الدولة بن حمدان أكثر عسكره مع نجا مولاه وبقي في جمع قليل فخالفوا نجا ومن معه في الطريق وجاؤوا إلى سيف الدولة وهو في قلة من العدد فأوقعوا به على جبل بانقوسا فهزموه ونازلوا حلب ثلاثة أيام ففتحوها عنوة وقتلوا كلمن فيها واستولوا على أموال سيف الدولة ودخايره وأقاموا ثمانية أيام على حصار القلعة فبلغ الخبر إلى دمشق ووواليها يومئذ ظالم العقلي (224) من قبل الإخشيد فنفر في عشرة ألف مقاتل نجدة لسيف الدولة فبلغ الروم ذلك فرحلوا عنها يوم الأربعاء مستهل ذي الحجة.

وفي هذه السنة وقع أبو الورد صاحب خلاط فمات فملكها بعده نجا مولى سيف الدولة بن حمدان وتفاقم أمره وعصي مولاه.

وفي سنة ثلاث وخمسين وثلثماية نزل الدمستق إلى المصيصة واجتهد على فتحها فلم يقدر وجاءت المسلمون من طرسوس فوقعت الروم عليهم فقتلوا منهم نحو من خمسة ألف رجل وقتلوا من الروم خلقاً كثيراً.

وفي هذه السنة حاصر نجا مولى سيف الدولة ميافارقين ليأخذها لمعز الدولة بن بويه مراغمة لمولاه فلما أخذ في الحصار بلغه أن قريباً لأبي الورد وثب على بلاد كرد وأخذها فانفصل نجا عن ميافارقين فطلب خلاط ليمنع عنها قريب أبي الورد ودفعه عن بلاد كرد فنهب عسكره.

وفي سنة أربع وخمسين وثلثماية عاد الدمستق إلى المصيصة وفتحها وقتل من أهله خلقاً كثيراً وأخذ الباقين أسارى ثم مضى إلى طرسوس فتسلمها بالأمان وفيها قتل سيف الدولة نجا مولاه وتسلم خلاط.

وفي سنة خمس وخمسين وثلثماية توفي علي بن الإخشيد صاحب مصر والشام وصار كافور خادم أبيه مالك مصر والشام ولم يزل مالكها إلى أن مات في سنة ثمان وخمسين وثلثماية.

وفي هذه السنة تم الفداء بين الروم وبين سيف الدولة بن حمدان وتسلم بن عمه أبا فراس في جملة من تسلم من أسرى المسلمين وكان مدة أسره سبع سنين وأشهر ولم يلبث بعد إطلاقه إلا مدة يسيرة ثم توفي رحمه الله وكان فاضلاً شاعراً أديباً ومن جملة شعره وهو في الأسر

(225) ما للعبد من الذي يقضي به الله

امتناع

ددت الأسود عن الفريسة تم بعر سني

الضباع

قال وفي سنة ست وخمسين وثلثماية كانت وفاة الأمير سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب يوم الخميس لست بقين من صفر وحمل إلى ميافارقين ودفن بها وكانت مدة مملكته بحلب ثلاث وعشرين سنة وكان عمره خمس وخمسين سنة.

سيرته كان ملكاً شجاعاً كريماً عالماً كثير العدل والإحسان مجاهداً في سبيل الله تعالى وكان مجلسه مجمع أهل العلم وبابه قبلة الجود ومقصد أولي العلم والشعراء وما انفصل أحد من بابه إلا شاكراً لفضله.

وكان في بابه من الشعراء جماعة فمنهم المتنبي وله فيه القصائد السبع في ديوانه وأبو الفرح الواوا والخالدي وأبو الفرح البغا وجماعة كبيرة وله شعر جيد من جملته قوله في جارية من بنات الملوك كان يهواها كثيراً فحسدها سائر خطايبه وخاف عليها منهن من سم فنقلها إلى بعض الحصون ليحصنها منهن.

راقبتني العيون فيك فأشفقت ولم

أخل قط من إشفاق

ورأيت العدو يحيدني فيك مجداً

بأنفس الاعلاق

فتمنيت أن تكوني بعيداً والذي

بيننا من الود باقي

رب هجر يكون من خوف هجر

وفراق يكون خوف فراق

ولما توفي سيف الدولة كان ولده الأمير شريف بميافارقين فاجتمعت القواد والأجناد بحلب وعقدوا له الأمر ولقبوه سعد الدولة واستدعوه فأقدم إلى حلب واستتب له الأمر.

وفي هذه السنة كان وفاة الأمير معز الدولة بن بويه ببغداد لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر وكان مدة ملكه العراق إحدى وعشرين سنة وأشهر.

(226) سيرته كان ملكاً شجاعاً مقداماً قوي القلب صلب النفس إلا أنه كان في أخلاقه شراسة وكان متعسفاً في مطالبته فما زالت التجارب تحكمه والسعادة تعلمه وترفعه إلى أن بلغ الغاية التي لم يبلغها أحد قبله إلا الخلفاء.

ولما توفي معز الدولة قام بتدبير الملك بعده ولده الأمير عز الدولة بختيار وقلده الخليفة المطيع لله موضع أبيه وكناه وخلع عليه واستقل بالأمور.

وفي هذه السنة قبض أبو ثعلب بن ناصر الدولة بن حمدان على أبيه ناصر الدولة وبعثه إلى قلعة اردمن وكان سببه أنه لما ورد على ناصر الدولة وفاة أخيه سيف الدولة حزن عليه حزناً مفرطاً فتغيرت أحواله وساءت أخلاقه وطمع فيه أولاده ففعل فيه ابنه أبو ثعلب ما ذكرناه وولي أولاد ناصر الدولة الموصل وما كان بيد والدهم وفوضوا أمرهم إلى أبي ثعلب أخيهم.

وفي سنة ثمان وخمسين وثلثماية كانت وفاة كافور الإخشيدي صاحب مصر وكان تغلبه على مصر منذ توفي الإخشيد وصار الأمر كله له ولم يكن لأولاد سيده إلا مجرد الاسم وكان متخلقاً بأخلاق الملوك ويحضر إلى مجلسه العلماء والفضلاء والعشرا (الشعراء) وقصده المتنبي وامتدحه بالقصائد الكافور بات المذكور في ديوانه ولم ينصفه ففارقه وهجاه وديوانه يشهد بمدحه وهجوه ولما توفي عقد الأمر بعده لعلي بن محمد بن الإخشيد وهو يومئذ ابن إحدى عشرة سنة وخليفته الحسين بن عبد الله بن طعج والوزير أبو الفضل جعفر بن المديون.

(227) أول الدولة الفاطمية بالديار المصرية.

ذكر استيلاء المعز لدين الله الفاطمي على مصر المحروسة.

وفي هذه السنة قدم جوهر غلام المعز لدين الله صاحب القيروان بالجيوش إلى مصر فأقام الدولة المعزية فبايع الناس له وأخذ العهود لهم وكان دخول جوهر والعساكر الذين معه إلى مصر يوم الثلاثاء لسبع عشر ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثماية وأقيمت الدعوة لمعز لدين الله يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثماية وقطعت الخطبة بمصر عن بني العباس من ذلك الوقت وآخر من خطب له بمصر من العباسيين المطيع لله ولم يزل كذلك إلى أن جددها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله.

وشرع جوهر في بناء القاهرة المعزية لسكن الجند بها وبنى فيها قصر الخلافة وبدأ ببنائها في شهر رمضان منها وأمر الأمراء والأجناد أن يبني كل واحد منهم داراً يسكنها.

قال وفي سنة اثنتين وستين وثلثماية كان دخول المعز إلى مصر يوم الجمعة لثمان مضين من شهر رمضان ومعه توابيت آبائه فيما زعم وتم بناء القاهرة في هذا الشهر واستقر ملك المعز بها.

حاشية.

ذكر المعز في وصيته لابنه إنه عمر القاهرة في طالع المريخ وهو قاهر الفلك وسماها لطالعها القاهرة.

وفي هذه السنة ملكت الروم نصيبين وديار ربيعة بأسرها وقتلوا وسبوا خلقاً كثيراً فجهز الأمير عز الدولة بن معز الدولة بن بويه جيشاً عظيماً لمحاربة الروم (228) وانهزمت الروم ونصر الله المسلمين عليهم وأسروا المسلمون منهم خلقاً كثيراً ومن جملة من أسروا الدمستق وبقي في الأسر إلى أن مات في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وثلثماية.

وفي هذه السنة خلع المطيع لله وسببه إن سبكتكين التركي تغلب على الملك ببغداد وكان أحد حجاب معز الدولة بن بويه ولم تزل منزلته ترتفع عند معز الدولة حتى نقله إلى الأهواز وعظم أمره فوقعت الوحشة بينه وبين عز الدولة بن معز الدولة وكان عز الدولة إذ ذاك بالأهواز ثم انتقل منها إلى واسط وعصي سبكتكين ببغداد واستولى على الأمر وصارت الأتراك والسنة من حزبه والديلم والشيعة من حزب عز الدولة ثم كانت حروب بين الفريقين ظهر فيها أصحاب سبكتكين على بغداد وخاف المطيع لله على نفسه وكانت به أمراض كثيرة أيضاً فخلع نفسه من الخلافة طائعاً وسلمها إلى ولده عبد الكريم بن المطيع ولقبه الطائع لله وذلك لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلثماية فكانت مدة خلافته تسع وعشرين سنة وأربعة أشهر وأحد وعشرين يوماً فتوفي بدير العاقول سنة أربع وستين وثلثماية فكان بين خلعه وموته شهران وأيام وعمره ثلاث وستين سنة وكان حسن العقيدة لين

الجانب وطي المعركة ملس الانقياد نقي الباطن كريماً كثير الصدقات والصلوات غير أنه كان مغلوباً على أمره وليس له من الخلافة إلا الاسم والأمر كله بالعراق وفارس لبني بويه وسائر الأطراف بيد المتغلبين وانقضت خلافته لتمام ثلثماية اثنتين ستين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً للهجرة ولتتمة ستة ألف وأربع ماية خمس وستين سنة وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً للعالم شمسية.

(229) قال المؤرخ والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في خلافة المطيع لله أنه وقع بمدينة بغداد في سنة أربع وثلاثين وثلثماية غلاء عظيم إلى أن أكلوا الناس الميتة ووجدوا جماعة من النسوان قد أخذن صبياناً شوون بعضهم وطبخن بعضهم سكباجاً في عدة أيام فقتلوا النسوان وطرحوهن في دجلة.

وبعد ذلك انحلت الأسعار عند دخول الغلة الجديدة وعادت إلى ما كانت عليه.

وفي سنة سبع وثلاثين وثلثماية نزل لاون الدمستق على سورا وخرج إليه محمد بن ناصر الدولة وقتل من أصحابه زهاء أربع ماية رجل وأسر منهم خلقاً كثيراً.

وفي سنة خمس وأربعين وثلثماية خرج ملك النوبة حتى بلغ أسوان وخربها وقتل وسبى وسارت إليه العساكر من مصر براً وبحراً وقاتلوا النوبة وكسروهم وأسروا منهم خلقاً كثيراً وانهزم باقيهم وفتح المسلمون حصناً من حصونهم يعرف بالريم.

وفيها غزا سيف الدولة الروم ونزل على تل بطريق وفتحه وانهزم السمسق وجموعه واسحنوا لدرب بالرجال فلما عاد سيف الدولة إلى الدرب قاتلوه ودخل عليهم الليل فانهزم سيف الدولة في نفر يسير من أصحابه واستولى الدمستق والسمسق على أصحابه فقتلوا منهم وأسروا منهم خلقاً كثيراً ونهبوا أمواله وعساكره وخرج لاون الدمستق وأسر أبا العشاير بن الحسن نائب سيف الدولة وحمل إلى القسطنطينية ومات بها في الأسر.

وفي هذه السنة التي هي سنة خمس وأربعين وثلثماية قدم ثاوفانيوس بطركاً على اليعاقبة بالإسكندرية في السنة الحادية عشر من خلافة المطيع وهو من أهل الإسكندرية أقام أربع سنين وستة أشهر ومات مقتولاً في العاشر من كيهك.

(230) وفي سنة سبع وأربعين وثلثماية خرج الدمستق والسمسق ونزلا على سميساط وفتحاها ثم نزلا على رعبان وحاصراها وسار سيف الدولة التقاهما فاستظهر الروم عليه فانهزم وتبعه السمسق وقتل وأسر من وجوه أصحابه خلقاً كثيراً ودخل إلى قسطنطينية ومعه من الأسرى ألف وسبع ماية فارس وهم ركاب على خيولهم لابسون سلاحهم.

وفي سنة خمسين وثلثماية قدم ابنا مينا بطركاً لليعاقبة على الإسكندرية في ثمان وسبعين وستماية لدقلاديانوس وهي السنة الثانية من ولاية علي بن الإخشيد وهي السنة السابعة عشرة من خلافة المطيع أقام إحدى عشرة سنة ومات في نصف هتور وخلا الكرسي بعده سنة واحدة.

وفي سنة اثنتين وخمسين وثلثماية مات رومانس بن قسطنطين ملك الروم في سادس عشر آدار سنة ألف ومايتين أربع وسبعين للإسكندر ومدة ملكه ثلاث سنين وأربعة أشهر وعمره خمس وعشرين سنة وأشهر وجلس في الملك بعده باسيل وقسطنطين وكانا طفلين غير بالغين عمر باسيل سبع سنين وقسطنطين خمس سنين ونواب والدهما عانوا تدبير المملكة خمسة أشهر واستشارت الملكة البطريرك أن تسلم الولدين إلى نقفور يدبرهما ويدبر المملكة لما ظهر من شداده ووقع الاتفاق على ذلك فحضرت الملكة في الكنيسة وسلمت الولدين إلى نفقور بحضرة بالياقطس بطريرك القسطنطينية وسألته أن يدبر المملكة ويتقي الله في الولدين إلى أن يبلغوا مبالغ الرجال فأقر نقفور كل واحد من أرباب الدولة على ما كانوا عليه في أيام رومانس الملك وأن يكون البرنكاس على رسمه مقيماً في البلاط يحفظ الملكة وولديها وأن بردس الفقاس أبوه ولاون أخوه يحفظان المدينة وأن يكون هو متوفراً على الغزوات (231) فحسن موقع ما قرره في نفوس الجماعة وخرج إلى قيسارية ليقف في العساكر ويقيم هناك دائماً في قبالة العدو فاجتمع إليه جماعة من الأكابر وأشاروا عليه أن يستولي على المملكة ويلبس الخف الحمر فقبل إشارتهم ودخل القسطنطينية في ستة عشر يوماً من آب في السنة المذكورة ودعا له بالملك فأشار البطرك بأن يتزوج نقفر بالملكة والدة الصبيين وتكون مشاركة لهما في الملك فوافقه الجماعة على ذلك ولبسه البطرك التاج وباركه في كنيسة اجيا صافيا وتزوج لتوفانو أم الولدين وتسلم ولديها بسيل وقسطنطين ودعا له معهما بالملك وجعل أباه مقيماً بالقسطنطينية لضبطها ومراعاة أحوالها وأحوال المرأة والولدين والنظر في مصالح الرعية وسماه قيصر وصير أخاه لاون قربلاط.

الرابع والعشرين من الخلفاء العباسيين وهو الخامس والأربعون من الملوك الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن المطيع بن المقتدر بن المعتضد.

وأمه أم ولد يقال لها عيني بويع له بالخلافة يوم خلع أبوه نفسه وذلك لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلثماية للهجرة وعمره يومئذ سبع وأربعين سنة وقيل خمسين ولم يل الخلافة من بني العباس من هو أكبر سناً منه ولا وليها من أبوه حي غيره وغير أبي بكر الصديق ولما بويع للطائع خلع على الأمير سبكتكين وولاه ما وراء بابه.

(232) وفي سنة أربع وستين وثلثماية خرج الأمير سبكتكين ومعه الطائع لله وأبوه المطيع لحرب الأمير عز الدولة بن بويه ونزلوا بدير العاقول فمات المطيع ثم لحق سبكتكين ذرب فمات لسبع بقين من المحرم فكانت مدة ولايته شهرين وثلاثة عشر يوماً فعقدت الأتراك الأمر لافتكين الشرابي مولى معز الدولة بن بويه وسار افتكين والطائع

والأتراك إلى أن نزلوا على واسط وقد حصنها عز الدولة فتحاربوا واشتد الحرب بين افتكين وعز الدولة واتصل القتال بين الفريقين خمسين يوماً واشتد القتال على عز الدولة وضاقت الميره عليه وكان مستصرخاً ابن عمه عضد الدولة فاستصرخ بعده عدة الدولة أبي ثعلب بن ناصر الدولة فصار عدة الدولة إلى بغداد واستقر قدمه بها فقدم الطائع لله في جماعة الأتراك محارباً لعدة الدولة ودخل الطائع ومن معه بغداد وصار عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه من فارس إلى واسط نجدة لابن عمه عز الدولة فنزل الجانب الشرقي وعز الدولة الجانب الغربي ورحلا حتى نزلا بدير العاقول ووقع الحرب بينهم وبين الأتراك فانهزمت الأتراك واستباح عضد الدولة عسكرهم ودخلوا بغداد ثم دخل عضد الدولة أيضاً بغداد بجيوشه واجتمع بالطائع لله وتواضع له وقبل يده ولما استقرت قدم عضد الدولة ببغداد قبض على بن عمه عز الدولة وعلى استادية جيشه وذلك لخمس بقين من جمادى الآخرة وكتب إلى والده ركن الدولة يخبره بذلك فأنكر عليه غاية الإنكار وكتب إليه يهدده بالمسير إليه إن لم يرد عز الدولة بن عمه إلى ولايته فأطلق عضد الدولة بن عمه عز الدولة إلى ولايته بعد أن استحلفه (233) أن يكون نائباً عنه بالعراق ولا يخالف أمره ولا أمر ركن الدولة واستحلفه على ذلك الطائع لله واستحلفه عضد الدولة لنفسه ولأبيه ركن الدولة وتوجه عضد الدولة إلى فارس.

وفي هذه السنة تزوج الطائع لله سهربان بنت الأمير عز الدولة بن معز الدولة بن بويه على صداق ماية ألف دينار.

وفي هذه السنة ملك افتكين دمشق وذلك أنه لما هزمه عضد الدولة قدم دمشق في ثلثماية غلام من الأتراك وكان العيارون إذ ذلك مملكون بدمشق متحكمون في أهلها فاجتمع أكابرها إلى افتكين وسألوه أن يتقلد أمرهم ففعل وكف يد العيارين عنهم وأحسن السيرة.

وفي هذه السنة خرج سمسق ملك الروم وفتح حمص وبعلبك ثم صار إلى دمشق ولقيه افتكين الشرابي فأقبل سمسق إلى صيدا فصالحوه أهلها على مال حملوه ثم مضى إلى طرابلس فقام على حرب أهلها نيفاً وأربعين ليلة فدسا إليه باسيل وقسطنطين سماً في شراب فمرض منه فرحل إلى أنطاقية فامتنع أهلها عليه وقطع أشجارها وقوي عليه مرضه فاستخلف على حصارها البرجي البطريق ومضى إلى قسطنطينية ففتح البرجي أنطاكية ثم مات سمسق بعد قليل.

قال وفي سنة خمس وستين وثلثماية كانت وفاة المعز لدين الله صاحب مصر وذلك لإحدى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول فكانت مدة ملكه ثلاث وعشرين سنة وأربعة أشهر وأياماً منها بمصر ثلاث سنين وكان عمره ست وأربعين سنة.

وسيرته كان جواداً عادلاً حسن السيرة جميل السياسة ومما روي عن عدله.

أن زوجة إخشيد لما زالت دولتهم أودعت عند رجل يهودي ثوباً منسوجاً (234) بالذهب وبدايره من الجوهر شيء كثير وجعله في جرة نحاس ثم بعد مدة طالبت اليهودي فأنكره فقالت خذ بعضه فلم يفعل فقالت أعطني الكم الواحد وخذ أنت الجميع قال وكان فيه تسعة وعشرون من الدر الغالي فلم يفعل أيضاً هذا فأتت إلى قصر الملك فدخلت عليه وأستأذنته في الكلام فأذن لها وعرفته بحال اليهودي فأحضره واستقره فلم يقر فبعث إلى داره من خرب الحيطان وظهرت الجرة في جدار الدار فلما رأى المعز الثوب تعجب من الجوهر واللؤلؤ الذي فيه ووجدوا أن اليهودي قد أخذ من صدره درتين فاعترف أنه أباعهما بألف وستماية دينار فسلم الثوب إلى الامراة على حاله فاجتهدت أن يأخذه ويعطيها منه ما أراد فلم يفعل فقالت له يا سيدي هذا الثوب كان يصلح لي وأنا زوجة صاحب مصر فأما الآن فما حاجة لي إليه فأبى أن يأخذه فأخذته الامرأة فانصرفت.

وكان المعز مفتوناً بعلم النجوم فأخبره منجم أن عليه قطعا وأشار عليه أن يتخذ سرداباً تحت الأرض ويتوارى فيه مدة ففعل ذلك وتوارى في سرداب فلما طالت غيبته ظن المغاربة أنه قد رفع فكانوا إذا أبصروا الغمام ترجل الفارس منهم إلى الأرض ويقول السلام عليك يا أمير المؤمنين ظناً أن المعز في الغمام فلما انقضت مدة القطع التي أشار بها المنجم وهي على ما يقال سنة كاملة خرج المعز من السرداب وتوفي بعد ذلك بمدة يسيرة.

وبعد وفاته بويع العزيز بالله أبو المنصور برار بن المعز الفاطمي يوم توفي والده وكان مولده بالمهدية يوم الخميس الرابع والعشرون من المحرم (235) سنة اثنتين وأربعين وثلثماية وقيل في المحرم سنة أربع وأربعين وثلثماية وولي الأمر وله إحدى وعشرون سنة وأشهر وأقام بأمره جوهر مولى المعز.

وفي هذه السنة أقيمت الدعوة للعزيز بمصر بعد أن حوصر أهلها وجرت حروب كثيرة.

وفي هذه السنة قسم الأمير ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه بين أولاده الثلاثة الممالك فجعل لعضد الدولة أبي شجاع فناخرو فارس وارجان وكرمان ولمؤيد الدولة أبي المنصور الري واصفهان ولفخر الدولة أبي الحسن همدان والدينور وأخذ عليهم الحلف بالتناصر والتعاضد وأشهد عليهم بذلك.

وفي سنة ست وستين وثلثماية كانت وفاة ركن الدولة بن بويه وكانت مدة ملكه أربع وأربعين سنة وشهر وتسعة أيام وعمره تسع وتسعين سنة وهو الأوسط من أولاد بويه وكان ملكاً جليلاً مهيباً سايساً فتح البلاد وملكها وقرر قواعدها وضبطها.

وفي هذه السنة كاشف عضد الدولة بن عمه عز الدولة صاحب بغداد بالعداوة وتجهز لقصد العراق وتمليكها وانحدر عز الدولة ووزيره علي ابن أبي طاهر والطائع لله الخليفة إلى واسط ووصل عضد الدولة فالتقوا وتقاتلوا قتالاً

شديداً فكانت الكسرة على عز الدولة فانهزم أقبح هزيمة واستباح عضد الدولة عسكره ثم جرت لعز الدولة أشياء يطول شرحها آخرها أنه رحل من بغداد واستولى عليها عضد الدولة.

وفي سنة سبع وستين وثلثماية خلع عليه الخليفة الخلع السلطانية وتوجه وطوقة وسوده وعقد له لواءين بيده وولاه ما وراء بابه.

وقبض عضد الدولة على بن أبي طاهر وزير عز الدولة وقتله وصلبه فقال بعض الشعراء فيه يرثيه بأبيات لم يسمع في مصلوب مثلها.

(236) علوا في الحياة وفي الممات بحق

أنت إحدى المعجزات

كان الناس حولك حين قاموا

وفود نداك أيام الصلات

مددت يديك نحوهم افتقاد

كمدها إليهم بالهبات

ولما صاق بطن الأرض عن أن تضم

علاك بعد الممات

أضاق الجو قبرك واستعاصوا عن

الأكفان ثوب الساقيات

ولما دخل عضد الدولة إلى بغداد وملكها مضى عز الدولة إلى عدة الدولة أبي ثغلب بن ناصر الدولة متصرخاً على عضد الدولة فتجهز للقائهما وخرج من بغداد بجيوشه ومعه الطائع لله والتقوا وتقاتلوا قتالاً شديداً وذلك في شهر شوال فانهزم عز الدولة وأصحابه وقتل وأتى من قتله برأسه إلى بن عمه عضد الدولة في طشت فيقال أنه لما رآه وضع منديله على عينيه وبكى وكان عمر عز الدولة ست وثلاثين سنة وكانت مدة أمره إحدى عشرة سنة وشهوراً.

وسيرته كان ملكاً شهماً جلداً قوي الجسم والقلب فيقال إنه كان يصرع الثور بيديه من غير أعوان والأحبال يقبض على قوائمه ويطرحه على الأرض وكان يبرز الأسود ويصيدهم وكان كريماً شجاعاً.

قال وفي هذه السنة مات هشول بن وشمكين بجرجان فقام بالملك بعده فانوس بن وشمكين وملك جرجان وطبرستان.

وفي سنة ثمان وستين وثلثماية ملك عضد الدولة بن بويه الموصل وديار ربيعة وميافارقين وديار بكر وهرب عدة الدولة أبو ثعلب بن ناصر الدولة بن حمدان إلى العزيز بالله صاحب مصر.

وفي هذه السنة أمر الخليفة الطائع لله بأن يخطب الملك عضد الدولة ببغداد في خطبة الجمعة الثالثة الخطبة للطائع لله (237) فابتدئ بذلك يوم الجمعة لأربع بقين من شعبان ولم يتقدم هذا لأحد قبله ولا لولاة العهود وأمر أن يضرب على باب عضد الدولة بالدبارب في أوقات الصلوات الخمس ولم يكن هذا لأحد قبله ولا لولاة العهود وعضد الدولة هو أول من خوطب بالملك في الإسلام وكان يخطب على المنابر بشاهنشاه الأعظم ملك الملوك.

وفي هذه السنة جهز العزيز بالله صاحب مصر جوهر ومعه الجيوش لقتال افتكين الشرابي صاحب دمشق فوقع القتال بينهما شهرين فاستدعى افتكين الحسن بن أحمد القرمطي فخاف جوهر منه وعاد إلى طبرية وتعاقد افتكين والقرمطي وحاصرا جوهر بها فانهزم منها إلى الرملة فسير جوهر إلى افتكين فطلب أمانه فأجابه افتكين بشرط أن يعلق سيفه ورمح القرمطي على باب الرملة ويخرج جوهر وأصحابه من تحتها ففعل ذلك ومضى جوهر إلى مصر وحض العزيز بالله على قتال الافتكين فبرز العزيز من مصر في جيوشه والتقى الجمعان في الرملة فكانت الكسرة للعزيز وانهزم القرمطي والافتكين وأصحابهما ثم أخذ الافتكين أسيراً وأتى به إلى العزيز فعفى عنه وأحسن إليه وولاه حجبته ثم رجع العزيز إلى مصر ومات الافتكين بعد ذلك مسموماً سمه وزير العزيز حسداً له على ما ذكر فغضب العزيز على وزيره واعتقله وصادره ثم رأى الأمور لا تنتظم إلا به فأعاده إلى وزارته وأحسن إليه.

وفي سنة تسع وستين وثلثماية كان مقتل عدة الدولة بن حمدان وكنا ذكرنا أن المذكور هرب من عضد الدولة وقصد مصر وكتب إلى العزيز بالله فكتب إليه الجواب إنه قد قبله والتمس مصيره إليه (238) فخاف وعاد إلى طبرية وكان بالرملة بدري يقال له مفرج بن دعقل قد استولى على تلك الناحية ويفحل أمره فأراد مفرج بن دعقل أن يوقع ببني عقيل المقيمين بالشام ويخرجهم منها فلجؤوا إلى عدة الدولة وسألوه نصرتهم فنزل بينهم وتجمع له المفرج واحتشد وكان العزيز بالله بعث برجل من أصحابه يقال له الفضل إلى دمشق ليحتال له في فتحها وإصلاح أهلها فخاف الفضل من عدة الدولة فاجتمع بأصحابه إلى المفرج وصاروا يداً واحدة ثم قصدوا عدة الدولة وبني عقيل فهزموهم وأسروا عدة الدولة فقتله المفرج خوفاً أن يحمله الفضل إلى العزيز فيصطيعه حسب اصطياعه لافتكين فلما قتله المفرج بعث الفضل برأسه إلى مصر وأحرق جنبه.

وفي سنة سبعين وثلثماية زفت ابنة عضد الدولة بن بويه إلى الطائع لله وكان العقد قد وقع في سنة أربع وستين وثلثماية.

وفي سنة إحدى وسبعين وثلثماية كان الحرب بين مؤيد الدولة بن بويه وبين أخيه فخر الدولة وفانوس بن وسمكين سببه أن فخر الدولة أخو عضد الدولة ومؤيد الدولة قد اتفق مع فانوس بن وسمكين على أخويه عضد الدولة ومؤيد الدولة والتظافر عليهما فبعث عضد الدولة عهداً من الطائع لله إلى أخيه مؤيد الدولة على جرجان وطبرستان فسار مؤيد الدولة لقتال فانوس وسار أخوه فخر الدولة لمعاضدة فانوس وجرت بينهم حروب كثيرة آخرها أن فانوس انهزم واستولى مؤيد الدولة على جرجان وطبرستان.

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلثماية توفي الملك عضد الدولة أبو شجاع فناخرو ابن ركن الدولة بن بويه ببغداد وكان عمره سبع وأربعين سنة وأحد عشر شهراً وكان له ملك بغداد (239) والعراق وكرمان وفارس وعمان وخورستان والموصل وديار بكر وحران ومنبج.

وسيرته كان ملكاً جليلاً عظيماً مهيباً صارماً حازماً عاقلاً سايساً كريماً شجاعاً بطلاً ويقال انه خرج يوماً إلى بستان فقال ما أطيب يومنا لو ساعدنا الغيث فجاء المطر الموقت فقال

ليس شرب الراح إلا في المطر وغنا

من جوار في السحر

غاينات سالبات للبهي ناغمات في

تضاعف الوتر

مبرزات الكاس من مطلعها

ساقيات الراح من فاق

البشر

عضد الدولة من سطوته ملك

الأملاك وغلاب القدر

فقيل إنه لم يفلح بعد هذه الأبيات لقوله غلاب القدر.

ولما حضره الموت تمثل بقول الوزير أبي القاسم بن عبد الله.

قتلت صناديد الرجال

فلم أدع عدواً ولم أمهل على

جيشه خلقا

وأخليت دور الملك من بعد عزهم

فشردتهم غربا وبددتهم

شرقا.

فلما بلغت النجم عزا ورفعه

وصارت رقاب القوم أجمع لي

رقا

رماني الردا سهماً فأخمد حمرتي

فها نداني حفرتي عاطلاً ملقا

ثم جعل يقول

ما أعني عني ماليه هلك عني

سلطانيه

فردها حتى مات

ولما مات كتم موته مدة ودفن

بدار المملكة ببغداد

وفي سنة ثلاث وسبعين وثلثماية أظهر موته وحمل من قبره ببغداد إلى الكوفة فدفن بمشهد أمير المؤمنين علي (240) بن أبي طالب فقام بالملك بعده ولده الملك صمصام الدولة أبو كالنجار المرزبان بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه وخلع عليه الخليفة الطائع لله وتوجه وطوقه وسوره.

وفي هذه السنة كانت وفاة مؤيد الدولة بن بويه أخي عضد الدولة وذلك في ثالث شعبان بعلة الخوانيق وكان وزيره المدبر لملكه الصاحب أبو القسم بن عياد ولما مات مؤيد الدولة استولى على مملكته أخوه فخر الدولة بن ركن

الدولة بن بويه وقدم جرجان في ثالث رمضان فتلقاه الصاحب بن عياد وأرباب الدولة وبايعوه المملكة واستقر بجرجان واستوزر الصاحب بن عياد.

وفي سنة أربع وسبعين وثلثماية كتب الخليفة الطائع لله لفخر الدولة بن بويه عهداً بتقليده ما كان بيد مؤيد الدولة من الممالك والأقاليم وسيره إليه ومعه الخلع السلطانية.

وفي سنة خمس وسبعين وثلثماية استولى المالك شرف الدولة على بغداد وكان شرف الدولة أبو الفوارس هذا أكبر أولاد أبيه وكان بيده اصفهان والري وشيراز من بلاد الديلم وغيرها فلما كانت هذه السنة تجهز إلى العراق ليملكها فكتب إلى أخيه أبي الحسن أحمد بن عضد الدولة وكانت بيده بلاد فارس يستنجده على أخيه صمصام الدولة فلم ينجده فخرج إليه يقاتله فقاتله شرف الدولة فأسره وحبسه ثم قصد شرف الدولة العراق واستولى على الأهواز والبصرة وواسط وكثرت أمواله ورجاله وبعث إلى الخليفة الطائع يطلب الخلع السلطانية والعهد والتقليد فأجابه إلى ذلك وبعث إليه به وطلب تسليم أخيه صمصام الدولة وكان معتقلاً عنده فسلم إليه بعد أن اتفق الصلح بين صمصام الدولة وأخيه شرف الدولة وأن يخطب له أولاً وأن لا يتعرض أحد منهما إلى ما في يد الآخر (241) وتحالفا على ذلك ثم انحدر صمصام الدولة إلى شرف الدولة وهو بواسط فأنزله خيمه بغير سرادق ووكل به جماعة لحفظه وحفظ الخزائن ثم قصد شرف الدولة بغداد فقدمها في شهر رمضان ومعه ما يناهز عشرين ألفاً من الديلم وثلاثة ألف غلام تركي واستقر ملكه بها وسير أخاه صمصام الدولة إلى قلعة اعتقله بها فكانت مدة مملكة صمصام الدولة بالعراق ثلاث سنين وأحد عشر شهراً.

وفي سنة سبع وسبعين وثلثماية خلع الطائع لله على الملك شرف الدولة أبي الفوارس بن عضد الدولة وتوجه وطوقه وسوره وكتب له عهداً وولاه ما وراء بابه وعقد له لواءين ولقبه شاهنشاه.

وفي سنة تسع وسبعين وثلثماية توفي شرف الدولة وذلك لليلتين مضيتا من جمادى الآخرة فكانت مدة مملكته ببغداد سنتين وثمانية أشهر وكان عمره ثمان وعشرين سنة وخمسة أشهر وحمل تابوته إلى الكوفة فدفن إلى جانب أبيه.

ولما توفي شرف الدولة قام بالملك بعده أخوه الملك بها الدولة أبو نصر بن عضد الدولة وخلع عليه الطائع لله الخلع السلطانية وتوجه وطوقه وسوره وكتب له عهداً.

وفي سنة ثمانين وثلثماية أطلق صمصام الدولة من محبسه وكان أخوه شرف الدولة شمل عينيه فلما مات شرف الدولة أطلقه أخوه بها الدولة وأعطاه شيراز وارجان وبلادها وجعل معه أخاه أبا طاهر بن عضد الدولة ومات أبو طاهر بعد مدة قريبة واستمر صمصام الدولة ملكاً في الصورة لا في المعنى وقام بأمره رجل يقال له فولاد.

وفي سنة إحدى وثمانين وثلثماية كانت وفاة سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان وذلك في شهر رمضان فكانت مدة ملكه من حيث مات أبوه خمس وعشرين سنة وشهوراً ولما توفي قلد الملك بعده بحلب لولده الأمير (242) سعيد الدولة أبي الفضائل بن سعد الدولة بن سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان وكان سعد الدولة أوصى ولده لولو الخراجي وكان أبو الفضائل صغيراً فاستقل لولو بالأمور جميعها وصارت كلها إليه.

وبعث العزيز بالله صاحب مصر جيشاً كثيفاً لقتاله فقدموا إلى حلب وحاصروها حصاراً شديداً واستنجد لولو بالروم فأتوا إليه في عالم عظيم فالتقوا فنصر الله المصريين عليهم فقتل من الروم خلق كثير ونازل المصريون حلب ومقدمهم منجوبكين وطال مقامهم عليها فضجروا وقلت عليهم العلوفة فكتبوا إلى العزيز يستأذنوه في الانصراف ثم انصرفوا قبل أن يصل إليهم الجواب فلما ورد على العزيز كتابهم غضب غضباً شديداً ثم بلغه انصرافهم فعظم عليه أكثر وسير يتهددهم ويأمرهم بالعود إلى حلب والاجتهاد في التضييق عليها إلى أن يفتحوها فرجعوا وأقاموا عليها ثلاثة عشر شهراً وبنوا بظاهرها الحمامات والفنادق والأسواق وكتب لولو إلى ملك الروم يطلب نجده ويحرضه على نصرته ودفع المصريين عنه ويقول في جملة قوله إن حلب دهليز بلاد الروم ومتى أخذت حلب أخذت بلاد الروم فأقبل ملك الروم في عدد لا يحصى فرحل منجوبكين مقدم المصريين عن حلب منهزماً ووصل ملك الروم إلى حلب فخرج إليه لولو وسعيد الدولة أبو الفضائل فأكرماه وحملا إليه من الألطاف والتحف شيئاً كثيراً.

ثم دخل ملك الروم بجيوشه إلى حمص ففتحها ونهبها وقتل وسبا ثم رحل إلى طرابلس فأقام عليها نيفاً وأربعين يوماً فلم يقدر عليها فرجع إلى بلاده.

وأما منجوبكين مقدم العسكر المصري فإنه رحل إلى دمشق وأقام متحصناً فيها فلما بلغ العزيز ذلك (243) تجهز وخرج بعساكره إلى بلبيس ونزل بها فعرضت له علة صعبة آيس فيها من روحه فعهد إلى ولده الحاكم وأوصيه إلى ارجوان الخادم وتوفي في سنة ست وثمانين وثلثماية وهذه الحوادث إنما ذكرناها وإن جاوز بعضها هذه السنة فلسياقة الحديث.

قال وفي هذه السنة خلع الطائع لله من الخلافة وذلك لما عزم الملك بها الدولة بن عضد الدولة على خلعه ركب إليه وقبل الأرض بين يديه ووضع له كرسي فجلس عليه وازدحم الناس فتقدم بعض أصحاب بها الدولة وجدب بحمايل سيف الطائع لله وهو متقلد به فأخرجه عن سريره وتكاثر الديلم عليه فلفوه في كساء وحملوه إلى حرامة من دور المملكة واعتقل بها ونهبت دار الخلافة يومئذ وانصرف الملك بها الدولة إلى داره وأظهر أمر الخليفة القادر بالله ونودي بذلك في الأسواق ثم أشهد على الطائع لله بخلعه نفسه وتسليم الأمر إلى القادر بالله طائعاً في شهر شعبان فكانت مدة مملكة الطائع لله سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وستة أيام وأقام مخلوعاً معتقلاً إلى أن توفي ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلثماية وعمره ست وسبعين سنة وصلى عليه القادر بالله.

صفته كان أبيض أشقر.

وسيرته كان جواداً كريماً إلا أن يده كانت قصيرة مع بني بويه فإنهم كانوا الملوك وليس للخليفة إلا مجرد الاسم.

قال المؤرخ إن مدة خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وستة أيام أولها يوم الخميس وآخرها يوم السبت لتتمة ثلثماية وثمانين سنة وسبعة أشهر وتسعة عشر يوماً للهجرة ولتمام ستة ألف وأربع ماية وثلاث وثمانين سنة وشهرين وثلاثة أيام للعالم شمسية.

والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في أيامه إن السمسق ملك الروم مات يوم الثلاثاء حادي عشر (244) كانون الثاني سنة ألف ومايتين سبع وثمانين للإسكندر الموافق لسبع خلون من جمادى الأولى سنة خمس وستين وثلثماية فكانت مدة ملكه ثلاث سنين وشهر واحد واستقر الملك بالروم بعده لباسيل وقسطنطين ابني رومانس وانفرد باسيل بتدبير المملكة لأنه الكبير وكان عمره يومئذ ثمان عشرة سنة وسير باسيل بردس السقلاروس البطريق إلى هربط وخرج إليها ثم مضى بردس السقلارس إلى ملطية وكبتها وقبض على الباسليق وأخذ ما عنده من الأموال وهي ست قناطير وعصى على الملك ودعى لنفسه فاجتمع عليه خلق كثير من الروم والأرمن والمسلمين واستولى على تلك الجهة بأسرها فسير إليه الملك باسيل الجيوش والتقوا في القبادوق فانهزم عسكر باسيل الملك وقوي السقلاروس وعظمت حاله.

فأحضر الملك بردس الفقاس بن لاون أخا نقفور من النفي وكان له بالجزيرة سبع سنين وجعله دمستقاً وقائد الجيوش وسيره للقاء السقلاروس فالتقيا فانهزم بردس الفقاس لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثماية وقتل بينهم خلق كثير.

وأرسل السقلاروس بطريق أصحابه اسمه عبد الله المنتصر من أهل ملطيه إلى أنطاكية وكانت حينئذ الثغور وبلد الشرق للسقلاروس وكان بحلب أسقف اسمه اغابيوس طلبوه الأنطاكيون ليكون بطركاً عليهم وأرسلوا إلى حضرة الملك فلما دخل إليه أنهى إليه حال المدينة وطاعة أهلها له ومحبتهم فيه وأرسله الملك إلى عبد الله المنتصر ليستميله إلى طاعته وأودعه متى أعيدت له الدعوة بأنطاكية جعله بطركاً عليها مدة حياته ويفي له بجميع ما يضمنه اغابيوس الأسقف فسار اغابيوس متنكراً في زي راهب ودخل إلى أنطاكية واجتمع بعبد الله (245) وقرر معه الأمر فدخل عبد الله في طاعة الملك وأعاد الدعوة له بها وقطع اسم السقلازوس.

وصير اغابيوس بطركاً على أنطاكية يوم الأحد الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة ألف ومايتين سبع وثمانين للإسكندر.

فلما بلغ السقلاروس ذلك أرسل بهرام إلى أنطاكية ليستميل أهلها إلى طاعته فلم يمكنوه الأنطاكيون إلى الدخول إليها فحاصرهم وساق أموالهم ومواشيهم التي في ظاهرها وكانت كثيرة جداً ورحل عنها.

وأرسل السقلاروس إلى عضد الدولة هدايا وألطاف وطلب منه أن ينجده على الملك فأرسل إليه طائفة من عسكره نجدة وقبل وصولهم إليه التقى من بردس الفقاس قائد عسكر الملك دفعة ثانية فانهزم السقلاروس يوم الأحد لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وثلثماية إلى ميافارقين.

ثم سير إلى عضد الدولة يلتمس عنه النجدة والمعونة وسير الملك كاتبه نقفور إلى عضد الدولة بهدايا جليلة ووعده بإخراج كل أسير في بلاد الروم من المسلمين فأوعز عضد الدولة إلى نائبه بميافارقين سرابان يقبض على السقلاروس وأظهر عضد الدولة الإنكار على نائبه لما فعله وأمره أن يحمله إلى بغداد فحمله ومعه ولده رومانس وثلثماية نفس من أصحابه فلما وصل السقلاروس بغداد أنزله عضد الدولة في دار خليت له ووسع عليه الجزيرة مديدة واعتقله ووعد بأن يطلقه ويرسل معه جيشاً لمحاربة الملك وسير عضد الدولة إلى الملك في معنى السقلاروس وبذل له أنه يعطيه إياه أن يسلم إليه جميع الحصون التي افتتحها الروم من المسلمين وطلب منه أن يسلم ذلك جميعه إليه وإلا فهو يخرجه ويمده بالعساكر والأموال فسير (246) ملك الروم إليه نقفور ليتفق معه على ما يرضيه فاعلم السقلاروس عضد الدولة أن نقفور حضر صحبته سماً يسم عضد الدولة به فلما وصل قبض عليه واعتقله وقبض على جميع ما معه من الناس والمتاع واعتل عضد الدولة ومات وبقي والجماعة في الاعتقال مدة ثماني سنين.

قال وقدم افرهام السرياني بن زرعه بطركاً لليعاقبة على كرسي الإسكندرية في سنة ستماية وثلاث وتسعين للشهدا وهي السنة الثالثة من خلافة العزيز بالله بن المعز صاحب مصر وذلك في سنة سبع وستين وثلثماية أقام ثلاث سنين وستة أشهر ومات مسقياً من أحد كتاب النصارى لإنكاره عليه التسري وبعد وفاة البطرك قطعت يد الكاتب المذكور في أيام الحاكم ومات لوقته وكانت سيرة هذا البطرك فاضلة ويصدق بجميع ماله وأبطل الشرطونية.

وفي أيامه كان سويرس بن المقفع أسقف الاشمونين وخلا الكرسي بعده ستة أشهر وصير عوضه فيلابانوس بطركاً على الإسكندرية لليعاقبة في سنة إحدى وسبعين وثلثماية أقام أربع وعشرين سنة وسبعة أشهر ومات في ثالث هتور وقيل إنه قدم في السنة الخامسة للعزيز بن المعز صاحب مصر في برمودة وفي بطركيته مات العزيز صاحب مصر وتولى موضعه الحاكم ولده.

وفي أيامه كان الواضح المنتصر المعروف بابن رجا الشاهد الذي حمله القديس مرقوريوس من بطحا مكة إلى كنيسته بمصر في ليلة واحدة وكان ذلك في حياة سويرس بن المقفع أسقف الاشمونين وصنف أربعة كتب الأول الواضح وهو مشهور والثاني نوادر المفسرين وتحريف المخالفين والثالث هتك المحجوب والرابع سيرته.

وكان هذا البطرك محباً لجمع المال والأكل والشرب والطيب وملازمة الحمام أخذ الشرطونية وقدس في بيعة مرقس الإنجيلي (247) ورأى رؤيا اضطرب منها ومات.

وفي أيامه أخذت الملكية كنيسة السيدة من اليعاقبة وتعرف الآن عندهم بكنيسة البطرك وسببه أن العزيز بالله صاحب مصر تزوج امرأة نصرانية ملكية ورزق منها بنتاً وكان للمرأة إخوان أحدهما اسمه ارميس صيره بطركاً على بيت المقدس والآخر ارسانيس صيره بطركاً للملكية على القاهرة ومصر وكان لهما من العزيز جانب لأنهما أخولة ابنته وتقدما في مملكته وان ارسانيوس طلب الكنيسة من العزيز فأمر أن تعطى له.

قال وفي سنة ثلاث وسبعين وثلثماية قبض العزيز بالله صاحب مصر على وزيره يعقوب بن يوسف وعلى الفضل بن صالح وإخوته وحمل ما في بيوتهم إلى القصر وحمل من دار الوزير مايتي ألف دينار مصرية ذهبا واعتقلوا كل واحد بمفرده وتشوشت الناس ونهبت الأسواق وركب الوالي وسكن الناس وكانت الدواوين تجلس في دار الوزير فنقلوا إلى القصر وبعد شهرين أفرج عنهم وأعيد عليهم جميع موجودهم وأعيد الوزير يعقوب إلى وزارته ورد عليه المايتي ألف دينار التي كانت أخذت من داره.

قال وفي هذه السنة ملك الروم قلعة في بلد رعيان تعرف بقلعة إبرهيم وسببه أن امرأة أرمينية كانت أسيرة في القلعة وكان لها إخوة في بلد رعيان نساء ورجال وكان من أخواتها امرأة حازمة وعندها خبرة وتجربة وكانت تتردد إلى أختها الأسيرة وتزورها وتقعد عندها وتبات في الليل عندها فرأت القلعة قليلة الحرس وصاحبها قليل الاهتمام بتحصينها فعملت الحيلة على أخذ القلعة واطلعت على أعلى السور وقعدت (248) كأنها تغزل وتتحدث مع أختها وخزرت طول الموضع من أعلى السور إلى أسفله ومضت إلى أخواتها والرجال وعرفتهم الصورة وسهلت عليهم القضية وحملتهم على عمل سلالم حبال يصعدون بها إلى القلعة واتفق أن صاحب القلعة في تلك الليلة شرب عند حرمه واختلى بهم فلما طلعوا الرجال الأرمن لم يجدوا على الأسوار من الحراس سوى نفرين فقتلوهما وهجموا على صاحب القلعة فقتلوه هو وأولاده ونادوا باسم باسيل ملك الروم ودعوا له فلما علم باقي من في القلعة خرجوا هاربين وصارت القلعة بيد الأرمن فأرسلوا إلى الملك باسيل بأن يسلموها إليه فتسلمها منهم وأحسن إليهم وأنعم عليهم وجعل مقدمهم من أكابر قواده وحضر الملك إلى القلعة ونقل إليها كلما تحتاجه من السلاح والآلات والطعام وغيره.

قال وفي سنة خمس وسبعين وثلثماية امتنع سعيد الدولة أبو الفضائل من حمل المال الذي قرر عليه للروم في كل سنة فسار بردس الفقاس إلى داره وقاتلها وفتحها بالسيف وسبى أهلها في صفر سنة خمس وسبعين وثلثماية وسار سعيد الدولة إلى دير سمعان في عمل أنطاكية فحاصره في ثلاثة أيام وفتحه بالسيف يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الآخر من هذه السنة وقتل جماعة من الرهبان المقيمين فيه وكان ديراً عامراً أهلاً وسبى خلقاً كانوا التجؤوا إليه من بلاد أنطاكية ودخل بهم إلى حلب أسرى واتصل بالملك باسيل ما جرى على دير سمعان وكتب إلى بردس الفقاص بالانصراف عن أفاميه وكان قد نزل عليها وحاصرها.

وفي هذه السنة استولت البلغر على حصن تلناس فولي باسيل الملك بالعساكر لاون المليسنوس وسار بالعساكر ونزل على تلناس وغضب الملك على البرنكس وأبعده (249) وأمره بلزوم داره فأرجف العسكر بعصيانه فرحل العسكر عن تلناس فغضب الملك باسيل على المليسنوس لهذا الأمر فخيره الملك في إحدى حالتين وهما إما أن يعود إلى حصن تلناس ويأخذه أو يعود بالمال الذي أنفق على العساكر عند خروجها إليه فضمن أن يعود ويأخذه وعاد ومعه الجيوش ونزل على الحصن فأخذه.

وخلع الملك بردس الفقاس من الدمستقيه وجعله دوقس على المشرق وولاه أنطاكية.

وفي سنة ست وسبعين وثلثماية وجد بردس الفقاس الهدنة مع أبي الفضائل بن حمدان على أن يحمل إلى الملك في كل سنة أربع ماية ألف درهم فضة وكتب بينهم بذلك كتاب.

وفي هذه السنة تحيل ولدا سمويل اللذان كان السمسق اعتقلهما في البلاط وهي ثامنه محبسهما على فرسين كانا قد أعداهما للهزيمة فلما وصلا إلى الدرب النافد إلى البلغرية وقف الفرسان اللذان تحتهما فنزلا عنهما واختفيا في الجبل خوفاً ممن يلحقهما وسبق الكبير الصغير في طريقه فقتله البلغر غلطاً وظنوا أنه من اللصوص وجاء الصغير في الأثر فعرفهم بنفسه فأخذوه وملكوه عليهم واجتمع إليه من البلغر خلق كثير وغزوا بلاد الروم فتوجه الملك باسيل نحوهم في جيوش عظيمة ونزل على مدينتهم المسماة اارية فبلغ الملك أنهم أخذوا عليه الدرب فانهزم بعساكره لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وثلثماية وتبعه البلغر ونهبوا أطراف عساكره وذلك في السنة العاشرة من ملكه.

واتصل ذلك بالسقلاروس وهو معتقل ببغداد فراسل صمصام الدولة في إطلاقه لينتهز الفرصة في باسيل الملك والتمس أن ينجده بالرجال والعدد

(252) وطلب الملك لنفسه ولبس الخف الأحمر وأرسل السقلاروس إلى قسطنطين أخي باسيل الملك وسأله أن يصلح أمره مع أخيه باسيل الملك ويعود إلى طاعته ويصفح عن ذنبه فأجابه إلى ذلك وخلع نفسه في مستهل رجب سنة تسع وسبعين وثلثماية وأحضره قسطنطين إلى أخيه باسيل ملك الروم ووطئ بساطه واستقر الحال على أن يجعل السقلاروس قربلاط.

وغضب باسيل الملك على اغابيوس البطريرك ونفاه عن أنطاكية وألزمه المقام في أحد الأديرة بالقسطنطينية وله يومئذ في الرئاسة اثنتي عشرة سنة وكان السبب في ذلك أنه وجد في صناديق بردس الفقاس كتاباً من اغابيوس البطرك يصوب رأيه في الخروج عن طاعة الملك ويقوي عزيمته فأقام في النفي قريباً من سبع سنين.

وفي هذه المدة تعمل الشرطونيات في كرسيه.

وفي السنة الرابعة عشرة من ملك باسيل ملك الروم وهي سنة تسع وسبعين وثلثماية حدثت بالقسطنطينية زلازل عظيمة ووقع ثلث كنيسة اجيا صافيا وخسفت دور كثيرة في نيقوميديه على سكانها وجدد باسيل ما سقط في كنيسة اجيا صافيا ورده إلى ما كان عليه.

وفي مدة عصيان الفقاس واشتغال باسيل الملك لغزوه انتهز البلغر الفرصة وغزوا بلاد الروم دفعات وأحرقوا وأخربوا ونهبوا إلى بلد سلوقيا فتجهز باسيل الملك لغزوهم وخرج إلى طراقية في سنة ثمانين وثلثماية واستدعى السقلاروس ليتوجه معه إلى الغزاة وكان مريضاً فحمل إلى بين يدي الملك في سرير فلما شاهد حاله أمره بالمقام في بيته ووصله بقنطار من ذهت ليتصدق به وتوجه الملك على البلغر وبعد أيام يسيرة مات السقلاروس وذلك في سابع عشر من ذي الحجة سنة ثمانين وثلثماية (253) وكان بين قتل بردس الفقاس وموت السقلاروس دون سنتين.

وأما باسيل الملك فإنه لقي البلغر وهزمهم وأقام وغازياً بلادهم أربع سنين وفتح حصوناً كثيرة من حصونهم وحفظ بعضها وأخرب ما علم أنه لا ينضبط وفي جملة ما أخرب مدينة باريا.

وحدث بمصر ليلة السبت السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وثلثماية رعد شديد ورياح عواصف ولم تزل إلى نصف الليل واسودت المدينة سواداً لم يروا مثله إلى وجه الصبح وخرج من السماء مثل عمود نار واحمرت منه السماء والأرض احمراراً شديداً وكان يظهر في الجو غبار كثير يأخذ النفس ولم يزل كذلك إلى الساعة الرابعة من النهار وظهرت الشمس متغيرة اللون ولم تزل تطلع متغيرة اللون إلى يوم الخميس ثاني المحرم سنة تسع وسبعين وثلثماية.

وظهر كوكب له ذؤابة في المغرب ليلة الأحد العشرين من ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وثلثماية وأقام نيفاً وعشرين يوماً يظهر كل ليلة ثم غاب بعد ذلك.

وفي سنة ثمانين وثلثماية مات الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس وزير العزيز بن المعز صاحب مصر في ذي الحجة ووكان رجلاً جيد العقل حسن السياسة كثير الهيبة خبيراً بتدبير المملكة وكان يهودياً في أول أمره وأسلم في أيام كافور الإخشيدي وتصرف في بعد خدمه وخرج بعد موته إلى الغرب وقصد المعز لدين الله وحمله إلى قصد الديار المصرية فلما دخل المعز إلى مصر قلده خراجها ولم يزل ينظر فيه إلى أن قلده العزيز الوزارة وركب العزيز إلى داره يوم موته وصلى عليه وحزن وبكى وكان مستحقاً لذلك.

وفي سنة إحدى وثمانين وثلثماية حدث بدمشق زلزلة عظيمة ليلة السبت (254) سابع عشر المحرم وسقط فيها زهاء ألف دار ومات تحت الردم خلق كثير وخسف في تلك الليلة قرية من قرى بعلبك ولم تزل الزلازل متابعة إلى يوم الجمعة الرابع عشر من صفر وخرج الناس من دورهم إلى الصحارى.

الخامس والعشرون من الخلفاء العباسيين وهو السادس والأربعون القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر بن المعتضد.

بويع له بالخلافة لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلثماية وتزوج سكينة ابنة الملك بها الدولة بن عضد الدولة بن بويه في سنة ثلاث وثمانين على صداق ماية ألف دينار.

وفي سنة خمس وثمانين وثلثماية توفي الصاحب أبو القاسم بن عياد وزير الملك فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه وهو أول من دعي بالصاحب من الوزراء.

وسيرته كان فاضلاً عالماً كريماً مدبراً حسن السياسة والرسائل الحسنة البديعة والأشعار الجيدة الفائقة ومن جملة شعره قوله

وقد أحن لي من مات من كرم حنين أرض إلى متاحر المطر

وقد تبات يدي عن كأسها غصبا ومحب الادن أيضاً بعمه الوبر

حتى أملك هدي ما تجود به واسمع الحمد بالأخرى على الاتر

ومن قوله أيضاً

وسادن صفاته تعجر عنها صفتي

هوى لتقبيل يدي فقلت لامل شقتي

وفي سنة ست ثمانين وثلثماية كانت وفاة العزيز بالله صاحب مصر بالحمام ببلبيس في شهر رمضان وقد ذكرنا ذلك وكانت مدة ملكه (255) إحدى وعشرين سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوماً.

وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً.

سيرته كان جميل السيرة حسن السياسة شديد الاهتمام بمصالح الرعية.

قال ولما توفي العزيز صاحب مصر بويع بالخلافة لولده الحاكم بأمر الله الثالث من الفاطميين ابن أبي المنصور بن برار يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثماية وكان مولده بالقاهرة في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثماية ولما بويع له كان عمره إحدى عشرة سنة فقام بتدبير الأمر ارجوان الخادم بوصية أبيه العزيز بالله.

وفي سنة سبع وثمانين وثلثماية كانت وفاة فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه وذلك لعشر مضين من شعبان فقام بالملك بعده في الري وأعمالهما ولده مجد الدولة رستم بن فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه لقبه بذلك الخليفة القادر بالله وبعث إليه بالعهد والخلع السلطانية.

وفي هذه السنة استولى فانوس بن وسمكين على جرجان وطبرستان.

قال وفي سنة ثمان وثمانين وثلثماية كان مقتل صمصام الدولة بن عضد الدولة ومن حديث ذلك أنا كنا ذكرنا مخرجه من محبسه وبملكه بعض قلع الديلم وكان أبو نصر صهر فيروز وأبو القاسم ابنا عز الدولة بن معز الدولة بن بويه معتقلين بها من وفاة أبيهما ثم أنهما خدعا بعض الموكلين فأطلقوهما فجمعا جموعاً عظيمة وتلقب أبو نصر بنور الدولة محيي الأمة وقوياً وتلقب أبو القاسم بحسام الدولة سيد الأمة وقوياً وسار أبو القاسم إلى ارجان فملكها من نايب صمصام وقصدا صمصام الدولة فخاف منهما وقصد قلعة شيراز ليتحصن بها فغلق واليها الباب في وجهه فمضى في ثلثماية رجل إلى الأهواز فلقي بن عمه أبا القاسم بن عز الدولة فتقاتلوا فقتل صمصام

(256) وأتى برأسه إلى أبي نصر بن عز الدولة في طست فلما رآه قال هذه سنة سنها أبوك يعني بقتله عز الدولة بن عمه.

وفي سنة تسع وثمانين وثلثماية استولى السلطان يمن الدولة محمود بن سبكتكين صاحب الهند على أعمال خراسان وأخذها من عبد الملك بن نوح الساماني وهو آخر الملوك السامانية.

وفي سنة إحدى وتسعين وثلثماية كانت وفاة أبي الفضائل بن سعد الدولة بن سيف الدولة بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب وذلك في منتصف صفر فيقال إن جارية سقته سماً ويقال إن لولو غلام أبيه دس ذلك على أبي

الفضائل وكان له الأمر كله ولم يكن لأبي الفضائل إلا مجرد الاسم وكانت مدة مملكة أبي الفضائل تسع سنين وشهور وخلف ولدين أبا الحسن علي وأبا المعالي شريف فعقد لهما الملك بحلب وقام بأمرهما لولو الخراجي وابنه منصور بن لولو فبقيا كذلك مدة ثم أخرجهما لولو فمضيا إلى مصر واستقر الملك للولو وابنه منصور.

وفي هذه السنة قتل أبو نصر بن عز الدولة وأتي برأسه إلى بن عمه بهاء الدولة بن عضد الدولة وذلك بعد حروب طويلة جرت بينهما واستولى بهاء الدولة على ما كان بيد ابني عز الدولة.

وفي سنة سبع وتسعين وثلثماية خرج على الحاكم صاحب مصر رجل من بني أمية من ولدة هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحاكم واسمه الوليد وتلقب الناير بأمر الله وجرت بينه وبين الحاكم حروب كثيرة آخرها أن الحاكم ظفر به وقتله بمصر بعد إشهاره.

وفي سنة تسع وتسعين وثلثماية كانت وفاة لولو الخراجي صاحب حلب في ذي الحجة فملك حلب بعده مرتضى الدولة أبو نصر منصور بن لولو واستقر له الأمر فيها.

(257) قال وفي سنة إحدى وأربعماية خطب قرواس بن المقتدر صاحب موصل للحاكم صاحب مصر ثم مضى إلى الكوفة فأقام بها الخطبة للحاكم وكان الملك بها الدولة يومئذ بارجان فانزعج لذلك فكاتب قرواس ينكر عليه ما فعل فأزيلت دعوى الحاكم وأعيدت دعوى القادر بالله وبعث القادر لقرواس ما قيمته ثلاثين ألف دينار وعاتبه فإعتذر إليه.

وفي سنة اثنين وأربعماية أمر القادر بالله بكتب محضر يتضمن القدح في نسب خلفاء مصر وأن أصلهم من الديصانيه وأنهم خوارج وعلي بن أبي طالب بريء منهم وأشهد فيه جماعة من الأكابر منهم الشريفان الرضي والمرتضى وأبو حامد الأشقراني وأبو الحسن القدوري.

وفي سنة ثلاث وأربعماية كانت وفاة بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بويه صاحب العراق وذلك في شهر جمادى الأولى وكان حدث به صرع يبالغ عليه فقتله وكانت مدة ملكه بالعراق ثلاث وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وكانت وفاته بارجان فقام بالملك بعده ولده سلطان الدولة أبو سجاع وكتب له الخليفة القادر بالله العهود وخلع عليه وأقامه مقام والده وأقام بشيراز بتدبير الملك.

وفي سنة خمس وأربعماية خرج مرتضى الدولة أبو نصر منصور بن لولو صاحب حلب لمحاربة بني كلاب واستناب بالقلعة فتح غلام أبيه واشتد القتال بين مرتضى الدولة وبني كلاب فأسره صالح بم مرداش بن أبي إدريس بن نصر بن جميل من بني كلاب ثم باعه نفسه بنصف ما يملكه من عين وورق وعروض وأطلقه وعاد مرتضى الدولة هارباً إلى بلاد الروم ولما عصى الفتح بقلعة حلب وانتمى إلى الحاكم أقطعه الحاكم صيدا وبيروت وصور

ولقبه (258) مبارك الدولة وسعدها واستمر مقامه بحلب من قبل الحاكم وعدل على الرعية وأحسن إليهم ولم يزل كذلك حتى إن ورد عزيز الدولة أبو سجاع قائد في شهر رمضان سنة سبع وأربع ماية فعصى بحلب ودعى إلى نفسه.

وفي سنة إحدى عشرة وأربع ماية كان مقتل الحاكم بأمر الله وكان سببه أنه بعث إلى أخته ست الملوك ابنة عزيز يتهددها ويقول لها كلاماً قبيحاً فوافقت رجلاً من أكابر الأمراء يقال له ابن دواس على قتل الحاكم ووعدته أنه إذا قتله فوضت إليه تدبير المملكة.

وأحضرت عبدين من عبيد بن دواس ووهبتها ألف دينار وقالت لهما أصعدا إلى الجبل المقطم فأكمنا فيه فإن الحاكم يصعد إليه وليس معه الاركابين وصبياً فاقتلاه واقتلا الصبي والركابين ففعلا كما أمرتهما وقتلاه وحملا جثته إليها فدفنته عندها وفقدوا الناس الحاكم فماجوا واختلفوا واضطربوا ولم يدروا كيف أمره وقصدوا الجبل فلم يجدوا له أثراً فأحضرت ست الملوك وجوه الأمراء واستحلفتهم ورتبت الأمور وأحكمتها وألبست على ابن الحاكم ملابس الخلفاء وتوجته وأشهرت موت الحاكم فأقامت عليه المآتم وأحضرت الخادم صاحب السر وأمرته ان يضبط أبواب القصر ويقف بين يدي ابن دواس ويقول مولانا الطاهر يقول لكم هذا قاتل أبي الحاكم بأمر الله فأخذت السيف فقتلت بن دواس ثم قتلت العبدين وكلمن اطلعته على سرها ورتبت لأبي الحسن علي بن الحاكم اتابلي يقوم بتدبير الملك ولقبه الطاهر لإعزاز دين الله وكان مقتل الحاكم في شوال وكانت مدة مملكته خمس وعشرين سنة ونصف شهر وعمره سبع وثلاثين سنة.

(259) وسيرته كان رديء السيرة فاسد العقيدة مضطرباً في جميع أموره يأمر بالشيء ويبالغ فيه ثم يرجع عنه ويبالغ في نقضه وكان يطوف الأسواق ليلاً بنفسه ليطلع على أخبار الرعية وأحوالهم ورتب عجائز يدخلن على الناس ويستعملن أخبارهم وينقلن ذلك إليه وقبض على جماعة من النساء فقتلهن ونادى مناديه أن لا تخرج امرأة من منزلها ولا تشرف فوق سطحها وأمر الأساكفة أن لا يصنعوا أخفافاً للنساء فضج الناس من ذلك وعظم عليهم واشتد ظلمه وعسفه للرعية فدسوا إليه الرقاع المختومة فيها الدعاء عليه واقتضى الحال بهم إلى أن عملوا تمثالاً من قراطيس محشوة وألبسوه خفاً وازراراً ونصبوه في الطريق بصورة امرأة متظلمة وفي يده رقعة مختومة تتضمن كل شتم قبيح ولما جاز الحاكم بالصورة لم يشك أنها امرأة متظلمة فتقدم ليأخذ الروقة من يدها فوجدها تمثالاً فقرأ الورقة فوجد فيها ما استعظمه فأمر بإحراق مصر وقتل كلمن بها فقاتل المصريون عن أنفسهم قتالاً شديداً وأحرق مواضع كثيرة ثم صار يركب كل يوم ويظهر للناس أن الذي وقع من الحريق بغير علمه ولا أمره ويظهر التوجع والحريق يعمل والنار تسري والرعاع ينهب وبعد ثلاثة أيام اجتمع مشايخ مصر وأشرافها إلى الجامع ورفعوا المصاحف وضجوا بالبكاء والتضرع إلى الله تعالى وكتبوا للحاكم يقولون نحن عبيدك وهذه البلد بلدك وفيها حرمنا واولادنا وما

علمنا أن أحد منا جنا جناية أوجبت هذا وإن أمرت أن نرحل رحلنا وإن كان هذا بغير أمرك فأطلقنا نقاتل هؤلاء العبيد والأجناد فأجابهم إني ما أذنت لهم في ذلك ولا أمرت به ثم بعث إلى العبيد والأجناد سراً أن يستمروا (260) على ماهم عليه ويتأهبوا للقتال فقاتلوا قتالاً شديداً وعزم أهل مصر على قصد القاهرة فخاف الحاكم منهم فركب حماره ومضى إلى العبيد فصرفهم عن الحريق بعد أن أحرق ربع مصر ونهب نصفها ونهب العبيد نساء الناس ففشقوا بهن واشتراهن أهلهن من العبيد بالأموال وقتل جماعة من النساء أنفسهن خوفاً من العار قال وكان خلق من الجهال والرعاع يعتقدون في الحاكم الإلهية فكانوا إذا رأوه صاحوا يا إلاهنا يا محيي يا مميت.

وكان قد شدد على النصارى واليهود وأخرب كنائسهم وأجحف بهم فأسلموا منهم خلق كثير ثم رجع عن ذلك وسمح لمن أسلم بالردة عن الإسلام وأذن لهم في عمارة كنائسهم ويقال إنه قال لداعيه كم في جريدتك قال ستة عشر ألفاً يعتقدون أنك إله وحاصل الأمر إنه كان مجتمعاً له فساد العقيدة وعدم العقل.

وبويع بعده لولده أبي الحسن علي بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وذلك يوم الثلاثاء آخر شوال سنة إحدى عشرة وأربعماية للهجرة ستة عشر يوماً بعد قتل أبيه الحاكم وكان مولده بالقاهرة في ليلة الأربعاء لعشر خلون من شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلثماية وكان عمره لما تولى الخلافة ست عشرة سنة ولقب الطاهر لإعزاز دين الله.

قال وفي سنة ثلاث عشرة وأربع ماية وثب على أبي سجاع قائد صاحب حلب غلام له هندي اسمه بيروز فقتله على فراشه بالقلعة.

وهذا أبو سجاع كان أميراً على حلب من جهة صاحب مصر وتغلب بعد ذلك على حلب وعصي بها وكان تلقب بعزيز الدولة وكانت مدة ولايته خمس سنين وشهور.

ولما قتل عزيز الدولة استولى أبو المنجم بدر على البلد وكان أبو المنجم هذا غلاماً لمنجوبكين التركي مملوك العزيز صاحب مصر وكان بدر وعزيز (261) الدولة بينهما مودة وصحبة فلما ملك عزيز الدولة حلب اصطفاه وقربه وولاه قلعة حلب من جهته فلما قتل عزيز الدولة استولى بدر عليها وذلك في عاشر ربيع الأول ولقب نفسه ولي الدولة وأمينها ثم وردت العساكر المصرية من جهة الطاهر صاحب مصر فتسلموا حلب من بدر وكان معهم من قواد الطاهر صفي الدولة أبو الحسن علي بن جعفر بن بلاح الكتامي ويمن الدولة سعاده الخادم فتولى القلعة يمن الدولة وتولى المدينة صفي الدولة.

وفي سنة أربع عشرة وأربعماية عزل الطاهر صاحب مصر صفي الدولة الكتامي عن مدينة حلب وولاها سند الدولة أبا محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامي.

ابتداء دولة بني مرداش

أول من ملك منهم حلب صالح بن مرداش وقد ذكرنا نسبه وبعض أموره في حوادث سنة خمس وأربعماية فلما كانت هذه السنة قصد صالح حلب في جمع كثيف من بني كلاب وغيرهم وحاصرها حصاراً شديداً فسلم أهل البلد حلب إلى صالح صلحاً فتسلمها ودخلها في رابع عشر ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعماية وتلقب أسد الدولة فقصد إلى القلعة وفيها موصوف الخادم وكان طاهر قد عزل يمن الدولة وولاه مكانه وتحصن بالقلعة وأما صالح فإنه عدل في أهل البلد واستعمل معهم جميل السيرة واستخلف فيهم كاتبه أبا المنصور سليمان بن طوف ومضى إلى بعلبك وفتحها عنوة وقتل بها خلق كثير.

وأما سليمان بن طوف نائب صالح على مدينة حلب فإنه لما اشتد أمر حصار القلعة وقل عنهم الماء والمؤونة سلمها موصوف ورفيقه لسليمان بعد أن اشترطا وكتب سليمان إلى صالح يعلمه بفتح قلعة حلب (262) فقدم إليها في أقرب وقت وصعد إلى القلعة وملكها وقتل موصوف ورتب الأمور وسلك طريق العدل وصفت له البلاد من بعلبك إلى عرقه.

وفي هذه السنة كانت وفاة الملك سلطان الدولة أبي سجاع بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه وذلك في شيراز في شوال وكانت مدة ملكه بالعراق اثنتي عشرة سنة وعمره اثنتين وثلاثين سنة وكان لما مرض عهد إلى ولده أبي كالنجار بن سلطان الدولة وهو يومئذ بخورستان فخطبوا له ثم انثنى عزم القواد والأجناد فخطبوا لعمه شرف الدولة بن بهاء الدولة فجمع أبو كالنجار بن سلطان الدولة جيوشه والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً في وقعات متعددة فغلب هذا تارة وغلب هذا تارة وآخر الأمر أن أبا كالنجار ملك شيراز واستقر بها وأقام الملك شرف الدولة علي بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ببغداد ثم مات فيها عن مرض حاد وعمره ثلاث وعشرين سنة وأشهر ولما توفي جرت فتن وتحبيطات ببغداد وآخر الأمر أن الملك استقر لأخيه جلال الدولة أبي طاهر فيروز وهو يومئذ بالبصرة فخطب له على المنابر ثم بلت الأجناد وولوا ابن أخيه أبي كالنجار بن سلطان الدولة وخطبوا له وبلغ الخبر جلال الدولة فاحتشد وتحصن بالبصرة.

وفي سنة عشرين وأربعماية كان مقتل أسد الدولة صالح بن مرداش صاحب حلب وذلك أن صاحب مصر جهز بوسكين الدريري أمير الجيوش لقتال صالح بن مرداش وأخذ حلب منه فالتقوا بالأقحوانة من عمل طبرية على شاطئ نهر الأردن واقتتلوا قتالاً شديداً فقتل صالح وقتل معه ولده الأصغر في جمادى الأولى وبعث برأسهما إلى مصر وأفلت ولداه شبل الدولة أبو كامل نصر بن صالح ومعز الدولة أبو علوان بمال (263) فوصلا إلى حلب فملكاها شركة بينهما فكانت مدة مملكة صالح والدهما بحلب أربع سنين وشهور.

وفي سنة إحدى وعشرين وأربعماية وثب شبل الدولة على أخيه معز الدولة فأخرجه من حلب وانفرد شبل الدولة بمملكة حلب واستقر بها.

قال وفي سنة اثنتين وعشرين وأربع ماية كانت وفاة القادر بالله خليفة بغداد في شهر ذي الحجة فكانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وشهور ولم تكن هذه المدة لأحد من الخلفاء قبله وكان عمره ست وثمانين سنة وشهور.

سيرته كان صحيح الاعتقاد كثير البر والصدقات صالحاً متديناً إلا أنه كان مقهوراً على أمره والملك كله بيد بني بويه وكان ينشد دائماً هذه الأبيات.

سبق القضاء بكل ما هو كائن والله يا هذا لرزقك كائن

بعني ما يكفي ويترك ما به يعني كانك للحوادث آمن

أو ما ترى الدنيا ومصرع أهلها فاعمل ليوم فراقها يا خائن

واعلم بأنك لا ينالك فالذي أصبحت تجمعه لغيرك خازن

يا عامر الدنيا أتعمر منزلاً لم يبق فيه بالمينه ساكن

الموت شيء أنت تعلم أنه حق وأنت بذكره متهاون

إن المينة لا تومر من أنت في نفسه يوماً ولا تستأذن

وكان يقول لله تعالى المنة علينا إذ ألهمنا لذكره ووقفنا لشكره إن أهل المعاصي هانوه ولو توكلوا عليه لعصمهم.

قال المؤرخ كانت خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً أولها يوم الجمعة وآخرها يوم الاثنين لتتمة أربعماية وإحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً للهجرة لتمام ستة ألف وخمسماية وثلاث وعشرين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام شمسية للعالم.

والذي ورد تواريخ النصارى من الحوادث في أيامه رضي الله عنه إنه قدم في سنة ثلاث وتسعين وثلثماية البطرك ابنا زخرياس في السنة السابعة من خلافة الحاكم صاحب مصر في يوم الأحد العشرين من بابه (264) سنة سبعماية وعشرين للشهداء أقام ثمان وعشرين سنة منها في الاصطهاد سبع سنين ورمي للسباع بأمر الحاكم هو وسوسنه النوبي بعد أن جوعت السباع فلم تضرهما واعتقلوا ثلاثة أشهر وأفرج عنهما وخفي تسع سنين ومات في ثامن طوبه سنة سبع ماية وثمان وأربعين للشهدا ودفن في الحبش وخلا الكرسي بعده أربعة وسبعين يوماً.

وفي سنة سبع وأربعماية وثب أحد أكابر البلغر على القطومرس غلام سمويل الذي كان ملك على البلغر فقتله وجار مملكة البلغر وكتب إلى الملك باسيل بأن يكون من الداخلين في طاعته وأقام على ذلك سنة واحدة وقتله بعض أصحابه فكتب أكابر البلغر إلى الملك باسيل برغبتهم إليه ودخولهم في طاعته فسار ملك الروم إلى البلغر في شوال سنة ثمان وأربعماية واستولى على مملكة البلغر وولى على القلاع ولاة من الروم وذلك في السنة الرابعة وأربعين من مملكة باسيل الملك وفي سنة ألف وثلثماية وثلاثين للإسكندر وعاد الملك إلى القسطنطينية واختلط الروم بالبلغر وتزوجوا من بعضهم البعض وزالت تلك الضغائن التي بينهم.

قال وفي سنة ثمان وأربع ماية ورد إلى مصر داع عجمي يسمى محمداً بن إسمعيل وتلقب بالدرري وقصد خدمة الحاكم وأحسن إليه وأنعم عليه فدعى الناس أن يعتقدوا في الحاكم أنه الإله الذي صنع العوالم وأعلن هذه الدعوة وأشهرها ولم ينكر الحاكم عليه بل أحسن إليه وشكره على ذلك وأنكر الناس هذا الاعتقاد وعملوا على قتل الدرري ووثب عليه بعض الأتراك في مركب الحاكم فقتله ونهب داره وافتتن الناس وغلقت أبواب القاهرة واستمرت الفتنة ثلاثة أيام وقتل جماعة من الدررية وقبض بعد ذلك على (265) التركي قاتل الدرري وحبس وقتل على ذنب خلق له.

وظهر بعد ذلك الدرري داع آخر عجمي يسمى حمزة بن أحمد ويلقب بالهادي ونزل بظاهر القاهرة في الموضع المعروف بمسجد بير ودعى الناس إلى مقالة الدرري وأقام جماعة من الدعاة وثبتهم في مصر وأعمالها والشامات ودعوا إلى الإباحة وفسحوا نكاح الأخوات والابنات والأمهات وأسقطوا جميع التكلفات من الصوم والصلاة والحج واستجاب لهم خلق كثير وكان الحاكم يعتني بالهادي ويسأله عما حصل من أهل دعوته وعددهم.

وقطع الحاكم ما جرى به رسمه من صلواته وخطبه في الجوامع في أيام الجمعة وفي شهر رمضان والعيدين وعطل الحج إلى مكة عدة سنين واحتج بثعلب العرب وانقطع حمل الكسوة التي جرت العادة بتجهيزها إلى الكعبة اليمانية واستشعر المسلمون بما ظهر من هذه الأمور لانحرافه عن دين الإسلام وظهلا مذهب الدررية واشتهر بين الأنام وأكثرهم بوادي النمر وصور وصيدا وجبل بيروت وما جاوزها من بلاد الشام.

قال المؤرخ قدم البطرك سانوتيو لليعاقبة على الإسكندرية في السنة العاشرة من خلافة الطاهر صاحب مصر وهي سنة إحدى وعشرون وأربع ماية يوافق ذلك سنة سبع ماية وثمان وأربعون للشهدا في يوم الأحد خامس وعشرين برمهات أقام خمس وعشرين سنة ونصفاً وتنيح في بابه سنة سبع ماية وأربع وسبعين للشهدا وكان محباً للمال وأخذ الشرطونية وخلا الكرسي بعده سنة وخمسة أشهر.

(266) السادس والعشرون من الخلفاء العباسيين وهو السابع والأربعون القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر بن إسحق بن المقتدر بن المعتضد.

بويع له بالخلافة يوم توفي والده القادر وهو يوم الاثنين الاثني عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعماية وكان والده جعله ولي عهده وخطب له بذلك على المنابر.

وفي هذه السنة قصد الملك جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بغداد واستولى عليها وخطب له على المنابر وخلع عليه الخليفة القائم بأمر الله الخلع السلطانية وولاه ما وراء بابه وزاد في ألقابه شاهنشاه الأعظم ملك الملوك واستقر له الأمر.

وفي سنة ست وعشرين وأربعماية ورد كتاب السلطان يمن الدولة محمود بن سبكتكين بأنه فتح في بلاد الهند مدناً كثيرة وقتل من الكفار بها خمسين ألفاً وسبى سبعين ألفاً وغنم ما يزيد عن ألف ألف دينار وإذ عاد وجد الغز قد أفسدوا عليه فأوقع بهم وفتح جرجان وطبرستان وبلاداً كثيرة.

وفي سنة سبع وعشرين وأربعماية كانت وفاة الطاهر صاحب مصر بالقاهرة في شعبان فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة وشهور وبويع لولده المستنصر بالله أبي تميم معبد بن الطاهر بن الحاكم يوم توفي والده وهو يوم الأحد نصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعماية وعمره يومئذ ثمان سنين وشهور وقيل ست سنين وشهور ولم يبايع لأحد قبله أصغر منه سناً ومولده كان بالقاهرة يوم الثلاثاء (267) رابع عشر ذي الحجة سنة عشرين وأربع ماية فكانت مدة خلافته ستين سنة فلم يل الخلافة قبله مثل هذه المدة إلا الناصر لدين الله عبد الرحمن بن المنذر الأموي خليفة الأندلس ولي قريب من ذلك.

ابتداء السلاطين السلجوقية.

قال في سنة ثلاثين وأربع ماية كان ابتداء السلاطين السلجوقية فأول من بويع منهم طغرلبك أبو طالب محمد وأخوته جقربك داود وفيروز وأرسلان هؤلاء أولاد ميكائيل بن سلجوق بن دقاق وكان دقاق رجلاً تركياً شهماً صاحب رأي وتدبير وهو أول من دخل في دين الإسلام منهم وكان ملك الترك يتدبر برأيه يستصحبه في حروبه بين الأتراك ولما توفي دقاق خلف ولده سلجوق وبلغ أشده ففوض إليه ملك الترك تدبير عساكره ثم عزم ملك الترك على قتله خوفاً من عائلته فبلغ ذلك سلجوق فهرب إلى ملك الجابية شهاب الدعوة هرون فاستنجد به ليغزو بلاد كفرة الترك فامده بجيش كثيف فقتل سلجوق شهيداً من بعض الكفار وكان عمره يومئذ ماية وسبع سنين وخلف ولده ميكائيل بن سلجوق ونشأ لميكائيل الأولاد الذين ذكرنا أسماؤهم وكان مقامهم في ما وراء النهر وكان في طاعة ميكائيل هذا خلق عظيم من الترك ولا يتدبرون لأحد غيره واتفق أن السلطان محمود بن سبكتكين سلطان الهند عبر نهر جيحون

لمساعدة وورخان ملك ما وراء النهر فأتى ميكائيل إلى السلطان محمود فأعجبه همته وشجاعته وانقياد قبيلته إليه فطلب منه أن يكون صحبته وأن ينزله إذا عاد في أرض خراسان ليحميها من العدو فلم يجبه إلى ذلك فغضب السلطان محمود عليه واعتقله ثم رجع السلطان وهو باعتقاله (268) فتبعه أصحاب ميكائيل وقبيلته فأقاموا بمرج خراسان ثم توفي السلطان محمود وهو نادم على أتراك الأتراك أصحاب بن سلجوق في بلاده خائفاً منهم كاره لمكانهم.

ولما توفي السلطان محمود بن سبكتكين ملك ابنه أبو سعيد مسعود بن محمود فجهز إلى أصحاب بن سلجوق من عشيرته عسكراً فهزمهم وكسرهم وأسر منهم جماعة ثم توفي ميكائيل بن سلجوق فاجتمعت السلجوقية الأتراك على ولده أبي طالب محمد الملقب طغرلبك فحارب عسكر مسعود بن محمود فكسرهم وقتل منهم خلقاً وأسر خلقاً وتبعهم طغرلبك إلى طوس فهجم البلد وملكه وهو أول بلد صار بيد السلجوقية واجتمع طغرلبك وأصحابه فيه وحصنوه ثم خرجوا منه إلى نيسابور فملكها فأما السلطان مسعود فإنه هرب إلى الهند وأوغل في بلادها وأقام فيها زمناً وخلت خراسان منه وطمع السلجوقية في البلاد واستولوا عليها وأخذوا أموالها وعاد السلطان مسعود لما بلغه ذلك فقاتله بنوا سلجوق فهزموه فأرسل القائم بالله يعظهم ويحثهم على حفظ بلاد المسلمين ثم قاتلهم مسعود ثانية فهزموه هزيمة ثانية قبيحة واستقر ملكهم.

وفي سنة إحدى وثلاثين وأربعماية ظهر السلطان مسعود بن محمود على طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق وهزمه وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً وأسر منهم جماعة وأخذ سلاحهم.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وأربعماية عاد السلطان طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق إلى نيسابور وانهزم السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين إلى غزنة واستولى أصحاب طغرلبك على خراسان وظهر من قتلهم للناس وسفكهم الدماء ما لا يحد ولا يعد.

(269) وفي سنة ثلاث وثلاثين وأربع ماية كان استيلاء معز الدولة بن مرداش على حلب وذلك أن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداش كان قد أخرج أخاه معز الدولة من حلب وانفرد بالأمر دونه فجاء إليه أمير الجيوش بوسكين الدريري في جمع عظيم فتقاتلوا على نهر العاصي بين حماة وكفرطاب وشيرز وذلك في شهور سنة تسع وعشرين وأربعماية فقتل شبل الدولة نصر بن صالح فكانت مدة ملكه بحلب ثماني سنين وشهور.

فلما قتل شبل الدولة وصل أخوه معز الدولة حلب فملكها ثم خاف من الدريري أمير الجيوش أن يقصد حلب فولى في القلعة ابن عمه مقلد بن كامل بن مرداش الكلابي وسار معز الدولة إلى ناحية الفرات واستنجد ببني يمن وغيرهم من العرب على الدريري فلم يتم له أمر ووصل أمير الجيوش الدريري إلى حلب فملكها في رمضان سنة تسع

وعشرين وأربعماية فكان هذا الدريري مملوكاً تركياً وصل مع التجار إلى الشام فاشتراه درير الديلمي وكان درير الديلمي أميراً من أمراء الشام ووجوههم فأهداه درير إلى خليفة مصر فأقام عنده مدة ثم ظهر منه شهامة فقدمه الخليفة وترقب حاله إلى أن جعله أمير الجيوش وكان من استيلائه على حلب ما وصفناه ولما كانت هذه السنة سنة ثلاث وثلاثون وأربعماية توفي الدريري أمير الجيوش لست بقين من جمادى الأولى فسلم أهل حلب البلد إلى الأمير معز الدولة بمال بن صالح بن مرداش واستقر ملكه بها.

وفي هذه السنة قتل السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين ملك خراسان والهند وما وراء النهر وكان ملكاً شجاعاً حازماً بصيراً بالحروب حسن السياسة في رعيته وبلاده فقام بالملك بعده أخوه السلطان محمد بن محمود (270) وكان ابن أخيه مودود بن سعيد بغزنه فلما بلغه ذلك واستيلاء عمه على الملك سار إليه فقاتله فظفر به وقتله وعاد إلى غزنه واستقر ملكه بها.

قال وفي سنة خمس وثلاثين وأربعماية قدم من الغز ألف وستماية وخمسون فارساً ومعهم أربعة أمراء يقال لهم كوكياس وأبو علي بن الدهقان والحاج إسرائيل وأبو منصور فأفسدوا في البلاد بآمد وميافارقين وهي يومئذ بيد الأمير أبي نصر بن مروان وقصدوا نصيبين وقطعوا شجارها وحاصروها مدة ثم توجهوا إلى الموصل فخاف صاحبها قرواس بن المقتدر منهم فصالحهم على مال حمله إليهم فخربوا بلاد ديار بكر وبلاد جزيرة كلها ثم قصدوا الموصل وهجموها وقتلوا بها وسبوا وأفسدوا واستولوا عليها وأقاموا بها مدة ثم اجتمعت العرب عليهم من كل جانب وحصروهم وقاتلوهم حتى أخرجوهم من الموصل ثم جرت بينهم وبين العرب حروب كان الظفر فيها للعرب وقتل من الغز جماعة وانهزموا إلى ميافارقين فنهبوا ما أمكنهم ثم دخلوا أذربيجان.

قال وفي هذه السنة كانت وفاة الملك جلال الدولة أبي طاهر فيروز بن الملك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه صاحب بغداد فكانت مدة ملكه ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً بعده وخطب له على المنابر.

وفي سنة أربعين وأربعماية كانت وفاة الملك أبي كالنجار بن سلطان الدولة بن بويه فكانت مدة ملكه على العراف الأعلى أربع سنين وشهرين ولما توفي قام بالملك بعده الملك الرحيم أبو نصر ولده وقصد دار الخلافة فتغلب على بغداد وخلع عليه الخليفة القائم بأمر الله وتوجه وطوقه وسوره وهو آخر ملوك بني بويه.

(271) قال وفي سنة اثنتين وأربعين وأربع ماية توفي السلطان مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب الهند فملك بعده عمه عبد الرشيد بن محمود.

وفيها توفي الأمير معتمد الدولة قرواس بن المقتدر صاحب الموصل وكان اميراً شجاعاً عظيم القدر.

قال وفي سنة سبع وأربعين وأربعماية كان ابتداء السلاطين السلجوقية ببغداد وكان من حديث ذلك أن المظفر أبا الحارث رسلان التركي المعروف بالبساسري كان قد عظم قدره بالعراق واستفحل واستولى على البلد فطار اسمه وعظمت هيبته وخافته على أمراء العرب والعجم وخطب له على منابر العراق ولم يبق للملك الرحيم بن بويه إلا مجرد الاسم.

ثم بلغ الخليفة القائم بأمر الله أن البساسري قصد دار الخلافة للقبض عليه فكاتب الخليفة السلطان طغرلبك بن ميكائيل بن السلجوق وهو بنواحي الري يستصرخه ويحضه على المسير إلى العراق وكان البساسري يومئذ بواسط ففارقه جماعة من أصحابه وعادوا إلى بغداد فنهبوا دار البساسري وأحرقوها وقدم السلطان طغرلبك بغداد في رمضان والبساسري على الفرات إلى الرحبه وكاتب المستنصر بالله صاحب مصر وخطب له بالرحبة فأمده المستنصر بالأموال.

ولما وصل السلطان طغرلبك إلى بغداد قبض على الملك الرحيم وقطعت خطبته في سلخ رمضان وانقرض ملك بني بويه وكانت مدة ملكهم ماية سبع وعشرين سنة فسبحان من لا يزول ملكه.

ولما قدم السلطان طغرلبك بغداد قدم معه ثمانية عشر فيلاً ونزل بدار المملكة واستقرت له ببغداد السلطنة.

وفي سنة ثمان وأربعين وأربعماية تزوج الخليفة القائم بأمر الله خديجة أخت السلطان طغر لبك على صداق ماية ألف دينار.

(272) وفيها سار السلطان طغرلبك من بغداد طالباً بلاد الموصل ومعه المناجنيق والعرادات وكانت مدة مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً ومضى إلى تكريت وحاصرها ووقعت فتن بالكوفة وواسط وعين التمر وخطب بها للمستنصر بالله صاحب مصر.

قال وفي تسع وأربعين وأربع ماية خلع الخليفة القائم بأمر الله على السلطان طغرلبك الخلع السلطانية وتوجه وطوقه وسوره وكتب له عهداً على ما وراء بابه واستقرت سلطنته ومملكته ولم يبق له بالعراقين وخراسان منازع.

وفي هذه السنة سلم الأمير معز الدولة بمال بن صالح بن مرداش حلب إلى نائب المستنصر بالله صاحب مصر طوعاً لعجزه عن حفظها وذلك في ذي القعدة فكتب صاحب مصر إلى مكين الدولة الحسن بن علي بن يلهم بن دينار العقيلي يأمره بالمسير إلى حلب وأنه قد قلده حربها فدخل حلب متولياً عليها لأربع بقين من ذي القعدة.

وفي سنة خمسين وأربع ماية كان خلع القائم بأمر الله وأقيمت دعوة المستنصر بالله ببغداد وسببه أن السلطان طغرلبك كان قد صعد إلى الموصل ثم توجه إلى نصيبين لفتح البلاد وتمهيدها ومعه أخوه إبراهيم فراسل البساسري

إبرهيم أخا السلطان طغرلبك في العصيان على أخيه وأطمعه في الملك ووعده بمعاضدته فحالف إبرهيم الجند ومضى بجيش كثيف إلى الري عاصياً لأخيه ولما كان يوم الأحد ثامن ذي القعدة دخل البساسري بغداد ومعه الرايات المصرية مكتوب عليها الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين أبو تميم معبد فلما كان يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة خطب للمستنصر بالله صاحب مصر بالجامع وعقد الجسر وعبرت عساكر البساسري (273) إلى الجانب الشرقي وخطب للمستنصر بالله بجامع الرصافة ثم قبض البساسري على رئيس الروساء بن المسلمة وزير القائم بأمر الله فقيده وأركبه جملاً وألبسه جبة صوف وطرطور أحمر وجعل في رقبته جلوداً وطوف به في محال بغداد ووراءه من يصفعه وخيط عليه جلد ثور قد سلخ في ذلك اليوم وجعلت قرونه على رأسه وعلق بكلاليب ولم يزل يضرب حتى مات.

ومضى القائم بأمر الله إلى العسكر فضربت له خيمة بالجانب الشرقي ونهبت العامة دار الخلافة وأخذوا منها ما لا يحصى.

فلما كان يوم الجمعة لأربع مضين من ذي الحجة لم يخطب بجامع الخليفة ولا صلى فيه أحد وخطب بسائر الجوامع للمستنصر صاحب مصر وانقطعت دعوة بني العباس في هذا اليوم ثم حمل القائم بأمر الله إلى حديثه فاعتقل بها وسلم إلى صاحبها مهراس فكان عنده.

وفي سنة إحدى وخمسين وأربعماية أحضر البساسري قاضي القضاة أبا عبد الله بن الدامعاني والخطباء والأشراف من بني هاشم وأخذ عليهم العهود والبيعة للمستنصر بالله صاحب مصر.

وفي هذه السنة ظهر السلطان طغرلبك على أخيه إبرهيم فظفر به وخنقه بوتر قوس وقتل وفاء من التركمانية ممن كان عاضداً لإبرهيم وعاد السلطان إلى حالته وقوي وتوجه طالباً بغداد لقتل البساسري وإعادة الخليفة إلى داره وسير السلطان طغرلبك إلى الخليفة ألطافاً وأثواباً وخمسة ألف دينار وسير لزوجته خمسة وستين ثوباً نسائية ولما قرب السلطان من بغداد سار للقائه مهراس صاحب الحديثه ومعه الخليفة القائم بأمر الله وذلك لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة.

(274) ولما قدم السلطان طغرلبك بغداد نهب عسكره بغداد لا سيما الكرخ وجهز من الآلات والسرادقات والمراكب شيئاً كثيراً وسير جميعها إلى الخليفة القائم بأمر الله مع وزيره عبد الملك الكندري والأستاذ أبي بكر فضربت السرادق للخليفة فنزلها وأقام بها يومين ثم دخل بغداد والسلطان طغرلبك يمشي بين يديه وهو قابض على لجام بغلته حتى دخلا باب الحجرة وذلك لخمس بقين من ذي القعدة فكانت مدة غيبته عن بغداد سنة واحدة.

وأما البساسري فإنه قبل وصول السلطان إلى بغداد سار إلى واسط وجمع الغلات وتركها في السفن ولما بلغه دخول الخليفة والسلطان بغداد صعد إلى النعمانية فسير إليه السلطان حمار مكين في جماعة من الأمراء وطائفة من العسكر وهو يتبعهم بجيوشه في سلخ ذي القعدة وتقاتلوا فقتل البساسري وحمل رأسه إلى السلطان في ذي القعدة وعمل على قناة وطيف به بغداد ومضى السلطان إلى واسط ورتب أمورها وسكن الناس ثم عاد إلى بغداد في سنة اثنتين وخمسين وأربعماية وخلع عليه الخليفة وأكرمه.

ثم سار إلى الجبل واستخلف ببغداد وزيره عبد الملك الكندري ثم عاد إلى بغداد في هذه السنة بعد إصلاحه الجبل وترتيب أحواله.

وفي هذه السنة استولى عز الدولة محمود بن نصر بن صالح بن مرداش على حلب فإن معز الدولة صاحبها كان سلمها لصاحب مصر طوعاً وولاها صاحب مصر مكين الدولة الحسن بن علي بن يلهم فلما كانت هذه السنة عصى الأحداث من أهل حلب وسلموا البلد إلى عز الدولة محمود في مستهل جمادى الآخرة وبقي مكين الدولة بالقلعة في محاصرة عز الدولة (275) إلى أن حضر من مصر ناصر الدولة أبو علي الحسن بن حمدان نجدة لمكين الدولة فالتقوا على قنسرين فأسر ناصر الدولة بن حمدان ثم أطلقه عز الدولة محمود فمضى إلى مصر إلى المستنصر بالله.

فلما بلغ مكين الدولة الخبر بعث إلى أسد الدولة أبي دوابه عطيه بن صالح فسلم إليه مدينة حلب فدخلها في عاشر شعبان فأقام بقية ذلك اليوم ثم خرج عنها لما عجز عن حفظها فوصل عز الدولة محمود في ثاني عشر شعبان فتسلم مدينة حلب وأقام بها إلى أن خرجت هذه السنة.

وفي سنة ثلاث وخمسين وأربعماية استولى معز الدولة بن مرداش على مدينة حلب وكان بمصر فلما بلغه ما وقع من الحوادث والقتال خرج إلى الشام وجمع أقاربه وعشيرته ونازل حلب وبها محمود بن نصر وفتحها معز الدولة في شهر ربيع الأول ثم تسلم القلعة بذلك.

قال وفي هذه السنة طلب السلطان طغرلبك من الخليفة القائم بأمر الله أن يزوجه ابنته فامتنع الخليفة من ذلك وجرت مراسلات وتهديدات يطول شرحها.

وفي سنة أربع وخمسين وأربعماية رسم السلطان طغرلبك بأن يقصر يدي وكلاء الخليفة عن مال الديوان وطولع الخليفة بذلك وأشير عليه بأن يجيب السلطان إلى زواج ابنته فأجابه الخليفة وهو كاره فأفرج السلطان عما كان أمر بالقبض عليه من صياع الخليفة وسر السلطان بذلك سروراً عظيماً وسير إلى الخليفة هدايا عظيمة.

وفي هذه السنة كان وفاة معز الدولة بن مرداش صاحب حلب وذلك لست بقين من ذي القعدة ودفن بالقلعة في مقام إبرهيم وعمل له ضريح ودام الضريح إلى زمن الملك رضوان فأمر بقلع الضريح وبلط عليه واذهب أثره.

سيرته كان ملكاً (276) جواداً عادلاً حليماً ومما روي عن حلمه أن طشتداره كان يصب على يديه من الإبريق فغفل الطشتدار عن نفسه فضرب ببلبلة الإبريق ثنية معز الدولة فسقطت في الطشت ولم ينله من مكروه وقال هذا بقضاء الله وقدره.

ولما توفي معز الدولة استقر الأمر بحلب لأخيه أسد الدولة أبي دوابه عطيه بن صالح بن مرداش فوصل إليه عز الدولة محمود بن نصر أخيه فحاصره وحاربه مدة وطال الأمر فخرج أسد الدولة وسلم حلب لعز الدولة فملكها.

وفي سنة خمس وخمسين وأربعماية زفت ابنة الخليفة إلى السلطان طغرلبك ففرح بها وخلع على غلمان الخليفة جميعهم وأحسن إليهم.

قال وفي هذه السنة كانت وفاة السلطان طغرلبك يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان بالري فكانت مدة ملكه خمس وعشرين سنة وعمره سبعين سنة فكانت مدة اتصاله بابنة الخليفة ستة أشهر وأياماً وكان ملكاً حليماً سايساً مدبراً عظمت هيبته في القلوب وأطاعته الملوك وكاتبوه.

ولما توفي قام بالملك بعده ابن أخيه السلطان عضد الدولة الب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق واستقر ملكه وخطب له ببغداد وبعث إليه الخليفة العهد بالسلطنة واستوزر نطام الملك الطواسي.

قال وفي سنة ستين وأربع ماية عصى ناصر الدولة أبو علي الحسن بن حمدان وجماعة من القواد بمصر وحصروا المستنصر بالله في قصره وأخذوا جميع الأموال وركبوا إلى الوزير فطالبوه بالأموال ولم يكن معه ما يعطيهم فكتب إلى المستنصر رقعة أخبره فيها بحصورهم وما طلبوه فخرج جواب الرقعة بخط المستنصر شعراً

أصبحت لا أرجو ولا أتقي غير

إلهي وله الفضل

(277)

جدي ببني وأنا في أبي وقولي

التوحيد والعدل

المال مال الله والعبيد عبيد الله والإعطا خير من المنع وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ثم انصرف الجند عما كانوا بصدره وعادوا إلى الطاعة فخلع عليهم المستنصر بالله فسكنت الفتنة.

قال وفي سنة اثنتين وستين وأربعماية خطب الأمير عز الدولة محمود بن نصر صاحب حلب لأمير المؤمنين القائم بأمر الله والسلطان عضد الدولة وكان قبل ذلك يدعو للمستنصر صاحب مصر وسبب ذلك أن السلطان قصد حلب فحاصرها مدة فخرج إليه عز الدولة محمود مستعطفاً فخلع عليه واحسن إليه ورده إلى حلب ورحل عنه.

وفيها سار ملك الروم من القسطنطينية إلى الشام فنزل على منبج ستة عشر يوماً وسار إليه المسلمون فهزمهم وقتل وسبى ثم انقطعت الميره عن الروم فهلك أكثرهم جوعاً وعاد من بقي منهم إلى القسطنطينية.

وفي سنة ثلاث وستين وأربعماية سار السلطان ألب أرسلان نحو أخلاط في أربعين ألف فارس للقاء الروم فخرج إليهم بطريق في جموع عظيمة فنصر عليهم السلطان وأسر مقدمهم فجدع أنفه ثم وصل ملك الروم بنفسه فلقاه السلطان بمكان يعرف بالزهرة وذلك لخمس بقين من ذي القعدة فقاتلهم السلطان يوم الجمعة فهزمهم وقتل المسلمون منهم يومهم وليلتهم ما لا يحصى وأسر ملك الروم فأطلقه السلطان على أن يحمل ألف ألف وخمسماية ألف دينار وتقرر عليه قطيعة كل سنة ثلثماية ألف وستين ألف دينار وإطلاق كل أسير من في بلاد الروم من المسلمين.

فلما وصل ملك الروم إلى بلاده وجد أن الروم قد ملكوا غيره فأظهر الزهد ولبس الصوف (278) وبعث إلى السلطان مايتي ألف دينار وجوهراً قيمته تسعون ألف دينار وحلف أنه لا يقدر على غير ذلك.

ثم قصد ملك الروم مستضيفاً به فأخذه ملك الأرمن وشمل عينيه وبعث إلى السلطان وأعلمه بذلك.

وفي سنة أربع وستين وأربعماية كان مقتل السلطان ألب أرسلان وذلك أنه كان قد خرج من بغداد وعبر نهر جيحون في مايتي ألف مقاتل في شهر صفر وكان ببعض القلاع رجل خوارزمي اسمه يوسف قد امتنع وتحصن في القلعة فأمر السلطان أن يضرب له أربعة أوتاد وتشد أطرافه إليها فقال يوسف الخوارزمي يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان واحتد عليه وأخذ القوس والنشاب ورماه ثلاث مرات وهي تخطئ وكان إذا رمى لم يخطء فعدا يوسف إليه وضربه بخاصرته بسكين وأدرك الجند يوسف فقتلوه وشدت جراح السلطان وعاد إلى جيحون وتوفي لعشر مضين من ربيع الأول وكانت مدة مملكته تسع سنين.

وسيرته كان شجاعاً عادلاً حليماً حسن الطوية والاعتقاد مواظباً على الصلاة والصدقة كثير الخوف من الله مجاهداً في سبيل الله.

ولما جرح قال ما قصدت جهة إلا واستعنت بالله عليها إلا هذا الوجه ولما كان بالأمس صعدت تلاً فارتجت الأرض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي أنا ملك الدنيا ولا يقدر أحد على محاربتي ولم تخطر ببالي قدرة الله تعالى وأنا استغفر الله جل جلاله.

ثم أحضر الجند ووزيره نظام الملك وأوصاهم بولده ملكشاه واستحلفهم له ولما توفي أجلسوا في الملك بعده ولده السلطان جلال الدولة وجار إلى مرو فدفن بها والده.

ولما بلغ ماروبيل بن داود (279) وفاة السلطان سار إلى الري طالب الممالك فسبقه السلطان جلال الدولة ملكشاه والتقوا قرب همدان لأربع مضين من شعبان فهزم عسكر عمه ماروبيل ثم قبض عليه واتى به إلى ابن أخيه واستوثق الأمر لسلطان ماكشاه وخطب له على المنابر ببغداد وجميع الممالك.

قال وفي سنة سبع وستين وأربعماية كانت وفاة القائم بأمر الله أمير المؤمنين لعشر خلون من شعبان وكانت مدة خلافته أربع وأربعين سنة وسبعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً وعمره خمس وخمسين سنة وثمانية أشهر وثماينة أيام.

وسيرته كان رضي الله عنه عالماً حليماً رؤوفاً حسن الاعتقاد سليم الطوية عادلاً شديد الخوف من الله تعالى.

قال المؤرخ إن مدة خلافته أربع وأربعين سنة وسبعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً أولها يوم الثلاثاء وآخرها الخميس لتتمة أربع ماية ست وستين سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام للهجرة ولتمام ستة ألف وخمسماية ست وستين سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام للعالم شمسية.

ومما ورد تواريخ النصارى إن البطرك أبونا اخرسطودلس قدم بطركاً لليعاقبة على الإسكندرية في كهيك سنة سبعماية أربع وستين للشهدا أقام ثلاثين سنة ومات يوم السبت رابع عشر كيهك سنة سبعماية أربع وتسعين للشهدا وكانت وفاته بالمعلقة بمصر وخلا الكرسي بعده ماية واثني عشر يوماً وصير بعده أبونا كيرلس بطركاً على اليعاقبة بالإسكندرية في يوم أخذ الزيتونة سادس برمودة سنة سبعماية أربع وتسعين للشهدا وقيل إنه قدم في السابع والعشرين من امشير وكمل في ثاني وعشرين برمهات وأقام أربع عشرة سنة وثلاث شهور ونصفاً ومات يوم الأحد ثاني عشر بوونه سنة (280) ثمانماية وثمانية للشهدا بكنيسة المحتارة بجزيرة مصر وخلا الكرسي بعده ماية أربعة وعشرين يوماً.

السابع والعشرون من الخلفاء العباسيين وهو الثامن والأربعون المقتدي بالله أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله.

بويع له بالخلافة يوم توفي جده القائم بأمر الله وهو عاشر شعبان سنة سبع وستين وأربعماية فبايعه الأكابر والأشراف وصلى على جده ودفنه واستقرت خلافة المقتدي واستفحل أمره وعمرت بغداد في أيامه وخطب له باليمن والشام وبيت المقدس واسترجع المسلمون في أيامه الرها وأنطاكية من أيدي الروم وكانت له همة عالية وشجاعة وهيبة فقامت حرمة الخلافة.

وفي هذه السنة كانت وفاة عز الدولة محمود بن نصر صاحب حلب وكانت مدة مملكته الثانية بعد ان تسلمها من عمه عطية عشر سنين وكان شجاعاً كريماً ممدوحاً وهو الذي يقول فيه بن حبوس قصيدة.

أبى الله إلا أن يكون لك السعد وليس لما سعيه منع ولا رد

قضت حلب ميعادها بعد مطله وأبيض وصل ما مضى قبله صد

تهزلوا الوصل حولك غصبه إذا طلبوا نالوا وإن عقد وأشدو

وخطية سمر وبيض صوارم وصافته رعف وصافته جردو

ولما توفي عز الدولة قام بالملك بعده ولده الأمير نصر بن محمود بن مرداش وأمه ابنة الملك العزيز أبي المنصور بن جلال الدولة أبي طاهر بن بويه.

قال وقتل في سنة ثمان وستين وأربعماية وذلك إن وثب عليه جنده الأتراك بظاهر حلب فقتلوه لليلتين مضيتا من شوال فكانت مدة مملكته سنة واحدة (281) وكان سالك طريق والده في الكرم والعطاء والحزم وحسن السيرة وامتدحه ابن حبوس شاعره بقصيدة من جملتها.

كفا الدين دهراً ما قضاه لك

الدهر فمن كان ذا قدر فقد

وجب الدر

لقط طلب هدي البلاد بويلها

بوارقها بشر وأمطارها

تبر

إذا ما غمام خص أرضاً بغيته هما

هاطلا في كل قطر لنا

قطر

ثمانية لم تفترق مد جمعتها فلا

افترقت ما دب في ناظر

صفر

ضميرك والتقوى وجودك والغني

ولفظك والمعنى وغرمك

والنصر

بك بك الجأت للاوا وامتدت المنى

وضوعفت الألأ وافتخر

العصر

ومنها

يقبل المتمني عليك اعتذاره فقد

ضاق عن أوصافك البطم

والنتر

وهنيت جداً لا يقصر صاعداً

وليت أياماً عن اسمك يفر

ومنها

وجاد بن نصر لي بألف تصرمت

وإني عليم سوف يخلفها

نصر

قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفها له وأمر له بألف دينار في طبق فضة.

ويقال أنه لما امتدح ابن حبوس نصر ابن محمود بهذه القصيدة وأجاز عليها هذه الجائزة كتب بعض الشعراء إلى نصر وكانوا يترددون إلى بابه طالبين رفده فلا يؤذن لهم فكتبوا

(282) على بابك الميمون منا عصابة مفاليس

فارحم ضعف هؤلاء المفاليس

وقد قنعت منك العصابة كلها

بعشر الذي أعطيته لابن حبوس

وما بيننا هذا التفاوت كله

ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فأمر لهم بعشر الذي أعطاه لابن حبوس قال والله لو قالوا بمثل الذي أعطيته لابن حبوس لأعطيتهم مثله.

ولما قتل نصر بن محمود ملك حلب بعده أخوه الأمين سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداش وهو آخر ملوك بني مرداش بحلب.

قال وفي سنة تسع وستين وأربعماية قصد أيسر المعروف بالافسيس مصر وكان هذا أيسر قد استولى على حمص ودمشق وأعمالها ولما قصد مصر اضطرب أهلها وعزم صاحبها المستنصر بالله على الهرب في الليل فاجتمع أهل القاهرة والسودان مع الجيوش وخرجوا إلى أيسر وكسروه وهزموه وكان في جموع كثيرة فعاد مقتولاً وهجم في طريق الرملة وقتل من ظفر به وتوجه إلى القدس فقتل منه ثلاثة ألف إنسان وقتل القاضي والشهود صبرا بين يديه ومضى إلى دمشق.

وفي سنة سبعين وأربع ماية كتب السلطان جلال الدولة ملكشاه إلى أخيه تاج الدولة يأمره بالمسير إلى الشام وأخذها ظناً أن أيسر قد قتل في وقعته مع المصريين فسار تاج الدولة إلى ديار بكر فبلغه سلامة أيسر صاحب دمشق وبلغ أيسر مسير تاج الدولة إليه وبذل له مالاً يحمله إليه في كل سنة فرضي جلال الدولة بذلك وكتب إلى أخيه تاج الدولة وصرفه عنه ثم سار تاج الدولة إلى منبج ثم توجه إلى حلب وهي بيد السايق

(284) بن محمود بن نصر بن مرداش فامتنعت عليه ثم توجه تاج الدولة إلى حران ثم إلى ديار بكر فتحصن صاحب نصيبين وسنجار وهو مسلم بن قريش بن بدران العقيلي.

قال وفي سنة اثنتين وسبعين وأربعماية استولى تاج الدولة نيس بن البرسلان السلجوقي على دمشق وسببه أن جيوش مصر وصلت تحاصرها وبها أيسر فبعث أيسر إلى تاج الدولة يستنجد به فتوجه إليه فلما قرب من دمشق رحل عسكر مصر عنها ووصل تاج الدولة إليها وخرج أيسر إليه فقبض عليه وقتله واستولى تاج الدولة على دمشق واحتوى على جميع أموالها وخزائنها وتراجع أهل دمشق إليها وكانوا قد هربوا منها لفرط ما كان أيسر يعاملهم به من الجور والظلم وصار دمشق والشام يومئذ بيد السلجوقية مضافاً إلى العراق وخراسان وغيرهما من الممالك.

وفي هذه السنة استولى شرف الدولة بن مسلم بن قريش على حلب وكان هذا شرف الدولة صاحب الموصل فكتب إلى السلطان جلال الدولة يستأذنه في فتح حلب وضمن له كل سنة عنها ثلثماية ألف دينار فأذن له في ذلك وكتب له توقيعاً فقصد شرف الدولة حلب وهي بيد سابق بن محمود بن نصر بن بن صالح بن مرداش الهلالي فحاصرها مدة ثم اتفقا على أن يتسلم شرف الدولة حلب ويقطع بن مرداش في كل سنة عشرين ألف دينار وتسلم شرف الدولة حلب وقلعتها وملكها.

قال وفي سنة ثلاث وسبعين وأربع ماية ملك سديد الدولة أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكتاني حصن شيزر وكان بيد الروم فنزل عليه وحاصره وكانت له عشيرة كبيرة فتسلمها بالأمان ولم يزل بيده وبيد أولاده إلى أن أخذها (285) الملك العادل نور الدين محمود بن زيكي رحمه الله عقيباً لزلزلة التي جاءت بشيزر وأهلكت بني منقد فيمن.

قال وفي سنة خمس وسبعين وأربع ماية توفي سديد الدولة أبو الحسن علي بن منقد صاحب شيزر وكانت مدة ملكه لها سنة واحدة وشهور وكان أميراً جليلاً شجاعاً عالماً وله شعر جيد من جملته قوله في غلام له ضربه وكان يحبه

أسطو عليه وقلبي لم يمكن من لقي

ورد به غيظاً إلى عنقي

واستقر إذا عاقبته خنقا

وأين دل الهوى من عزه

الخنق

ولما توفي سديد الدولة ملك شيزر بعده ولده أبو المرهف نصر بن علي بن منقد ويلقب بلقب والده ملك الدولة.

وفي سنة سبع وسبعين وأربع ماية ورد اقستقر الحاجب من عند السلطان جلال الدولة ملكشاه إلى بغداد متولياً عليها وفيها ولد الوزير.

وفي هذه السنة عصى نيس بن البرسلان على أخيه السلطان جلال الدولة وافتتح مرو وأباحها للجند ثلاثة أيام وانتهب هو وأصحابه الأموال وانهتكوا (وانتهكوا) المحارم وشربوا الخمر في الجامع في شهر رمضان فقصده أخوه السلطان جلال الدولة فسار نيس إلى قلعة برجس وتحصن بها فنزل وضايقه وحاصره وظفر به وقيده واعتقله في بعض القلاع.

وفي هذه السنة كان مقتل شرف الدولة بن قريش صاحب حلب والموصل وذلك أنه لما ملك حلب واستقر بها صار إلى أنطاكية قاصد فتحها وهي يومئذ بيد سليمان بن فطلمس فخرج إليه سلمان واقتتلوا وانهزم شرف الدولة وهو مثخن بالجراح فمات (286) فبعث جماعة من أصحابه فأغلقت من دونهم أبوابها.

وفي سنة ثمان وسبعين وأربع ماية استولى الملك تاج الدولة على حلب وذلك لما بلغه مقتل شرف الدولة صاحبها سار إلى حلب وجاه ارتق التركماني مناصراً له وكان ارتق قد تغلب على حلوان والحبل وهذا ارتق والد الملوك والارتقية فاتفقا على حرب سلمان بن فطلمس صاحب أنطاكية فاقتتلوا على باب حلب وكان بينهم حروب كثيرة آخرها أن سليمان قتل وانهزم أصحابه وتسلم تاج الدولة حلب وصفت له مملكة الشام بأسره.

وفي سنة ثلاث وثمانين وأربع ماية كان ابتداء ملك الباطنية لقلاعهم بالعجم والديلم وأول قلعة ملكها الباطنية قلعة يقال لها الروديار من نواحي الديلم وكانت هذه القلعة لقماح صاحب السلطان جلال الدولة ونائبه بها يرى برأي الباطنية فأعطاه الحسن بن مصباح الباطني ألفاً ومايتي دينار فسلمها إليه وأصل هذا الحسن بن مرو وكان كاتباً للريس عبد الرزاق بهرام ثم سار إلى مصر فتلقى من دعاة الباطنية مذهبهم ثم دعاه هو داعية القوم والرأس فيهم فتبعه خلق كثير ولما عظم أمره واستفحل وبعث إليه السلطان جلال الدولة يتهدده ويدعوه إلى طاعته فلما حضر عنده الرسول أحضر جماعة من أصحابه وأوصى إلى شاب منهم وقال له اقتل نفسك ففعل ثم أوصى إلى آخر بأن يرمي نفسه من القلعة ففعل وتقطع وقال لروسل (لرسول) السلطان إن رعيتي من هؤلاء سبعين ألفاً هذه طاعتهم إلي وهذا هو الجواب فعاد رسول السلطان أخبر بذلك فتعجب وتركهم واشتغل عنهم ثم استولوا على قلاع كثيرة وغلبوا عليها ومنها قلعة (287a) الاموت وهي مقر عظمتهم وكرسي مملكتهم.

وفي سنة خمس وثمانين وأربع ماية كانت وفاة السلطان جلال الدولة ملكشاه بن السلطان عضد الدولة السلجوقي هو ثالث ملوكهم فكانت مملكته عشرين سنة وأشهر وكان عمره سبعة وثلاثين سنة وخمس أشهر.

وسيرته كان ملكاً جليلاً عالماً كريماً شجاعاً وافر العقل حسن العقيدة جميل الطوية أسقط المكوس وأزال المظالم وعمر القناطر والجسور والأنهار وبنى الجامع المعروف بجامع السلطان ببغداد وبنى المدرسة الحنيفية المجاورة لقبة الإمام أبي حنيفة برصافة بغداد وأوقف عليها الوقوف العظيمة وبنى الأسواق والبلاد وحارب الأعداء وغنم الغنائم وفتح الفتوحات الكثيرة وكانت مملكته من أقصى بلاد الترك إلى القدس الشريف وإلى أقصى بلاد اليمن وكانت نيته رحمه الله جميلة فأمنت السبيل وأكثر الخصب وخافته الناس خوفاً عظيماً وهابوه هيبة شديدة فكف الظالم وانتصف المظلوم وكان يقف المرأة والضعيف والمظلوم ولا ينصرف حتى تقضى حاجاتهم وقيل إنه دخل مرة بطوس إلى مشهد علي بن موسى الرضي للزيارة ومعه وزيره نظام الملك فقال أيما دعوت قال دعوت بأن يظفرك الله بأخيك نيس وكان ذلك وقت عصيانه ومحاربته له فقال إنني لم أدع هكذا ولكنني قلت اللهم إن كان أخي أصلح للمسلمين مني فظفره بي وإن كنت أصلح منه لهم فظفرني به وأخباره في هذه المعنى كثيرة وكان قد جرى بينه وبين الخليفة المقتدي وفقة فكتب إلى الخليفة يقول له تنح عن بغداد فبعث إليه الخليفة يقول أجلني عشرة أيام فاتفق أن السلطان توفي قبل (287b) مضيه وكانت وفاته ببغداد ودفن بها وخلف أربعة أولاد وهم محمود ومحمد وبركياروق وسنجر وكانت وصية السلطان لولده محمود فخطب له بالسلطنة ببغداد وعمره يومئذ خمسة سنين وعشرة أشهر وكانت أمه بركان خاتون بنت طراح من نسل افراسيان ملك الترك فقامت بتدبير ولدها وكانت امرأة مدبر عاقلة وكان معها من الترك عشرة ألف فضبطت الجند والبلاد وأحسن ضبط وأرضت العساكر بالأموال واستحلفهم لولدها محمود وبعثت إلى الخليفة المقتدي بأمر الله تسأله أن يأمر بالخطبة لولدها فأجاب وتقدم بأن يخلع عليه ويخطب له على المنابر فحضر أبو المنصور بن حمير ومعهم الخلع فأفاضوها على السلطان محمود بن جلال الدولة وتوجوه وقلدوه سيفاً ولم تر الناس أعظم منه هدوءاً وسكوناً على صغر سنه ولم يمد يديه ولا حرك رجله ولا أومى شيء من أعضائه وقال له الوزير أبو منصور بن حمير يقول لك أمير المؤمنين جزاك الله عن والدك أفضل ما جزاء حي وميت فلقد وفق في اختيارك وتدبيرك والمنزلة الرفيعة ولقد صدقت ظنه وحققت اعتقاده فيك فحزم (فحزن) السلطان محمود لما سمع هذا الكلام ودعا لأمير المؤمنين واستحسن منه ذلك ثم دخل الوزير إلى والدته فهنأها بولاية ولدها وعزاها في زوجها عن الخليفة وعرفها ولايته لها فدعت وشكرت وخرجت بابنها وحيدها النهروان فعسكرت به.

فلما بلغ تاج الدولة نيس صاحب دمشق وفاة أخيه جلال الدولة خطب لنفسه وبعث إلى أمير المؤمنين المقتدي يلتمس من الخطبة ببغداد فامتنع من ذلك ثم سار تاج الدولة إلى الرحبة (288) فملكها فدخل في طاعته قسمر الدولة وكان السلطان جلال الدولة قد تسلم حلب من أخيه تاج الدولة وسلمها إلى قسمر الدولة وجعله نائبه فيها.

وفي سنة ست وثمانين وأربع ماية انفصل قسمر الدولة عن تاج الدولة وصار إلى بركياروق بن جلال الدولة ملكشاه واجتمع إلى بركياروق جمع كبير من الخلق وقدموه إلى محمود لصغر سنه وأن القيم بأمره امرأة وأن السلطان بركياروق أكبر ولد أبيه وأحقهم بالسلطنة.

وفي سنة سبع وثمانين وأربع ماية توفت بركان خاتون أم محمود فاختلفت أحوال ابنها وتفرقت عنه جموعه واجتمع لأخيه السلطان بركياروق جمع عظيم فقصد بغداد ودخلها وولي السلطنة وانهزم محمود منه.

وفي هذه السنة توفي أمير المؤمنين المقتدي وسببه أن السلطان بركياروق لما دخل بغداد حمل إلى الخليفة أموالاً عظيمة وهدايا وتحف وسأله أن يخطب له بالسلطنة فتقدم الخليفة باسا كتاب العهد فكتب ثم حل إليه لينظر فيه فنظر فيه وعلم عليه وتركه إلى جانبه وأحضر الخلع وأعدها ليخلعها عليه ثم قدم إليه الطعام فتناوله وغسل يديه وأعاد نظره في العهد وتأمله وهو على أجمل حالة في ختمه ونقشه وبين يديه قهرمانة اسمها شمس النهار فقال لها ما هذه الأشخاص الذي دخلوا علينا بغير إذن فالتفتت القهرمانة فلم تر أحداً فالتفتت إليه فرأته قد تغير لونه واسترخت يديه ورجليه وانحلت قواه وسقط على الأرض فظنت أنه قد غشي عليه فحللت إزاره فإذا هو مات فسحبته وأمسكت نفسها عن البكاء واستدعت يمن الخادم فاستدعى الوزير أبا منصور وولده وكان قد عهد إليه أبوه بالخلافة فعرياه وهنياه (289) وكانت وفاة المقتدي منتصف المحرم سنة سبع وثمانين وأربع ماية وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وشهوراً وعمره ثمانية وثلاثين سنة وثمانية أشهر وأياماً.

وسيرته كان عالماً ديناً محباً أهل العلم حسن العقيدة محباً أهل الخير شجاعاً حازماً وله شعر جيد من جملته.

أما والذي لو شاء غير ما بنى

فأهوى بقوم في الثريا إلى الثرى

وبدلنا من ظلمة الجور بعدما دجى

ليلها صبحاً من العدل مسفرا

لئن نظرت عيني إلى وجه غيره فلا

صافحت أجفانها لذة الكرى

وإن تسع رجلي نحو غيرك أوسعت

فلا أمنت من أن تزل أو تعثرا

ووالله إني ذلك المخلص الذي

عزيز على الأيام أن يتغيرا

قال المؤرخ كانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام أولها يوم الجمعة وآخرها يوم الجمعة لتتمة أربع ماية وثمانين سنة وخمسة عشر يوماً للهجرة ولتتمة ستة ألف وخمس ماية وخمسة وثمانين وأربعة شهور للعالم شمسية.

والذي ورد تواريخ النصارى إنه صير لهم بطركاً اسمه ميخائيل لليعاقبة على الإسكندرية وكان حبيساً بسنجار من أعمال نستروه قدم في اليوم الثاني عشر من بابه سنة ثمان ماية وتسعة للشهدا سنة اثنتي وثمانين وأربع ماية للهجرة في السنة الثامنة وخمسين المستنصر صاحب مصر ومات يوم الأحد عيد الخمسين آخر بشنس سنة ثمان ماية وثمان عشرة للشهدا في المعلقة بمصر ومدة بطركيته تسع سنين وثمانية شهور وفي أيامه نقص النيل كثيراً فأرسله المستنصر إلى بلاد الحبشة بهدايا وتحف كثيرة فتلقاه ملكها وسجد بين يديه وسأله عن سبب قدومه فعرفه أن نيل مصر قد نقص وأضر بالبلاد وبأهلها فأمر أن يفتح السد الذي يجري منه الماء إلى الديار المصرية لأجل قدوم البطرك وزاد النيل (290) في ليلة واحدة ثلاثة أذرع وتكامل النيل ورويت ديار مصر وزرعت وعاد البطرك بكرامة عظيمة إلى مصر وأحسن إليه الإمام المستنصر وأخلع عليه.

الثامن والعشرون من الخلفاء العباسيين وهو التاسع والأربعون المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بن الدحيره.

وأمه أم ولد بويع له بالخلافة يوم توفي والده منتصف المحرم سنة سبع وثمانين وأربع ماية والسلطان بركياروق بن جلال الدولة ملكشاه يومئذ ببغداد في عساكره وقد استقر ملكه بها.

وفي هذه السنة كانت وفاة المستنصر بالله صاحب مصر في نصف الليل ليلة الخميس ثامنة عشرة ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربع ماية ومدة مملكته نحو من ستين سنة وبويع ولده المستعلي بالله بو القاسم أحمد بن المستنصر بالله.

وفي هذه السنة احتشد الملك تاج الدولة اقسنقر فجرت بينهما حروب شديدة انجلقت عن قتل اقسنقر جمادى الأولى واستولى تاج الدولة على حلب وملكها وعزم على قصد العراق.

وفي سنة ثمان وثمانين وأربع ماية كان مقتل الملك تاج الدولة نيس وسببه أن المستظهر بالله لما ولي الخلافة كتب السلطان بركياروق العهد بالسلطنة وخلع عليه وتوجه وطوقه وسوره وولاه ما وراء بابه ثم بلغ بركياروق احتجا تاج الدولة عمه وعصيانه وقصده له فسار إليه فالتقوا بقرب الري فاقتلوا قتالاً شديداً فقتل تاج الدولة وانهزم أصحابه وذلك في صفر من هذه السنة واستقرت السلطنة للسلطان بركياروق واجتمع الناس عليه واستوزر أبا بكر عبد الله بن (291) نظام الملك وكان نظام الملك قد قتله الباطينة في أيام جلال الدولة ثم عزل السلطان بركياروق أبا بكر

بن نظام الملك عن وزرائه وولاها للمظفر علي بن نظام الملك وكان الملك تاج الدولة قد سير قبل الوقعة التي وقعت بينه وبين بركياروق يوسف بن أرفق التركماني لإقامة الدعوة له ببغداد فلما قرب من المدينة أخرج الخليفة إليه حاجباً من الديوان للقائه فلم يخرج إليه فنهب بعض قرى بغداد وعزم على بغداد فورد الخبر إليه بقتل تاج الدولة فهرب إلى حلب ولما وردت الأخبار بقتل تاج الدولة إلى ولده رضوان وكان بدمشق فسار إلى حلب ودخلها وملكها وملك قلعتها وكان يلقب بفخر الملك ووصل على أثره أخوه شمس الملوك دقاق من ناحية ديار بكر ومعه جماعة من عسكره وعسكر أبيه فأقام بحلب عند أخيه الملك رضوان ثم وردت كتب سوبكين الخادم النائب بقلعة دمشق عن تاج الدولة إلى شمس الملوك دقاق وهو بحلب أن يقصد دمشق ليملكها فتوجه دقاق سراً من أخيه فبلغ أخاه رضوان الخبر فجهز خلفه سرية فلم يظفروا به ووصل شمس الملوك دقاق دمشق فملكها سوبكين الخادم واستحلف له الأجناد واستنابه دقاق في تدبير مملكته ثم قتله عن قرب فأقام أبابك طعبلين كان من مماليك تاج الدولة وخطى عنده حتى قدمه على خواصه واستحجبه وسكن إلى خدمته وشهامته واستنابه في تدبير دمشق وحفظها وأحسن السيرة في الرعية وعلت منزلته واشتهر ذكره وولى تاج الدولة ميافرقين وسلم إليه ولده الملك دقاق واعتهد عليه في تدبيره وكفالته فقام ميافارقين وأحسن السيرة ثو توجه ابابك طعبلين مع السلطان تاج الدولة وشهد الوقعة (292) التي قتل فيها تاج الدولة وأسره أصحاب السلطان بركيروق وحملوه إليه فاعتقله مدة ثم خلص من الأسر وسار إلى دمشق فتلقاه الملك شمس الملوك دقاق بعساكره وأكرمه ورد إليه الاسفهلاريه الذي كان تولاها في حياة والده واعتهد عليه في تدبير المملكة فعز ذلك على سوبكين الخادم وكره مكانة إلى أن قتل الملك دقاق سوبكين الخادم انفرد ابابك طعبلين بالأمور جميعها وتزوج بالخاتون صفوة الملك الدقاق.

وفي سنة تسع وثمانين وأربع ماية خطب فخر الملك رضوان بن تاج الدولة صاحب حلب للإمام المستعلي صاحب مصر ثم قطع خطبته وسببه أن دقاق صاحب دمشق خرج بعساكره إلى بعض السواحل وخلت دمشق منهم وبلغ أخاه الملك رضوان ذلك فسار مجداً إلى دمشق بجمع عظيم وكان ذلك في سنة تسع وثمانين وزحف لحصار دمشق فغلقت أبوابها وركب الناس الأسوار وقاتلوا فوقع حجر المنجنيق في رأس صاحب الملك رضوان فسكن الحرب واستغلوبه وعادوا إلى الخيم وجاء الملك دقاق بجموعه إلى دمشق فدخلها فرحل الملك رضوان عنها ولم يظفر بمقصود وفي قلبه من دمشق ما لا يمكن وصفه لأنها مرباه وقد علم منزهاتها التي تعجز عن حقيقتها الأفكار وتستوقف في رؤية مدائحها الأبصار في كل ناحية منها قمر فكاتب الملك رضوان صاحب مصر يخطب له بحلب ويساعده على أخذ دمشق من أخيه دقاق فأجابه إلى ذلك وخطب الملك رضوان المستعلي صاحب مصر فلم ينجده ثم قطع خطبته وأعاد الخطبة لبني العباس.

وفي سنة اثنتي وتسعين وأربع ماية كان استيلاء الفرنج على القدس لأنهم (293) خرجوا في جموع عظيمة وملكوا أنطاكية وهجموا معرة النعمان وقتلوا ملكها ولم تزل بأيديهم إلى سنة ست وعشرين وخمسماية فاستنقذها من أيديهم

ابابك الشهيد رحمه الله ثم ساروا إلى رملة فملكوها وكان ابتداء خروجهم سنة إحدى وتسعين وأربع ماية وانتقلوا إلى بيت المقدس وقاتلوا أهله أشر قتل ثم ملكوه وجمعوا من فيه من اليهود إلى كنيسة اليهود فأحرقوهم فيها وقتلوا من المسلمين ما يزيد عن سبعين ألف وأخذوا من الصخرة نيف وأربعين قنديل فضة وزن كل قنديل ثلاثة ألف وستماية درهم وأخذوا تنور فضة وزنه أربعون رطل ونيف عشرين قنديل ذهب ولم تزل القدس بأيديهم إلى أن استنقذها منهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمه الله في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية فكان مدة مقامها بأيديهم إحدى وتسعين سنة.

ابتداء أمر السلطان غياث الدين محمد بن السلطان ملكشاه بن برسلان السلجوقي.

وكان من خبره أن السلطان محمد وسنجر كانا أخوين لأم وأب فلما توفي جلال الدولة خرج محمد مع أخيه السلطان محمود فلما قاتل محمود فأقطعه وبركياروق حمخة وأعمالها ولما دخل السلطان بركياروق إلى بغداد وملكها توجه محمد إلى حمخة فاستولى على إقليمها واجتمع عليه خلق عظيم وخطب لنفسه فطمع في السلطنة وعظم شأنه وخرج إليه عسكر بركياروق فصاروا معه فلما بلغ بركياروق ذلك خرج لقتال أخيه محمد وبعث السلطان محمد رسولاً إلى بغداد للخطبة فخطب له في ذي الحجة وجرت له مع بركياروق اخيه وقائع نذكرها إن شاء الله تعالى.

وفي سنة ثلاث وتسعين وأربع ماية قدم بركياروق بغداد لقطع خطب أخيه محمد واحتشد وجمع جموعاً كبيرة (294) وخرج للقاء أخيه محمد فالتقيا بمكان قريب من مهدان فكان الظفر لمحمد وانهزم بركياروق في خمسين فارساً وقطعت خطبته وأعيدت خطبة محمد في رابع عشر رجب ثم اجتمع إلى بركياروق خلق كبير فلقاه أخوه سنجر بعساكره فانهزم سنجر وأسر بركياروق أم محمد وسنجر أخويه وكان سنجر قد أسر جماعة من أصحاب بركياروق فقال بركياروق لأم أخويه إنما أسرتك ليطلق أخي سنجر من عنده من أصحابي فأطلق سنجر من كان عنده وأطلق بركياروق أم سنجر.

وفي سنة أربع وتسعين وأربع ماية تسلمت الفرنج حيفا بالسيف وارسوف بالأمان وصارت بأيديهم أكثر البلاد الساحلية.

وفي سنة خمس وتسعين وأربع ماية كانت وفاة المستعلي بالله صاحب مصر يوم سابع عشر صفر وكانت مدة مملكته سبع سنين وشهرين ولما توفي المستعلي هرب أخوه أبو منصور برار بن المستنصر بالله إلى ثغر الإسكندرية ووليها يومئذ افتكين مملوك الأفضل أمير الجيوش فأدعى برار الأمانة بالإسكندرية وتلقب المصطفي لدين الله وبايعه افتكين على ذلك فتوجه الأفضل إليه وحاصره إلى أن فتح الإسكندرية وحبس برار وافتكين ولم يظهر لهما خبر بعد ذلك وبويع علي بو المنصور بن المستعلي بن المستنصر بن طاهر بن الحاكم بالخلافة

بمصر يوم توفي والده المستعلي وعمره يومئذ خمس سنين والقيم بأمره ووليه الأفضل أمير الجيوش ووالیه الحرب والأموال وتدبير الممالك.

وفي هذه السنة نازلت الفرنج طرابلس وحاصروها أشد حصار وصاحبها يومئذ فخر الملك بن عمار فاستصرخ بالمسلمين فنهض إليه عسكر من دمشق من عند شمس الملوك دقاق (295) وجناح الدولة حسين صاحب حمص فالتقوا بالفرنج وانهزموا المسلمون.

قال وفي سنة ست وتسعين وأربع ماية نازل السلطان بركياروق أخاه السلطان محمد بأصفهان وحاصرها ثم رحل عنها لقلة العلف والميرة ومضى السلطان محمد وجمع ثم كانت وقعة بينه وبين السلطان بركياروق فانهزم محمد إلى بلاد أرمينية واستمرت الخطبة ببغداد للسلطان بركياروق.

وفي هذه السنة استولى شمس الدولة دقاق على حمص وسببه أن صاحبها جناح الدولة حسين كان من أصحاب فخر الملوك رضوان فصار مع ملك دقاق وخلع طاعة رضوان فندب إليه ثلاثة من الباطنية قتلوه يوم الجمعة في الجامع ولما قتل بلغ الخبر إلى ابابك طغتكين والملك دقاق فسارا إلى حمص ودخلاها وتسلما قلعتها ووافق ذلك وصول الفرنج إلى الرستن قاصدين أخذ حمص فلما بلغهم وصول الملك دقاق إلى حمص رجعوا ناكصين على أعقابهم.

وفي سنة سبع وتسعين وأربع ماية كانت وفاة شمس الملوك دقاق قيل أن أمه زوجة ابابك طغتكين رتبت له جارية سمته في عنقود عنب معلق في شجرته فثقبته بإبرة مسمومة فلما أكله تهرأ جوفه ومات ولما توفي دقاق غلب على الملك بدمشق وأعمالها ابابك طغتكين المتلقب ظهير الدين.

وفي هذه السنة كان استيلاء الفرنج على عكا وذلك أن بادوين الذي تغلب على القدس الشريف سار بجموعه إلى عكا وكان معه الجنويون من الفرنج في المراكب فأخذ قرابها براً وبحراً فكانوا في نيف وتسعين مركباً فحاصروها من جميع جهاتها وملكوها بالسيف وكان متوليها يومئذ زهر الدولة الحبوسي من جهة صاحب مصر فخرج منها وهرب إلى دمشق ثم إلى مصر.

(296) قال وفي سنة ثمان وتسعين وأربع ماية كانت وفاة السلطان بركياروق بن ملكشاه بن البرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب العراق وبلاد العجم وكان عمره أربع وثلاثين سنة بعد أن عهد بالسلطنة إلى ولده جلال الدولة وكان عمره أربع عشرة سنة وأقام إياد مملوك أبيه بتدبير ملكه ولما بلغ السلطان محمد وفاة أخيه بركياروق قدم طالباً بغداد فتجمع إياد في خمسة وعشرين ألف فارس للقائه فأشير عليهم بالصلح فصالح السلطان غياث الدين محمداً على أمور تغررت بينهما ودخل السلطان محمد إلى بغداد واستقرت له بها السلطنة فلما استبت أمره قبض

إياد فقتل وصفت له الدنيا ولم يبق له منازع وخلع عليه أمير المؤمنين المستظهر بالله خلع السلطنة فولاه على ما وراء بابه.

وفي سنة إحدى وخمس ماية التقى السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه والأمير سيف الدين صدقة دنيس بن علي بن يريد الأسدي صاحب الحلة فقتل بن دنيس وانهزمت أصحابه وكانت مدة إمرته اثني وعشرين سنة وكان عمره ستة وخمسين سنة.

وفي سنة اثني وخمسماية كان استيلاء الفرنج على طرابلس بالأمان وكان مدة حصارهم لها سبعة سنين وذلك بعد أن فني من فيها من شدة الضائقة والجوع والقتل وكان مدينة عظيمة ممتلئة من المسلمين والعلماء.

وفي سنة ثلاث وخمس ماية استولى الفرنج على حصن عكاد وحصن المينطرة وتقرر أن يحمل أهل حصن مصياف وحصن الأكراد للفرنج قطيعة مقررة معينة في كل سنة وأقام الفرنج على هذا مدة ثم نكثوا وغدروا.

وفيها تسلمت الفرنج بيروت وملكوها بعد حصار شديد.

وفيها توفي قراجا صاحب حمص فملكها بعد صمصام حرحان ولد قراجا.

وفي سنة أربع وخمسماية تسلمت الفرنج صيدا وورديا واستفحل أمرهم ببلاد الشام (297) وصارت جميع سواحل بأيدهم فجهد السلطان غياث الدين محمد لحربهم رجلاً يقال له مودود فلما وصل إلى دمشق وثب عليه الباطينة فقتله وكانت مقتله في سنة خمس وخمسماية.

وفي سنة سبع وخمسماية كانت وفاة الملك فخر الملوك رضوان بن الملك تاج الدولة نيس بن البرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب حلب فملكها بعده ولده تاج الدولة المعروف بالأحرس وقتل في سنة ثمان وخمسماية فتسلم قلعة حلب والمدينة لولو خادم تاج الرؤوساء بن الجلال وأسلم المملكة السلطان شاه بن رضوان.

وفي سنة تسع وخمسماية سار ظهير الدين ابابك طغتكين صاحب دمشق إلى بغداد لخدمة الخليفة المستظهر بالله والسلطان غياث الدين محمد فأكرماه وأخلعا عليه ثم رجع إلى دمشق في سنة عشرة وخمسماية.

وفيها قتل لولو صاحب حلب قريباً من بالس وكان قد توجه من حلب مريداً قلعة جعفر فجلس بقلعة حلب بعده كاتب الجيش أبو معالي بن المحلي.

وفي سنة أحد عشر وخمسماية سلمت حلب للأمير بلغاري بن اريق فأقام متملكاً لها خمس سنين.

قال وفي هذه السنة كانت وفاة السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقي وذلك بأصفهان في ذي الحجة وعمره سبعة وثلاثين سنة بعد أن عهد بالسلطنة لولده أبو القاسم محمود بن محمد وخلف في خزائنه أحد عشر ألف ألف دينار ومن العروض مثلها فخطب لابنه السلطان محمود ببغداد يوم الجمعة لسبع بقين من المحرم سنة اثني عشر وخمس ماية.

قال وفي سنة اثني عشر وخمسماية كانت وفاة المستظهر بالله أمير المؤمنين وذلك لسبع بقين من ربيع الاخر وكانت مدة خلافته أربعة وعشرين سنة وثلاثة أشهر وكان عمره أحد وأربعين سنة وشهور وكان بين وفاة السلطان محمد وبين وفاة الخليفة (298) المستظهر بالله أربعة أشهر وأيام سيرته رضي الله عنه كريم الأخلاق لين الجانب سخي النفس محب للعلماء منكراً للظلم فصيح اللسان وكثير الصدقات.

قال المؤرخ إن مدة خلافته خمسة وعشرين سنة وثلاث أشهر وسبعة أيام أولها يوم السبت وآخرها يوم الاثنين لتتمة خمس ماية وأحد عشر سنة وسبعة أشهر ويومين للهجرة ولتتمة ستة ألف ستماية تسعة وستين سنة وأحد عشر شهر وتسعة عشر يوماً شمسية للعالم.

والذي ورد تواريخ النصارى أن قدم لهم بطركاً اسمه مقازي على الإسكندرية لليعاقبة في السنة الثانية من خلافة الآمر بالله صاحب مصر وكانت تقدمته بدير أبي مقار يوم الأحد ثالث عشر هتور سنة ثمان ماية وتسعة عشر للشهدا الموافقة لسنة ست تسعين وأربع ماية للهجرة وكمل بالإسكندرية يوم الأحد حادي عشر كهيل وعاد إلى مصر يوم السبت الرابع والعشرين منه ولم يقدس بها ثم عاد إلى دير أبي مقار وقدس فيه يوم الأحد ثالث وعشرين طوبة ثم عاد إلى مصر وقدس في كنيسة المعلقة يوم الأحد آخر طوبة.

قال وحدث بمصر زلزلة عظيمة يوم الجمعة ثالث طوبة سنة ثمان ماية وثمانية وعشرين للشهدا في الثالثة من النهار وفي تلك الليل هدم الأفضل أمير الجيوش كنيسة بالحريرة وإدعى أن الزلزلة هدمتها وأقام البطرك مقاري ستة وعشرين سنة وأحد وأربعين يوماً ومات في ليلة الثالث والعشرين من كهيل سنة خمس وأربعين وثمان ماية للشهدا وخلا الكرسي بعده سنتين وشهرين وهذا البطرك أبطل عوايد كثيرة منها البجور وجعله في الكنيسة ساعة الإهليل وكان يقال التهليل في القداس بعد قراءة الابركسيس فإذا حضر الشماس صاحب القداس قبل ذلك ترك الشماس المقدس وكمل صاحب القداس قداسه فجعل التهليل قبل قراءة الكتب ويكون الشماس المبتدئ بالقداس مستمر إلى كماله (299) وكان الابرسقارين لا يطوى فأمر أن يطوى.

قال وفي أيام الآمر بالله قدم من تكريت رجل نصراني سرياني تاجر اسمه طيب بن يوسف ومعه أحمال كثيرة من الثيات العتالي والابراد الحرير عمل الهند واليمن وأصناف كثيرة فقدم للخليفة من أجودها ما يصلح لمثله فخلع عليه

وأحسن عليه وعوضه عن تقدمته واستحضره فأعجبه كلامه وأدبه فأمره بالمقام بمصر ورسم بأن يسامح بها على متاجرة من الحقوق وأنعم عليه بقرية من أعمال الحوف اسمها بهيدة مجاورة لدماص فأقام الشيخ طيب بالقاهرة المحروسة إلى أن مات الخليفة الآمر بالله فانتقل وسكن سنموطية وتزوج من أهلها ورزق ولداً سماه قروينة ومات الشيخ طيب ودفن بكنيسة سنموطية وانتشأ ولده قروينه واشتغل بصناعة الكتابة وتصرف في الخدم الديوانية ورزق ولداً سماه أبو الطيب باسم جده وكان كاتباً حاذقاً لبيباً ورحل إلى القاهرة واجتمع بالأكابر وخدمهم وتردد إليهم فلما رأو عقله وحذقه وحسن تصرف استخدموه صاحب ديوان العربية فخرج إليها وأقام بها سبع سنين وأشهر ورغب في الزراعات وكثرة المواشي وظهر حاله واشتهر أمره وماله عشرين ألف دينار فأباع جميع ما يملكه من المواشي والأملاك والأتوات وحمل المبلغ وألزم انه لا يتصرف في الخدم الديوانية ولا يعلم أولاده صناعة الكتابة وكان له خمسة أولاد فصار منهم أربعة أساقفة وأصغرهم أبو المكارم كانت له مواشي وزراعات وخلايا نحل تزيد على ألف خلية وتزوج أخت المكين سمعان ابن كليل ابن مقارة من أهل ميكائيل بشو لان اسم القرية قديم بشو وكانت بها كنيسة على اسم ملال ميكائيل (300) وكانت جماعة النصارى المجاورين المترددين إليها ويقولون نروح إلى ميكائيل بشو فاشتهرت القرية بهذا الاسم وكان سمعان كاتباً حاذقاً وتقلبت به الخدم فخدم بديوان الجيش في أيام الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة تسع وستين وخمسة ماية وتميز عنده وأعطاه أقطاعاً في حجروان واستمر بديوان الجيش سنة ثلاث وترك الخدمة في الدولة العادلية وترهب بدير أبو يحنس القصير ببريه الاسقيط بوادي هبيب وحبس نفسه في موضعة بناها في وسط الدير مدة تزيد عن ثلاثين سنة وكانت سيرته فاضلة وأمره مشهور وأولد أبو المكارم المذكور بن بو طيب ثلاثة أولاد البخيت أبو الفضل والعميد بو إلياس والد المؤرخ والمخلص أبو الزهر وتوفيت زوجته فترهب وتوفي في سنة ست وستماية واستخدم العميد بو إلياس في ديوان الجيش موضع خاله المكين سمعان وكانت سيرته بين العالم مثل سيرة الرهان القديسين الذي في البراري وكان أكثر أيامه صائماً وصلواته لا يقطعها في أوقاتها وهو مباشر شغله في الديوان وكان يتصدق بها ويفضل من صروراته ولا يدخر شيئاً وتميز عند الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب بالريانه والأمانة حتى إن شاهد الحرانه بن سني الدولة مرض وانقطع وقال الملك العادل أن يكون العميد عوضه حتى يتعافى وأقام بديوان الجيش خمسة وأربعين سنة ومات في صفر سنة ست وثلاثين وستماية نيح الله أنفسهم الجميع وهذا أورد على حكم التاريخ لا على حكم الافتخار فإن الكتاب يقول من افتخر فليفتخر بالرب.